

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190325

UNIVERSAL
LIBRARY

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ن- ٨٩٢٥٤٥ / ن- Accession No. ١٦٠٢٢.

Author الموسوي بن صباح الدين بن عبد الوهاب

Title منهاج الرب في فنون الادب ج ٣

This book should be returned on or before the date last marked below.

دَارُ الْكِتَابِ الْمِصْرِيَّةِ

القسم الأدبي

نَهْائَةُ الْإِلَاقَاتِ

في

فنونه الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوري

الجزء الثالث عشر

المطبعة

مطبعة دار الكتاب المصرية

١٩٣٧ - ١٩٣٨

الطبعة الأولى مطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

بيان

يوجد من نُسخ هذا الجزء بدار الكتب المصرية نسختان كاملتان مأخوذتان بالتصوير الشمسي، وقطعة غير كاملة من نسخة أخرى مأخوذة بالتصوير الشمسي أيضا، وقد نهنا على الموضوع الذي تنتهي عنده هذه القطعة في إحدى الحواشي .

أما خطوط النسخ الثلاث : فأحدها مكتوبة بخط نور الدين العاملي في سنة ٩٦٦ هـ . وثانيها مكتوبة بخط الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الجبرتي الحنفي في سنة ٩٦٦ هـ أيضا . والثالثة منسوب خطها إلى المؤلف كما نص على ذلك في بعض الأجزاء الأخرى منها .

أما التحريف والتصحيح في هذه الأصول فيكاد يكون متفقا في جميعها؛ غير أننا وجدنا أن بعض هذه النسخ قد سقطت منها عبارات وجدناها مثبتة في النسخ الأخرى، فكلنا بعضها من بعض كي يكون الجزء نسخة كاملة من جميع هذه الأصول .

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا الموضوع أن المؤلف قد نقل موضوعات هذا الجزء عن كتّابين : أحدهما "يواقيت البيان في قصص القرآن" لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، والثاني "الابتداء" لأبي الحسن محمد بن عبد الله المعروف بالكسائي؛ وقد بحثنا في محفوظات دار الكتب عن اسمي هذين الكتّابين فلم نجدهما، غير أننا وجدناهما باسمين آخرين؛ فكتاب الثعلبي مكتوب عليه : "قصص الأنبياء المسمى بالمراس" . وكتاب الكسائي يسمى "بالمراس" أيضا؛ ويسمى أيضا "نفائس المراس" كما هو مكتوب على بعض نسخه المخطوطة . وفي "كشف الظنون" أنه يسمى "خلق الدنيا وما فيها" . والأول مطبوع بالمطبعة البية بالقاهرة عام ١٣٠١ هـ . والثاني مخطوط سنة ٨٠٣ هـ .

ومما يرجح لدينا أن هذين الكتّابين هما اللذان أشار إليهما المؤلف ونقل عنهما وإنما تغير اسماهما دون مسمّاهما، مراجعة ما فيهما على ما نقله المؤلف في هذا الجزء عنهما ملخصا، والاتفاق التام في العبارات بين المتنول والمتنول عنه .

ويلاحظ أنه قد ورد في هذا الجزء نقلا عن الكتّابين المذكورين كثير من الأسماء العبرانية التي تعود المؤرخون القدماء ذكرها في كتبهم في الكلام على بدأ الخليقة وقصص الأنبياء ، وهذه الأسماء لم تقف على نصوص صريحة تدل على الصواب في ضبطها، والصحة في تقييد حروفها .

وقد بحثنا فيما بين أيدينا من مصادر التاريخ الكثيرة عنها للوقوف من محبتها فوجدنا تلك المصادر مختلفة كل الاختلاف فيها، حتى لا نجد كتابا متفقا مع غيره في كتابتها . لهذا رأينا أن نبقى تلك الأسماء كما هي في الأصول، إلا ما وجدناه مضبوطا بنقط مؤتوق بكتابه .

وعسى أن نكون قد وفقنا في هذا الجزء إلى ما قصدنا إليه في الأجزاء السابقة من تصحيح التحريف، وتكميل النقص، وضبط الملتبس من الألفاظ، وغير ذلك مما سردناه في الكلام على تصحيح الأجزاء السابقة .

وقد تم طبعه في عهد من أعتز العلم بنصره ، وازدهت الآداب في عصره وقويت آمال لغة العرب فيه ، واختات زهوا بأياديه :

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

“فاروق الأول” حفظه الله

ولا يهوتنا في هذا المقام أن نذكر بالشكر والثناء تلك الجهود العظيمة التي بذلها ويذلها حضرة صاحب العزة العالم الكبير “الدكتور منصور فهمي بك” مدير عام دار الكتب المصرية، واهتمامه الصادق بإخراج هذه الكتب في أقرب وقت ممكن على أحسن وجه وأكمله، تحقيقا لما نتوق إليه الأمة العربية جمعاء من إحياء لغتها وآدابها بنشر الكتب الثمينة في الدين واللغة والأدب والتاريخ وغيرها من أنواع العلوم .

ونسأل الله سبحانه أن يجعل عملنا خالصا لوجهه ٥ مصححه

أحمد الزين

القاهرة في ٧ شوال سنة ١٣٥٧ هـ (٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٨ م)

فهرست

الجزء الثالث عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

صفحة

الفن الخامس في التاريخ ويشتمل على خمسة أقسام ١

القسم الأول من الفن الخامس في مبدأ خلق آدم وحواء عليهما السلام

ودخولهما الجنة، وما كان بينهما وبين إبليس لعنة الله وهبوطهما

إلى الأرض واجتماعهما بعد الفقرة ، وخبر حرثه وزرعه، وحمل حواء

ووضعها ، وخبر أبني آدم هابيل وقايل ، ونبوة آدم عليه السلام

وفاته ، وخبر شيث وأولاده ، وقصة إدريس ونوح وهود وصالح

عليهم السلام ، وخبر أصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد، وخبر أصحاب

الرمس ، وفيه ثمانية أبواب ٣

الباب الأول من هذا القسم في مبدأ خلق آدم وحواء عليهما السلام

وما كان من أخبارهما إلى حين وفاتهما — ذكر خلق آدم عليه السلام ١٠

ذكر دخول الروح فيه ١١

ذكر مجيود الملائكة لآدم ١٢

ذكر خلق حواء عليها السلام ١٣

ذكر عرض الأمانة على آدم عليه السلام ١٤

ذكر خبر إبليس والطاوس والحية ١٥

سنة

- ١٨ ذكر خروج آدم وحواء من الجنة
- ١٩ ذكر سؤال إبليس لعنه الله
- ٢٠ ذكر سؤال آدم عليه السلام
- ٢١ ذكر سؤال حواء عليها السلام
- ٢٣ ذكر توبة آدم عليه السلام
- ٢٥ ذكر أخذ الميثاق على ذرية آدم عليه السلام
- ٢٦ ذكر اجتماع آدم بحواء
- ٢٨ ذكر بناء آدم وزوجه وحرثه
- ٣٠ ذكر حمل حواء عليها السلام وولادتها
- ٣١ ذكر مبعث آدم عليه السلام إلى أولاده
- ٣٢ ذكر قتل قابيل هابيل
- ٣٤ ذكر وفاة آدم عليه السلام
- ٣٥ ذكر وفاة حواء

الباب الثاني من القسم الأول من الفن الخامس في خبر شيث بن آدم

- ٣٥ عليهما السلام وأولاده
- ٣٦ ذكر قتال شيث قابيل

الباب الثالث من القسم الأول من الفن الخامس في أخبار إدريس النبي

- ٣٨ عليه السلام

الباب الرابع من القسم الأول من الفن الخامس في قصة نوح عليه السلام

- ٤٢ وخبر الطوفان
- ٤٣ ذكر مبعث نوح عليه السلام

من نهاية الأرب

(ز)

صفحة

ذكر عمل السفينة ٤٦

ذكر خبر دعوة نوح على ابنه حام ودعوته لابنه سام ٤٩

ذكر وصية نوح ووفاته ٥٠

ذكر خبر أولاد نوح عليه السلام من بعده ٥٠

الباب الخامس من القسم الأول من الفن الخامس في قصة هود عليه

السلام مع عاد وهلاكهم بالريح العقيم ٥١

ذكر مبعث هود عليه السلام ٥٢

ذكر خبر وفد عاد إلى الحرم يستسقون لهم ٥٦

ذكر إرسال العذاب على قوم هود ٥٨

ذكر خبر مرثد ولقمان ٦٠

ذكر خبر إرم ذات العماد وقصة شديد وشذاد بنى عاد ٦١

الباب السادس من القسم الأول من الفن الخامس في قصة صالح عليه

السلام مع ثمود وعقرهم الناقة وهلاكهم ٧١

ذكر ميلاد صالح عليه السلام ٧٣

ذكر مبعثه عليه السلام ٧٥

ذكر خروج الناقة ٨٠

ذكر خبر عقر الناقة وهلاك ثمود ٨٢

الباب السابع من القسم الأول من الفن الخامس في أخبار أصحاب البر

المعطلة والقصر المشيد وما كان من أمرهم وهلاكهم ٨٦

الباب الثامن من القسم الأول من الفن الخامس في خبر أصحاب الرس

وما كان من أمرهم ٨٨

صفحة

- القسم الثاني من الفن الخامس في قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
 وخبره مع نمرود وقصة لوط وخبر إسماعيل ويعقوب وقصة يوسف
 وأيوب وذى الكفل وشعيب، وفيه سبعة أبواب - الباب الأول
 منه في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام وخبره مع نمرود بن كنعان
 ذكر خبر نمرود بن كنعان ٩٦
 ذكر الآيات التي رآها نمرود قبل مولد إبراهيم عليه السلام ٩٩
 ذكر حمل أم إبراهيم عليه السلام وطلوع نجمه ١٠٠
 ذكر ميلاد إبراهيم عليه السلام ١٠٢
 ذكر خروج إبراهيم عليه السلام من النار واستدلاله ١٠٢
 ذكر معجزة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ١٠٥
 ذكر مبث إبراهيم عليه السلام ١٠٧
 ذكر سؤال إبراهيم عليه السلام في إحياء الموتى ١٠٨
 ذكر آية لإبراهيم عليه السلام ١٠٨
 ذكر خبر تكبير إبراهيم الأصنام وإلقائه في النار ١١١
 ذكر خبر صعود نمرود إلى السماء على زعمه ١١٣
 ذكر خبر إرسال البعوض على نمرود وقومه ١١٤
 ذكر هجرة إبراهيم عليه السلام ١١٥
 ذكر خبر ميلاد إسماعيل عليه السلام ومقامه وأمه في البيت المحترم ١١٥
 ذكر خبر بشارة إبراهيم بإسحاق عليهما السلام ١١٨
 ذكر خبر الذبيح وفدائه ١٢٠
 ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام ١٢٢

منه

الباب الثاني من القسم الثاني من الفن الخامس في قصة لوط عليه السلام

وقلب المدائن ١٢٣

ذكر خبر نزول العذاب على قوم لوط وقلب المدائن ١٢٥

الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الخامس في خبر إسحاق ويعقوب

عليهما السلام ١٢٨

ذكر مبعث يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ١٢٩

الباب الرابع من القسم الثاني من الفن الخامس في قصة يوسف بن يعقوب

ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام - ذكر خبر ميلاد يوسف عليه

السلام ١٣٠

ذكر رؤيا يوسف عليه السلام وكيد إخوته له ١٣١

ذكر رجوع إخوة يوسف إلى يعقوب - ذكر كلام القتب بن بدي

يعقوب ١٣٣

ذكر خبر خروج يوسف من الحب وبيعه من مالك بن دعر ١٣٤

ذكر خبر بيع يوسف من عزيز مصر ١٣٥

ذكر خبر يوسف وزليخا ١٣٦

ذكر خبر النسوة اللاتي قطعن أيديهن ١٣٨

ذكر إمام يوسف عليه السلام التعبير ١٤٠

ذكر خبر الحجاز والساق ١٤٠

ذكر رؤيا الملك وتمبيرها وما كان من أسر يوسف وولايته ١٤١

ذكر حاجة زليخا إلى الطعام وزواج يوسف بها ١٤٤

ذكر دخول إخوة يوسف عليه السلام في المرة الأولى ١٤٥

ذكر خبر دخولهم عليه في المرة الثانية ١٤٧

منحة

ذكر خبر دخولهم عليه في الدفعة الثالثة ١٥٢

ذكر خبر حديث الصاع ١٥٢

ذكر دعوة يوسف عليه السلام وارتحاله عن بلد الريان ١٥٥

ذكر خبر وفاة يوسف عليه السلام ١٥٦

الباب الخامس من القسم الثاني من الفن الخامس في قصة أيوب عليه السلام

وابتلائه وعافيته ١٥٧

ذكر كشف البلاء عن أيوب عليه السلام ١٦٣

الباب السادس من القسم الثاني من الفن الخامس في خبر ذى الكفل ... ١٦٤

الباب السابع من القسم الثاني من الفن الخامس في خبر شعيب النبي عليه السلام ١٦٧

ذكر مبعث شعيب عليه السلام ١٦٩

ذكر خبر الظلة ١٧٢

القسم الثالث من الفن الخامس يشمل على قصة موسى بن عمران عليه السلام

وخبره مع فرعون وخبر يوشع بن نون وإلياس واليسع وغيليا واشمويل

وداود وطالوت وجالوت وسليمان بن داود ويونس بن متى وجرجيس

وبلقيا وزكريا وعمران ومريم وعيسى عليهم السلام وأخبار الحوارين

وفيه ستة أبواب - الباب الأول من القسم الثالث من الفن الخامس

في قصة موسى بن عمران وهارون عليهما السلام وخبر فرعون وابتداء أمره

وغرقه، وأخبار بني إسرائيل، وخبر قارون، وحروب موسى عليه السلام ١٧٣

خبر فرعون وابتداء أمره، وكيف توصل إلى الملك ١٧٣

ذكر خبر قتل الملك واستيلاء فرعون على ملكه وما كان من أمره ... ١٧٥

ذكر خبر آسية بنت مزاحم وزواج فرعون بها ١٧٧

ذكر شيء من الآيات التي رآها فرعون قبل مولد موسى عليه السلام ... ١٧٨

صفحة

ذكر خبر قتل الأطفال ١٧٨

ذكر خبر ميلاد موسى وما كان من أمره وإلقائه في التابوت ... ١٧٩

ذكر دخول التابوت في دار فرعون ورجوع موسى إلى أمه ... ١٨٠

ذكر شيء من عجائب موسى عليه السلام وآياته ... ١٨٢

ذكر خبر القبطي وخروج موسى من مصر ... ١٨٣

ذكر خبر ورود موسى مدين وما كان بينه وبين شعيب وزواجه ابنته ... ١٨٤

ذكر خبر خروج موسى عليه السلام من أرض مدين ومتاجاه ومبعثه

إلى فرعون ١٨٦

ذكر خبر مسير موسى إلى مصر واجتماعه بأخيه هارون وأمه ... ١٨٩

ذكر خبر دخول موسى عليه السلام إلى فرعون وما كان من أمره معه ... ١٩٠

ذكر خبر العصا حين صارت ثعبانا واليد البيضاء ... ١٩١

ذكر خبر السحرة واجتماعهم وما كان من أمرهم وإيمانهم ... ١٩٢

ذكر خبر حرقيل مؤمن آل فرعون ... ١٩٤

ذكر خبر بناء الصرح وما قيل فيه ... ١٩٦

ذكر خبر الآيات التسع ... ١٩٧

ذكر خبر مسخ قوم فرعون ... ١٩٨

ذكر خبر قتل الماشطة ... ٢٠٦

ذكر خبر قتل آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ... ٢٠٦

ذكر خبر اقطاع النيل وكيف أجراه الله عز وجل لفرعون ... ٢٠٧

ذكر خبر غرق فرعون وقومه ... ٢٠٧

ذكر خبر ذهاب موسى عليه السلام لبيقات ربه وطلبه الرؤية وخبر

الصانع والإفاقة ٢١٠

صفحة	
ذكر خبر الألواح ونزول العشر كلمات	٢١٤
ذكر خبر السامرى واتخاذ العجل واقتنان بنى إسرائيل به	٢٢٣
ذكر خبر رجوع موسى الى قومه وما كان من أمرهم	٢٢٦
ذكر خبر امتناع بنى إسرائيل من قبول أحكام التوراة ووقع الجبيل عليهم وإيمانهم	٢٢٩
ذكر خبر الحجر الذى وضع موسى عليه السلام ثيابه عليه	٢٣٠
ذكر خبر طلب بنى إسرائيل رؤية الله تعالى وهلاكهم بالصاعقة وكيف أحياهم الله عز وجل وبعثهم بعد موتهم	٢٣٠
ذكر خبر قارون	٢٣٢
ذكر خبر موسى والخضر عليهما السلام	٢٤٠
ذكر خبر البقرة وقتل عاميل	٢٤٤
ذكر بناء بيت المقدس وخبر القربان والتابوت والسكينة وصفة النار	٢٥٢
ذكر ما أنعم الله تعالى به على بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر	٢٥٥
ذكر خبر النقباء ومسيرهم إلى أريحا وقصة عوج بن عوق وخبر التيه	٢٦٠
ذكر مسير موسى - عليه السلام - وبنى إسرائيل لحرب الجبارين ودخولهم القرية	٢٦٥
ذكر خبر مدينة بلقاء وخبر بلم بن باعورا وما يتصل بذلك	٢٦٧
ذكر خبر وفاة هارون عليه السلام	٢٧٤
ذكر خبر وفاة موسى بن عمران عليه السلام	٢٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الفرق الخامس

فى التاريخ

ويشتمل على خمسة أقسام

قال الله تعالى : (أَوَلَمْ يَدَّبْهُمْ كَمْ أَهْلَكَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ) ؛ وقال تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ؛ إلى غير ذلك من الآى . ١٠

والتاريخ مما يحتاج إليه الملك والوزير ، والقائد والأمير ، والكاظم والمشير والفتى والفقيه ، والبادى والحاضر ، والمقيم والمسافر .

فالملك يعتبر بما مضى من الدول ومن سلف من الأمم ، والوزير يقتدى بأفعال من تقدمه ممن حاز فضيلتى السيف والقلم ؛ وقائد الجيش يطلع منه على مكاييد الحرب ، ومواقف الطعن والضرب ؛ والمشير يتدبر الراى فلا يصدره إلا عن روية ١٥ ويتأمل الأمر فكأنه أعطى درجة المعبية وحاز فضيلة الألمية ؛ والكاظم يستشهد به فى رسائله وكتبه ، ويتوسع به إذا ضاق عليه المجال فى سريره ، والفتى يمدح الله تعالى

(١) الألمية : توفد الله كاه . (٢) سريره : أى طريقه فى الكتابة .

على ما أولاه من نعمه ورزقه من نواله ، وينفق مما آتاه الله إذا علم أنه لا بد من زواله
وأنقاله ؛ والتفكير يرغب في الزهد لعله أن الدنيا لا تدوم ، ولتيقنه أن سعتها بضيقها
لا تقوم . ومن عدا هؤلاء يسمعه على سبيل المسامرة ، ووجه المحاضرة والمذاكرة ؛
والرغبة في الاطلاع على أخبار الأمم ، ومعرفة أيام العرب وحروب العجم .

- فقد تبنّى هذه المقتمة تمويل الأمر عليه ، وميل المرء إليه .
- وسأورد إن شاء الله في هذا الفن مجلدا من توارخ الأمم السالفة والمعصور
الحالية ، وأطرزه من القصص والسير بما تصبغ به صفحات الطروس حاله .

- ولما رأيت غالب من أزعج في الملة الإسلامية وضع التاريخ على حكم السنين
ومساقها ، لا الدول وأنساقها ؛ علمت أن ذلك ربما قطع على المطالع لذة واقعة
استملاها ، وقضية استجلاها ؛ فأقتضت أخبار السنة ولا أستوعب تكملة فصولها
- ولا آتيت إلى جملتها وتفصيلها ؛ وانتقل المؤرخ بدخول السنة التي تليها من تلك
الوقائع وأخبارها ، والممالك وآثارها ، والدولة وسيرها ، والحالة وخبرها ؛ فنقل من
الشرق إلى الغرب ، وعُدل عن السلم إلى الحرب ؛ وعطف من الجنوب إلى الشمال
وتحول من البكر إلى الآصال ؛ وقد تحول به خيل الاستطراد فيبعد ، وتحول بينه
وبين مقصده السنون فيغور تارة وتارة يُجحد ، فلا يرجع المطالع إلى ما كان قد أهمله
- إلا بعد مشقة ، وقد يعدل عنه إذا طالت المسافة وبُعدت عليه الثقة .

فأخترت أن أقيم التاريخ ثولا ، ولا أبني عن دولة إذا شرعت فيها حولا ؛ حتى
أسردها من أوائلها إلى أواخرها ، وأذكر مجلدا من وقائعها وآثارها ؛ وسياقة أخبار
ملوكها ، ونظم عقود سلوكها ؛ ومقر ممالكها ، وتشعب مسالكها .

- ٢. (١) « بنور وبجهد » ، أي يخفض ويرتفع . والنور يفتح أوله ؛ ما انخفض من الأرض .
والجهد : ما ارتفع منها ؛ وهما في هذا الموضع على سبيل الاستعارة .

فلذا أقتضت مدتها، وأقرضت عنتها، وانتقلت من العين إلى الأثر، ومن
البيان إلى الخبر؛ رجعت إلى غيرها فقفوت أثرها، وشرحت خبرها، وبيّنت
خبرها، وذكرْتُ أسبابها، وسردت أنسابها، وبدأت بأصلها، وتفوّهت بأخبار
من نبغ من أهلها، وأستقصيتها دولة بعد دولة، وجالت في خيول المطالعة جولة
ناهيك بها من جولة؛ ورغبتُ مع ذلك في الاختصار دون الإقتصار، وأوردت
ما يحتاج إلى إيراد من غير تكرار ولا إكثار.



فإن عرضتُ واقعة كانت بين ملكين كان وقتهما واحداً، وكان الدهر لأحدهما
على الآخر مساعداً؛ شرحتها بجملتها في أخبار الظاهر منهما؛ وأحلت في أخبار المغلوب
عليها، وأكتفيت بإيرادها في أحد الموضعين ولم أعرج في الآخر إلا بالإشارة إليها.
وجريت في تقسيم هذا الفن على القاعدة التي تقدّمت فيها قبله من الفنون
ليكون أبسط للتفوس وأنشط للتواطر وأقر للميون؛ وجعلته خمسة أقسام، ووضعتُه
على أحسن أساق وأكل أنظام.

القسم الأول

في مبدأ خلق آدم - عليه السلام - وحواء وأخبارهما ومن كان بعد آدم

إلى نهاية خبر أصحاب الرّس، وفيه ثمانية أبواب :

الباب الأول - في مبدأ خلق آدم وحواء - عليهما السلام -
وما كان من أخبارهما إلى حين وفاتهما .

الباب الثاني - في خبر شيث بن آدم - عليهما السلام - وأولاده .

الباب الثالث - في أخبار إدريس النبيّ عليه السلام .

(١) يستفاد من سياق هذه العبارة أن الفرق بين الاختصار والاقتصار أن المراد بالأول : الإيجاز في شرح
كل حادثة مع ذكر جميع الحوادث وعدم ترك واحدة منها . والثاني : الاكتفاء بذكر بعض الحوادث من بعض .

الباب الرابع - في قصة نوح - عليه السلام - وخبر الطوفان .
 الباب الخامس - في قصة هود - عليه السلام - مع عاد وهلاكهم
 بالريح العقيم .

الباب السادس - في قصة صالح - عليه السلام - مع ثمود وعقرهم
 الناقة وهلاكهم .

الباب السابع - في أخبار أصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد
 وهلاكهم .

الباب الثامن - في خبر أصحاب الرس ، وما كان من أمرهم .

القسم الثاني

١٠ في قصة إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - وخبره مع التمرود [لعنه الله]
 وقصة لوط وخبر إسحاق ويعقوب ، وقصة يوسف وأيوب وذى الكفل
 وشعيب - عليهم السلام - وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول - في قصة إبراهيم الخليل - عليه السلام - وأخبار
 تمرود بن كتمان .

١٥ الباب الثاني - في خبر لوط مع قومه وقلب المدائن .

الباب الثالث - في خبر إسحاق ويعقوب عليهما السلام .

الباب الرابع - في قصة يوسف بن يعقوب عليهما السلام .

الباب الخامس - في قصة أيوب - عليه السلام - وأبنتائه وطافيته .

الباب السادس - في خبر ذى الكفل بن أيوب عليهما السلام .

٢٠ الباب السابع - في خبر شعيب - عليه السلام - وقصته مع مدين^(١) .

(١) مع مدين ، أى مع أهل مدين .

القسم الثالث

يشتمل على قصة موسى بن عمران — عليه السلام — وخبره مع فرعون
 وخبر يوشع ومن بعده وخبر جزيّل وإلياس واليسع وغيلّا واشمويل وطالوت
 وجالوت وداود وسليمان وسعيا وإرميّا وخبر بختنصر ونحلاب بيت المقدس وعمارته
 وما يتصل بذلك من خبر عزّير وقصة يونس بن متى وخبر بلوقيا وخبر زكريا ويحيى
 وعمران ومريم وعيسى — عليهم السلام — وخبر الحوارين وما كان من أمرهم
 وخبر جرجيس، وفيه ستة أبواب :

وذلك على هذا القسم ذيلًا يشتمل على أبواب أربعة، ذكرت فيها ما قيل
 في الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى — عليه السلام — إلى الأرض، وأخبار
 المهديّ والنّجال، ونزول عيسى — عليه السلام — ومدة إقامته في الأرض ووفاته
 وما يكون بعده، وشيئا من أخبار الحشر والمعاد .

وانما ذكرت هذا الذيل في هذا الموضع — وإن كان غير داخل في فرق
 التاريخ — لأنّ النفوس لما كانت مائلة إلى الاطلاع على أخبار ماضى من الزمان
 ومن سلف من الأمم، فيلها إلى الاطلاع على ما يظهر في مستقبل الزمان أكثر
 وتتوقّفا إليه أوفر، فأوردت ما ذكره لهذا السبب، ولأنّ كتابنا هذا ليس مبناه
 على مجزؤ التاريخ بل هو كتاب أدب، لا تخرجه هذه الزيادة عن شرطه .



الباب الأوّل — في قصة موسى بن عمران وهرون عليهما السلام
 وغرق فرعون، وأخبار بني إسرائيل وخبر قارون وحروب موسى وخبر الجبارين
 وبقلم وغير ذلك .

الباب الثاني — فيما كان بعد موسى بن عمران — عليه السلام — وهو أخبار يوشع وخبر حزقيل وإلياس والبسع وغيللا وأشمويل وطالوت وجالوت وداود وسليمان — عليهم السلام — ومن بعدهم .

الباب الثالث — في أخبار سَعْيَا وإِزْيَاءَ وخبر ^{دويصة}مُجْتَنَصِرَ وخراب بيت المقدس وعمارته ، وما يتصل بذلك من خبر عَزْرَر .

الباب الرابع — في قصة ذى النون يونس بن متى — عليه السلام — وخبر بلوقيا .

الباب الخامس — في خبر زكريا ويحيى وعمران ومريم أبنته وعيسى ابن مريم عليهم السلام .

الباب السادس — في أخبار الحواريين الذين أرسلهم عيسى وما كان من أمرهم وخبر جريجيس .

التذييل على هذا القسم ، وفيه أربعة أبواب

الباب الأول — في ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم عليه السلام .

الباب الثاني — في خبر نزول عيسى إلى الأرض وقتل الدجال وخروج ياجوج وماجوج وإفسادهم وهلاكهم ، و وفاة عيسى عليه السلام .

الباب الثالث — في ذكر ما يكون بعد وفاة عيسى بن مريم إلى النفخة الأولى .

الباب الرابع — في أخبار يوم القيامة والحشر والمعاد والنفخة الثانية في الصور .

القسم الرابع

في أخبار ملوك الأصقاع ، وملوك الأمم والطوائف ، وخبر سبيل
العرم ؛ ووقائع العرب في الجاهلية ، وفيه خمسة أبواب

الباب الأول — في أخبار ذى القرنين المذكور في كتاب الله عز وجل .

الباب الثاني — في أخبار ملوك الأصقاع ، وهم ملوك مصر والهند
والصين والترك وجبل الفتح .

الباب الثالث — في أخبار ملوك الأمم من الأحاجم ، وهم ملوك الفرس
الأول ، وملوك الطوائف من الفرس ، والملوك الساسانية منهم ، وملوك اليونان
والسريان والكلدانيين والروم والصقالبة والتوردد^(١) والقرنجة والجلالفة وطوائف
السودان .

الباب الرابع — في أخبار ملوك العرب ، وما يتصل بها من خبر
سبيل العرم .

الباب الخامس — في أيام العرب ووقائعها في الجاهلية .

القسم الخامس

في أخبار الملة الإسلامية وذكر شيء من سيرة نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم —
وأيام الخلفاء من بعده — رضى الله عنهم — والدولة الأموية والعباسية والعلوية
وقدول ملوك الإسلام وأخبارهم ، وما فتح الله عليهم ، وفيه اثنا عشر بابا

(١) التوردد ، هم التوردد سكان لومبرديا ، وهم الإقليم المعروف في شمال إيطاليا انظر (تقويم البلدان)

س ٢٠٨ طبع أوروبا . وفي بعض الكتب : التوركد .

الباب الأول - في سيرة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

الباب الثاني - في أخبار الخلفاء من بعده : أبي بكر وعمر وعثمان

وعليؓ، وأبنة الحسن - رضى الله عنهم - .

الباب الثالث - في أخبار الدولة الأموية بالشام وغيره .

الباب الرابع - في أخبار الدولة العباسية بالعراق ومصر .

الباب الخامس - في أخبار الدولة الأموية بالأندلس ، وأخبار

الأندلس بعد اقتراض دولتهم .

الباب السادس - في أخبار إفريقية وبلاد المغرب ومن وليهما من

العمال ، ومن استقل بالملك .

الباب السابع - في أخبار من نهض في طلب الخلافة من الطالبين ١٠

في الدولتين : الأموية والعباسية قُتل دونها بعد مقتل الحسين بن عليؓ - رضى الله

عنهما - .

الباب الثامن - في أخبار صاحب الزنج والقرامطة والحوارج ببلاد

الموصل .

الباب التاسع - في أخبار من استقل بالملك والممالك في البلاد الشرقية ١٥

والشامية في خلال الدولة العباسية ، وهم ملوك خراسان وما وراء النهر والحبش

وطبرستان وغزنة والقويز وبلاد السند والمهند ، كالدولة السامانية ، والدولة

الصفارية ، والدولة الغزنوية ، والدولة القورية ، والدولة الديلمية الخنزية .

الباب العاشر - في أخبار ملوك العراق وما والاها ، وملوك الموصل

والديار الجزيرية والديار البكرية والبلاد الشامية والحلبية ، كالدولة الحمدانية ، والدولة ٢٠

الديلمية البويهية ، والدولة السلجقية ، والدولة الأتابكية .

الباب الحادى عشر - فى أخبار الدولة الخوارزمية والدولة الجنكرخانية
وهى دولة التار (جنكرخان وأولاده) وما نفع منها .

الباب الثانى عشر - فى أخبار ملوك الديار المصرية الذين ملكوا فى خلال
الدولة العباسية نيابة عن خلفائها، وهم الملوك الطولونية والملوك الإخشيدية، ومن
استقل بملكها وأقرعها وأخرجها من يد ثواب خلفاء الدولة العباسية، وهم الملوك
العبديون الذين آتسبوا إلى العلويين، وما كان من أمرهم من ابتدائه إلى آتتهائه
وما ملكوه من بلاد المغرب، وكيف آستولوا على الديار المصرية والبلاد الشامية
والثغور الساحلية، وأقراض دولتهم، وقيام الدولة الأيوبية وأخبار ملوكها بمصر
والشام إلى حين أقراضها، وقيام دولة الترك ومن ملك منهم وما حازوه من الأقاليم
وما فتحوه من الممالك وآستغذوه من أيدى الأفرنج والأرمن والتتار وضمهم
وما آستقر فى ملك هذه الدولة من الممالك إلى حين وضعنا لهذا التأليف فى سنة ...
وسبعائة فى أيام مولانا السلطان السيد الأجل المالك (الملك الناصر)، ناصر الدنيا
والدين، محمد ابن السلطان الشهيد المالك، الملك المنصور سيف الدنيا والدين
(قلاوون) الصالحى، خلده الله تعالى ملكه على ممر الزمان، وسقى عهد والده صوب
الرحمة والرضوان .

هذا جملة ما آشتمل عليه هذا الفن من الأقسام والأبواب، واهه تعالى المرشد
والهادى والموفق إلى الصواب، بمنه وكرمه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

(١) موضع هذه القطع الثلاث يابض بالأصول؛ والظاهر أن هذا اليابض من المؤلف نفسه؛ ولعل
سبب ذلك أن كتابه هذا لم يوضع فى سنة معينة يحددها، بل وضع فى سنين . والمعروف أن المؤلف
توفى فى سنة اثنين وثلاثين وسبعائة .

القسم الأول من الفن الخامس

- في مبدأ خلق آدم وحواء — عليهما السلام — ودخولهما الجنة، وما كان بينهما وبين إبليس — لعنه الله — وهبوطهما إلى الأرض واجتماعهما بعد الفقرة، وخبر حريمه وزرعها، وحمل حواء ووضعها، وخبر ابنى آدم هابيل وقابيل، ونبوّة آدم — عليه السلام — ووفاته، وخبر شيث وأولاده، وقصة إدريس ونوح وهود وصالح — عليهم السلام — وخبر أصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد، وخبر أصحاب الرّس وفيه ثمانية أبواب

الباب الأول — من هذا القسم في مبدأ خلق آدم وحواء — عليهما السلام — وما كان من أخبارهما إلى حين وفاتهما .

١٠ ذكر خلق آدم عليه السلام

- خلق الله تبارك وتعالى آدم — عليه السلام — من تراب، بدليل قوله عز وجل : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ) وقوله تعالى (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) وقوله تعالى إخباراً عن إبليس : (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) وهذا أمرين واضح لاخلاف فيه، ولا يحتاج إلى زيادة في إقامة دليل وإيضاح .

وقيل : إنما سُمي آدم لأن الله تعالى خلقه من أديم الأرض .

وعن وهب بن منبه أن راسه من الأرض الأولى، وعقه من الثانية، وصدره من الثالثة، ويديه من الرابعة، وبطنه ظهره من الخامسة، وثغفه ومذاكيره وعجزه من السادسة، وساقيه وقدميه من السابعة .

وعن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أن الله تعالى خلقه من
الأنفالم السبعة .

وقيل : إن عزرائيل أخذ من تراب الأرض كلها أبيضها وأحمرها وأسودها
وعصها ومالحها ، فهو مخلوق من ذلك التراب .

قال : ولما خلقه الله - عز وجل - وصوره على هذه الصورة الآدمية ، أمر
الملائكة أن يملوه ويضعوه على باب الجنة عند ممز الملائكة ، وكان جسدا لا روح
فيه ، فكانت الملائكة يسجدون من خلقته وصورته ، لأنهم لم يكونوا رأوا مثله قط
وكان إبليس يطيل النظر إليه ويقول : ما خلق الله تعالى هذا إلا لأمر . وربما
دخل فيه ، فإذا خرج قال : إنه خلق ضعيف ، خلق من طين أجوف ، والأجوف
لا بد له من معلم ومشرب .

ويقال : إنه قال للملائكة : ما تعملون إذا فُضِّل هذا المخلوق عليكم ؟ فقالوا :
نطعم أمر ربنا ولا نصيبه . فقال إبليس : إن فضله على لأعصيته ، وإن فضلى
عليه لأهلكته .

ذكر دخول الروح فيه

قال : ولما أراد الله تعالى نفخ الروح فيه أمر بروحه ففُصِّت في جميع الأنوار
وليس كأرواح الملائكة ولا غيرها من المخلوقات .

قال الله تعالى (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) الآية .

وقال تعالى : (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) الآية .

قال : فأمرها الله تعالى أن تدخل في جسد آدم بالتأتى دون الاستعجال
فأرأت مدخلا ضيقا حرجا ، قالت : يارب ، كيف أدخل ؟ فتوديت « أدخل
كزها وأخرجي كزها » . فدخلت من يافوخه إلى عينيه ، فتفتحها آدم ونظر إلى

- نفسه طينا، ثم صارت إلى أذنيه، فسمع تسبيح الملائكة، وجعلت الروح تتر
في رأسه والملائكة ينظرون إليه، ثم صارت إلى الخياشيم، فغطس، فأفتحت
المجاري المسدودة؛ وصارت إلى اللسان؛ فقال آدم: «الحمد لله الذي لم يزل
ولا يزول» وهي أول كلمة قالها. فناداه الرب: «يرحمك ربك يا آدم، لهذا
خلقتك، وهذا لك ولزيتك». وصارت الروح في جسده حتى بلغت الساقين،
فصار آدم لحما ودماء وعظاما وعروفا، غير أن رجله من طين؛ فذهب ليقوم فلم يقدر
وهو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ نَجْوًا﴾ .
- فلما صارت إلى الساقين والقدمين استوى قائما على قدميه يوم الجمعة .
- فقيل: إن الروح استوت في جسده في خمسمائة عام عند زول الشمس .

ذكر سجود الملائكة لآدم

١٠

قال: فلما استوى قائما أمر الله الملائكة بالسجود له؛ فسجدوا كلهم إلا
إبليس، كما أخبر الله تعالى عنه؛ قال الله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا
إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾
الآيات .

١٥

قال: وكان السجود لآدم يوم الجمعة عند الزوال، فبقيت الملائكة في سجودها
إلى العصر .

قال وطم الله تعالى آدم الأسماء كلها واللغات بأجمعها .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : مله حتى لغة الحيتان والضفادع

٢٠

وجميع ما في البر والبحر، ثم أمر الملائكة أن يحملوه على أكتافهم، ويطوفون به
في طرائق السموات؛ ففعلوا ذلك .

ثم أمر جبريل أن يتأدى في صفوف الملائكة أن يجتمعوا؛ فأجمعوا وأصطفوا
عشرين ألف صف، ووضع لآدم منبر الكرامة، وعليه ثياب السندس الأخضر
وله صغيرتان محشوتان بالمسك والعنبر بطوليه، وعلى رأسه تاج من ذهب مرصع
بالنز والجوهر؛ فانتصب على المنبر، وسلم على الملائكة، فأجابته برز السلام
وخطب فحمد الله، ثم ذكر علم السموات والأرضين وما فيهما، وذلك قوله
تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَعْلَمُ غَيْبَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

١٠. ونزل آدم عن منبره، فجيء يقطف من عنب أبيص فأكله، وهو أول شيء
أكله من طعام الجنة، ثم أخذته سنة فنام .

①

ذكر خلق حواء عليها السلام

قال : ولما نام آدم خلق الله تعالى حواء من جنبه الأيسر، من ضلعه مما يلي
الشرسوف، وهو ضلع أعوج، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فكانت على طول آدم وحسنة
١٥. وجماله، إلا أنها أرق جليدا منه، وأحسن صوتا، ولها ضفائر مرصعة محشوة بالمسك
تسمع لنوائها خشخشة، فجلس عند رأسه، فأنبه فراها، فتمكّن حبها من قلبه؛
فقال : يارب، من هذه ؟ قال : أمتي حواء . فقال : يارب لمن خلقتها ؟ قال :
لمن أخذها بالأمانة، وأصدقها الشكر . قال : يارب، أنا أقبلها على هذا فزوجنها .
٢٠. فزوجها إياه قبل دخول الجنة على الطاعة والتقوى والعمل الصالح، وقرّنت عليهما

- الملائكة من نثار الجنة، وأوحى الله إلى آدم، أن أذكر نعمتي عليك، فلما خلقتك ببدع فطرتي، وسويتك بشرا على مشييتي، ونفخت فيك من رُوحى، وأعجبتُ لك ملائكتي، وحملتُك على أكافهم، وجعلتك خطيبهم، وأطلقتُ على لسانك جميع اللغات، وجعلت ذلك كله نفرا وشرفا لك، وهذا إبليس قد أبسته ولعنته حين أبى أن يسجد لك، وقد خمنتُ كرامتي لك بأمتى حواء، وقد بنيتُ لكما دار الحيوان من قبل أن أخلقكما بالثى عام، على أن تدخلها بعهدى وأمانتى.

ذكر عرض الأمانة على آدم عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

- قال : وهى أن يكافوا على الإحسان، ويعذبوا على الإساءة؛ فأبوا؛ فعرضتُ على آدم، فقيل له : إن أطلعتُ كافأئك بالإحسان، وخدعتُك فى الختان ؛ وإن تركتُ عهدى أخرجتك من دارى، وعذبْتُك بنارى . فقيل آدم الأمانة، فعجب الملائكة من ذلك؛ ثم مثَّل له ولحواء إبليس، وقيل له : ﴿ هَذَا عَدُوُّكَ وَإِزْوَجَكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ .

- ثم ناداهما الرب : إن من عهدى إليكما وأمانتى أن تدخلوا الجنة ﴿ فكلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فقبلا هذه المهود كلها . ثم أمر الله تعالى بإدخالهما الجنة، فحمل آدم على الفرس الميمون، وحواء وراءه على الناقة، والملائكة عن اليمين والشمال وأمامهما وخلفهما حتى بلغوا باب الجنة ودخلا واستقرا بيمينه عدن فى وسط الجنة بعد أن طافا بالختان، فقدم إليهما من

٢٠ (١) ألبسه الله : أياسه من رحمة ؛ يستعمل متعديا كما هنا ولازما .
(٢) دار الحيوان ، أى دار الحياة الدائمة .

فواكه الجنة فأكلا ، فكانا في الجنة نعمة عام من أعوام الدنيا في أتم السرور وأنعم الأحوال .

ذكر خبر إبليس والطاوس والحية

قال : ولما سمع إبليس أن الله تعالى أباح لآدم أن يأكل من ثمار الجنة إلا شجرة واحدة ، فرح بذلك ، وقال : لأخرجكما من الجنة . ثم مرة مستخفيا في طرقات السموات حتى وقف على باب الجنة ، فإذا الطاوس قد خرج من الجنة وله جناحان إذا نشرهما غطى بهما سدة المنتهى ، وله ذنب من الزمرد الأخضر على كل ريشة منه جوهرة بيضاء ، وعينه من الياقوت الأحمر ، وهو أطيب طيور الجنة صوتا وتغريدا ، وكان يخرج ويترقى السموات يحترق في مشيته ويرجع إلى الجنة .

فلما رآه إبليس كلمه بكلام لين ، وقال : أيها الطائر العجيب الخلق الطيب الصوت ، من تكون من طيور الجنة ؟ فقال : أنا الطاوس ، فالك أيها الشخص كأنك مرحوب تخاف من طالب يطلبك ؟ قال إبليس : أنا من ملائكة الصفيح^(١) الأصل من زمرة الكروبين ، وقد أحبت أن أنظر إلى الجنة وإلى ما أعد الله فيها لأهلها فهل لك أن تدخلني الجنة وأنا أعلمك ثلاث كلمات من قائلها لا يهرم ولا يسقم ولا يموت ؟ فقال له : وأهل الجنة يموتون ؟ قال : نعم ويسقمون ويهرمون إلا من

كانت عنده هذه الكلمات ، وحلف له على ذلك ، فوثق به الطاوس ولم يفلح أحدا يخلف بالله كاذبا ، فقال : ما أحوجنى إلى هذه الكلمات ، غير أنني أخاف أن يستخبرني (رضوان) عنك ، ولكنني أبعث إليك الحية فإنها سيده دواب الجنة .

(١) الصفيح : من أسماء السماء .

(٢) الملائكة الكروبون بفتح الكاف ، هم سادة الملائكة ، وهم القربون . قيل : إنهم سموا الكروبين لأنهم هم المصدرون للقاء . بفتح الكاف عن الناس .

(١١) قال : وجاء الطاوس إلى الحية وهي يومئذ على صورة الجمل ، ولما زغب كالعقريّة ما بين أبيض وأحمر وأسود وأخضر ، ولما عُرف من اللؤلؤ ، وفواؤب من الياقوت ورائحة كرائحة المسك والعتبر ، وكان مسكنها في جنة الماوى ، وكانت تسير آدم وحوّاء في الجنة ، وتخبرهما بالأشجار .

- فلما أخبرها الطاوس بالخبر أسرع الحية نحو باب الجنة ، فتقدم إبليس إليها وقال لها كقوله للطاوس ، وحلف لها ، فقالت : حسبك ، ولكن كيف أدخلك ؟ فقال : إني أرى ما بين ناييك فُرجة ، وهي تسعني . ففتحت الحية فاهًا ، فوثب وقعد بين ناييها ، فصار نايها إلى آخر الهر سماء ، وضمت الحية شفتيها ، ودخلت الجنة ولم يكلمها رضوانٌ للقضاء السابق ، فلما توسطت الجنة قالت : أخرج وعجل . قال : إن حاجتي من الجنة آدم وحوّاء ، فاني أريد أن أكلمهما من فيك ، فإن لم تفعل ذلك فما أعلمك الكلمات ، بفاءت إلى حواء فقال إبليس من فيها : يا حواء ، ألت تعلمين أتى معك في الجنة ، وأحدثك بكل ما فيها ، وأنا صادقة في كلّ ما حدّثُكِ به ؟ قالت حواء : نعم ؛ قال إبليس : يا حواء ، أخبريني ما الذي أحلّ لكما ربكما من هذه الجنة وحرّم عليكما ؟ فأخبرته بما نهاهما عنه ؛ فقال إبليس : لماذا نهاكما عن شجرة الخلد ؟ فقالت حواء : لا أعلم بذلك ؛ قال : أنا أعلم ، إنما نهاكما لأنه أراد ألا يفعل بكما ما فعل بالعبد الذي ماواه تحت شجرة الخلد .

هذا وحوّاء تظنّ أن الخطاب لها من الحية ؛ فوثبت حواء عن سريرها لتنتظر إلى العبد ، فخرج إبليس من فيها كالبرق ، فقعد تحت الشجرة ، فأقبلت

(١) العقري : الطاوس الثنان ، الواحدة عقريّة .

حواء فوقفت بالبعد منه ونادته : مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الشَّخْصُ ؟ قَالَ : خَلَقْتُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، خَلَقْتَنِي مِنْ نَارِ كَمَا تَرِيْنِي ، وَأَنَا فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ مِنْذُ أَلْقَى عَامٌ ، خَلَقْتَنِي كَمَا خَلَقْتَكَ بِيَدِهِ ، وَفُتِحَ فِي مِنْ رُوحِهِ ، وَأَعْبَدْتَنِي مَلَائِكَتُهُ ، وَأَسْكَنْتَنِي جَنَّتَهُ ، وَنَهَانِي عَنْ أَكْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَكُنْتُ لَا أَكُلُ مِنْهَا ، حَتَّى نَصَحْتَنِي بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ وَقَالَ لِي : كُلِّي مِنْهَا ، فَإِنَّ مِنْ أَكْلِ مِنْهَا كَانَ غُلًّا فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا . فَأَكَلْتُ مِنْهَا ، فَأَنَا فِي الْجَنَّةِ إِلَى وَقْتِي هَذَا ، قَدْ أَمِنْتُ الْمَرَمَ وَالسَّعْمَ وَالْمَوْتَ وَالْخُرُوجَ مِنَ الْجَنَّةِ .

ثم قال : وَاقِهِ (مَا نَهَاكَ رَبُّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) ثم نادى : يَا حَوَاءُ اسْبِقِي وَكُلِي قَبْلَ زَوْجِكَ ، فَمِنْ سَبَقِ كَانَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَى صَاحِبِهِ . فَأَقْبَلَتْ حَوَاءُ إِلَى آدَمَ وَهِيَ مُسْتَبْشِرَةٌ فَرَحًا ، فَأَخْبَرَتْهُ بِخَبَرِ الْحَيَاةِ وَالشَّخْصِ ، وَأَنَّهُ قَدْ حَلَفَ لَهَا بِأَنَّهُ لَهَا مِنَ النَّاصِحِينَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقَسَمْتُهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمَنِ النَّاصِحِينَ) ؛ وَتَقَدَّمَتْ حَوَاءُ إِلَى الشَّجَرَةِ وَلَهَا أَغْصَانٌ لَا تَحْمِي ، وَعَلَى الْأَغْصَانِ سَنَابِلٌ ، كُلُّ حَبَّةٍ مِنْهَا مِثْلُ قَلِيلِ حَبِّ جَوْشَنِ ، وَلَهَا رَائِحَةٌ كَالْمِسْكِ ، أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ؛ فَأَخَذَتْ مِنْهَا سَبْعَ سَنَابِلَ مِنْ مِثْلَةِ أَغْصَانٍ ، فَأَكَلَتْ وَادَّخَرَتْ وَاحِدَةً ، وَجَاءَتْ بِمِثْلِهَا إِلَى آدَمَ .

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : لَمْ يَكُنْ لآدَمَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ وَلَا إِرَادَةٌ بَلْ كَانَتْ فِي سَابِقِ الْعِلْمِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) . فَتَنَاوَلَ آدَمُ السَّنَابِلَ مِنْ يَدِهَا ، وَقَدْ نَسِيَ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فِتْنَتِي وَلَمْ يَجِدْ لَهُ مَعْرَظًا) فَذَاقَ مِنَ الشَّجَرَةِ كَمَا ذَاقَتْ حَوَاءُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) .

(١) حجر : ناحية البحرين كلها ؛ وهي سرورة بالقلل التي كانت تحلب منها إلى الهدية .

- قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : والذي نفسي بيده ما ساغ آدم من تلك السنابل سنبلة واحدة حتى طار التاج عن رأسه، وعري من لباسه، وأقرعت عنه خواتمه، وسقط كل ما كان على حواء من لباسها وحليها وزينتها، وناداهما كل ما طار عنهما : « يا آدم طال حزنك ، وعظمت رزيتك ، وطبك السلام إلى يوم اللقاء » . ولم يبق عليهما من لباسهما شيء ، ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا مَدُونٌ مُبِينٌ ﴾ ؛ ونظر كل منهما إلى سوءة صاحبه ؛ وهرب إبليس فصار مستخفيا في طرائق السموات ، وصاح آدم صيحة عظيمة ، ولم يبق في الجنة شيء إلا لاهه ، وأقبضت عنه الأشجار ؛ فلما كثرت عليه الملامات مرّ هاربا على وجهه ، فألتفت عليه شجرة الطلع وأمسكته ونادته : إلى أين تهرب يا عاصي ؛ وأضطربت الملائكة لذلك ؛ والله الموفق للصواب .

ذكر خروج آدم وحواء من الجنة



- قال : وأمر الله جبريل بقاء إلى آدم وقبض على ناصيته ، وخلصه من الشجرة ؛ فلما صار به إلى باب الجنة وأخرج رجله اليمنى وبقيت اليسرى ، نودى : يا جبريل قف به على باب الجنة حتى يخرج معه أعداؤه الذين حملوه على أكل الشجرة لكي يراهم ويرى ما يفعل بهم . فوقفه هناك ، فتاداه الرب : يا آدم إنما خلقتك لتكون عبدا شكورا ، لا لتكون عبدا كفورا . قال : يا رب أسألك أن تعيدني إلى تربتي التي خلقتني منها لا يكون زوايا كما كنتُ أوّل مرة . قال : يا آدم ، كيف أعيدك إلى تربتك وقد سبق علي أن أملا من ظهرك الجنة والنار .
- وأخرج آدم حواء وقد أستترت بورقة من ورق الجنة بإذن الله ؛ فلما رأت آدم صاحت وقالت : يا لها من حسرة ؟ فوفقت خارج الجنة ، ثم أتى بالطاوس وقد

طعته الملائكة حتى قطعتم ريشه، وجبريل يحزّه ويقول: اخرج من الجنة خروجه الأبد، فإنك شؤم أبدا ما بقيت؛ ثم أتى بالحية وقد جذبتها الملائكة جذبا شديدا، وهي ممسوخة "مبطوحة" على بطنها لا قوائم لها، وصارت ممدودة مشوّهة، ومنعت النطق فصارت خرساء، مشقوقه اللسان، فقالت لها الملائكة: لا رحمك الله ولا رحم من يرحمك .

ثم حُجِبَتْ حواء عن آدم من هناك؛ ومر به جبريل في طرائق السموات، ونظرت إليه الملائكة عريانا ففزعته منه، وقالت: الهنا، هذا آدم بديع فطرتك أهله عزته . وآدم قد ترك يده اليمنى على رأسه، واليسرى على سوائه، ودموعه تجري على خديه، وكلبا مر على ملا من الملائكة يوتخونه على هض عهد ربه وميثاقه، وأكثروا عليه في الملامة والتوبيخ؛ فقال لهم: يا ملائكة ربّي، ارحموني ولا توتخوني، فالذي جرى عليّ بقضاء ربّي، حيث قال: ((إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) الآية .

ذكر سؤال إبليس — لعنه الله تعالى —

قال: وقال إبليس: يارب أضللتني وأغويتني وأبستني، وكان ذلك في سابق علمك ((فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ «إلى يوم الوقت المعلوم» وهي النسخة الأولى، ((قَالَ فَمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا يَنبَغُ مِنْ يَدَيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)) . قال الله تعالى ((اخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأ جهنم منكم أجمعين)) .

قال إبليس: أنظرني فاين يكون مسكني؟ قال: إذا هبطت إلى الأرض فسكنك المزابل. قال: فما قراءتي؟ قال: الشعر والغناء. قال: فما مؤذني؟ قال: المزمار.

قال : فاعلمى ؟ قال : ما لم يُذكر اسمى عليه . قال : فاشرابى ؟ قال : الخمر .
 قال : فابقي ؟ قال : الحمامات ؛ قال : فاجلسى ؟ قال : الأسواق . قال : فاشعارى ؟ قال : لعتى . قال : فادئارى ؟ قال : سخطى . قال : فامصايدى ؟
 قال : النساء . قال : فومرتك لا أنزعت عجة النساء من قلوب بنى آدم أبدا .
 قيل له : يا ملعون ، فإن ربك لا يقرع التوبة من ولد آدم حتى يتغضر بالموت ،
 (فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَچِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) .

ذكر سؤال آدم — عليه السلام —

قال : فعند ذلك قال آدم : يارب هذا إبليس قد أعطيتَه النظرة ، وقد أقسم
 بزمك أنه يُنقى أولادى ، فبأذا أحترز من مكايده ؟ فنودى ، يا آدم ، إني قد
 مننتُ عليك بثلاث خصال ، واحدة لى ، وهى أن تعبدنى لا تشرك بى شيئا ؛
 ١٠ وواحدة لك ، وهى ما علمت من صغيرة أو كبيرة من الحسنات فك بالחסنة عشر
 وإن علمت سيئة فواحدة بواحدة ، وإن استغفرتنى غفرتنى وأنا الغفور الرحيم ؛
 ⑤ وواحدة بينى وبينك ، وهى أن منك المسألة ومنى الإجابة ، فأبسط يدك وأدعنى
 فإنى قريب مجيب .

١٥ فصاح إبليس حسدا لآدم وقال : كيف أكيد ولد آدم الآن ؟ فنودى :
 يا ملعون (وَأَسْتَفِيزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْتِكَ وَرَجِلِكَ
 وَشَارِكُهمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِندَهُمْ مَا يَكْتُمُونَ) . قال
 إبليس : زدنى يا رب ؛ قال لا يولد لآدم ولد إلا يولد لك سبعة : قال : رب
 زدنى ؛ قال : زدتك أن تجرى منهم مجرى الدم فى عروقهم ، وتسكن فى صدورهم .
 فقال : يارب حسبي ؛ ثم قال علام أهيط إلى الأرض ؟ قال : على الإياس من
 ٢٠ رحمتى .

قال : ثم نظر آدم إلى الحبة وقال : ربّ هذه اللبنةُ هي التي أعانت عدوى عليّ، فهاذا أهوى عليها ؟ قليل له : قد جعلتُ مسكنها الظلمات ، وطعامها التراب فلذا رأيتموها شُدخَ رأسها .

وقيل للطاوس : مسكنك أطراف الأنهار ، ووزقك تما تنهت الأرض من حبّها ، وألقى عليك الحبة حتى لا تموت .

ذكر سؤال حواء — عليها السلام —

قال : ثم قالت حواء : إلهي خلقتني من ضلَع أعوج ، وجعلتني ناقصة العقل والدين والشهادة والميراث ، وضربتني بالنجاسة ، وحرمتني الجمعة والجماعات ؛ — وذكَرتُ مشقة الحمل والولادة — فأسألك أن تعطيني مثل ما أعطيتهم .

فقيل لها : قد وهبتُ لك الحياة والأنس والرحمة ، وكتبْتُ لك من ثواب الحمل والولادة ما لو رأيته لفرزت به عيناك ، فأى امرأة ماتت في ولادتها حشرتها في زمرة الشهداء . قالت : حسبي يارب .

قال : ثم أمر الله بعد ذلك أن يهبطوا إلى الأرض ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَفَلَنَّا أَهْبَطُوهَا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . فهبط آدم من باب التوبة ، وحواء من باب الرحمة ، وإبليس من باب اللعنة ، والطاوس من باب الغضب ، والحية من باب السخط ، وكان ذلك وقت العصر .

قال السديّ : فمن هذه الأبواب تزل التوبة والرحمة واللعنة والغضب والسخط .

قال وهب : خلق الله آدم يوم الجمعة ، وفيه دخل الجنة وأقام فيها نصف يوم مقدار نعمة الله عام ، وأهبط بين الظهر والعصر من باب يقال له (المبرم) وهو حذاء البيت المعمور .

(١) كذا ورد هذا القسط في الأصول الثلاثة وكتاب الكسائي المنقول عنه هذا الكلام .

قال كعب : أهبط آدم إلى بلاد الهند على جبل من جبالها يقال له (بُود) وهو جبل محيط بأرض الهند ؛ وأهبطت حواء بُحَّة ، وإبليس بدستيسان^(١) ، والحية أصفهان ، والطاوس بالبحر ؛ ففرق الله بينهم فلم يربعضهم بعضا حينا ، ولم يكن على آدم يوم أهبط إلا ورقة من أوراق الجنة ، فذرثها الرياح في بلاد الهند فصارت معدنا للطبيب .

وأخذ آدم في البكاء مائة عام حتى نبت من دموعه السود والزنجبيل والصندل والكانفور وأنواع الطيب ، وأمتلأت الأودية بالطيب الأشجار ؛ وبكت حواء نبت من دموعها القرنفل والأفأويه ؛ وكانت الريح تحمل كلامه إليها وكلامها إليه .

ثم أنبت الله - عز وجل - لأدم الشجر والحقية ، وكان قبل ذلك أجرد وجسده كالفضة ، فألم لذلك ألما شديدا .

قال وهب : أول من علم بهبوط آدم من حيوان الأرض النسر ، وكان قد ألف الحوت ، فجاء إليه وقال له : إني رأيت اليوم خلقا عظيما يتقبض وينهبط ، ويقوم ويقعد ، ويحيى ويموت . فقال الحوت : إن كان ما تقول حقا فقد حان ألا يكون لي معه مقر في البحر ولا لك في البر ، وهذا الوداع بيني وبينك . فجاء النسر إلى آدم وألقاه ، وجاءه الوحش والطير وألقوه وبكوا لبكائه دهورا طويلا ، فلما أخرجهم ذلك نفروا عنه ولم يبق عنده إلا النسر وحده وهو لا يفتر عن البكاء .

قال وهب : بكى آدم حتى بككت الملائكة لبكائه وقالوا : « إلهنا أقبله عثرته » .

(١) دستيسان : كورة بين واسط والبصرة والأمواز .

قال : وبقي من دموعه في الأرض — بعد أن كَفَّ عن البكاء — ما شربه
الوحش والطير والموثمة مائة عام ؛ وكان لدموعه رائحة كالإسك ، ولذلك كثر الطيب
في الهند .

❶

وقال كعب : بكى آدم ثلاثمائة عام لا يرفع رأسه إلى السماء وهو يقول : " إلى
بأى وجه أنظر إلى السماء " . فأنهم الله سائر الحيوانات أن تأتي لآدم وتعزيه
في مصيبتة ، فعزاه جميعها ونهته عن البكاء ، وأمرته بالتسبيح والتقديس .

ذكر توبة آدم عليه السلام

قال : فعند ذلك أمر الله تعالى جبريل أن يهبط على آدم ، وقال له : « إن آدم
بدعَ فطرقى قد أبكى أهل السموات وأرضى ، ولا يدكر ضيرى ، ولم يخف سوى ، وهو
أول من حمدنى ، وأول من دعانى باسمائى الحسنى ، وأنا الرحمن الذى سبقت رحمتى
غضبى ، وهذه الكلمات قد خصصتُ بها آدم لتكون له توبة ، وتخبره من الظلمات
إلى النور » . فهبط عليه جبريل بالكلمات ولما نور عظيم ، فقال : « السلام عليك
يا طویل البكاء والحزن » ؛ فلم يسمعه آدم لفيلان صدره ؛ فناداه بصوت رفيع :
السلام عليك يا آدم . وأمرته جناحه على صدره ووجهه حتى هذا من بكائه ، وسمع
الصوت فقال : أبتداء السخط تنادى ، أم ابتداء الإحسان والغفران ؟ قال : بل
ببتداء الرحمة والغفران ، يا آدم : لقد أبكىت ملائكة السموات والأرض ، فدونك
هذه الكلمات ، فإنها كلمات الرحمة والتوبة .

قال كعب : كانت الكلمات ما قالها يونس في ظلمات ثلاث : (لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص — رضى الله عنهما — كانت : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا
أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

وقال ابن عباس — رضى الله عنهما — : كانت « لا إله إلا أنت سبحانه وبحمده ، عملتُ سوءا وظلمتُ نفسي فُتِبَ عليّ يا خير التوابين » .

قال الله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

قال : فلما قالما آدم أنتشر صوته في الافاق ، فقالت الأرض والشجر والجبال :

- « أقر الله عينك يا آدم ، وهناك الله بتوبتك » . وأمره الله أن يبعث بالكلمات إلى حواء ، فحملتها الرجح إليها ، فقالتا ، فتاب الله عليهما .

قال : ولما فرغ آدم من الدعاء والسجود قال له جبريل : ارفع رأسك . فرفعه

وإذا قد رُفِعَ له حجاب النور ، وفتحت له السموات ، ونودى بالتوبة والرضوان

وقيل له : يا آدم ، إن الله قد قبل توبتك . فذهب ليقوم فلم يقدر لأنه كان

- ١٠ قد رَسَبَ في الأرض كمروق الشجر ، فاقتطعه جبريل ، فصاح صيحة شديدة للألم الذي أصابه ، وقال : « ماذا تفعل الخليفة » ؟

ثم ضرب جبريل بجناحه الأرض فأفجرت عين ماء معينٍ برائحة كالملك

فأغسل آدم منها ، ثم كساه الله خلتين من سندس الجنة ، وبعث الله تعالى ميكائيل

إلى حواء ، فبشرها بالتوبة ، وكساها كذلك ؛ وسأل آدم جبريل عنها ؛ فأخبره أن الله

- ١٥ قد قبل توبتها ، وأنه يجمع بينهما في أشرف الأعياد وأكرم البقاع .

قال : وأمر الله عز وجل الملائكة والحيوانات أن يقربوا من آدم ليهتئوه

فأنوه وهتأوه كما كانوا عزوه .

ثم أمر الله تعالى جبريل أن يضع يده على رأس آدم ليقصر من طوله ، وكان

إذا قام وصل رأسه إلى السماء ، فيسمع تسبيح الملائكة ، فلما قصر أعظم لفقد

- ٢٠ ذلك ، فقال له جبريل : لا يَمُكُ ذلك فإن الله يفعل ما يريد .

وامره الله ببناء بيت يحاذي البيت المعمور ليطوف به هو وأولاده من بعده
كما رأى الملائكة تفعل حول البيت المعمور؛ فبناه .

وقد ذكرنا صفة بنيانه في الباب الثاني من القسم الخامس من الفن الأول من
هذا الكتاب في خصائص البلاد ، وهو في السفر الأول ، فلا حاجة إلى إعادته
ههنا . فلنذكر غير ذلك .

قال : وسار آدم من موضعه إلى موضع البيت ؛ والله الهادي .

ذكر أخذ الميثاق على ذرية آدم — عليه السلام —

قال : وأوحى الله تعالى إلى آدم : أتى أريد أن آخذ على وديعتي التي في ظهرك
الميثاق ، فأحاطت الملائكة بآدم في أحسن صورهم ، فوقعت الرعدة على آدم
من الخوف ، فضمّه جبريل إلى صدره ، وأضطرب الوادي وأرتج ، فقال جبريل :

اسكن فإنك أول شاهد على الميثاق الذي يأخذه الله على ذرية آدم . فسكن ، ومسح
الله تعالى على ظهر آدم كما شاء ، وقال : « انظر يا آدم إلى من يخرج من ظهرك »
فأول من إدر وكان أسرع خروجاً نبينا عهد — صلى الله عليه وسلم — فأجاب بالتيه
ونادى إلى ذات اليمين وهو يقول : أنا أول من يشهد لك بالتوحيد ، ويقرّ لك
بالسبودية ، وأشهد أتى عبدك ورسولك . فهو — صلى الله عليه وسلم — أول الأنبياء
في الخلق ، وآخرهم في البعث ، وفي ذلك من الحكمة الإلهية والقدرة الربانية ما لم
يخف على ذي لب وفهم ، وليس هنا موضع ذكر ذلك . ثم أجابت الطبقة الثانية
من النبيين والمرسلين نبياً بعد نوح في نورهم وجاهتهم ، ثم خرجت زمرة من المؤمنين
بيض الوجوه ، معلنين بالتوحيد ، فوقفوا دون النبيين .

ثم مسح الله مسحة أخرى نخرج (قابيل) بن آدم مبادراً وقد تبعه أهل الشمال
فوقفوا ذات الشمال كلهم سود الوجوه . ثم قيل لآدم : « انظر إلى ولدك هؤلاء

لتعرفهم بأسمائهم وأزمانهم» فنظر إلى أهل اليمن فضحك منهم، وبارك عليهم؛ ونظر إلى أهل الشمال فلعنهم وصرف وجهه عنهم؛ ثم أَسْتَظَنَّهُم اللهُ تعالى فقال :
 ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ وأقرنا .

- قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : أما أهل اليمن فأجابوا بالسرعة، وأما أهل الشمال فأجابوا بالتأفل . قال الله تعالى « يا ملائكتي أنشهدوا على نذرية آدم بأنهم اتروا أنى ربهم لا يصعدوننى شيئا، وأن آدم قد بارك على أهل يمينه، ولعن أهل شماله، فاهل اليمن فى جنتى برحقى ، وأهل الشمال فى النار بما جحدوا من حقى » .
 ثم ردهم الله إلى ظهوره كما أخرجهم بقدرة .

- قال وهب : إذا كان يوم القيامة وحُشِرَ الخلق لفصل القضاء قيل : يا آدم،
 ١٠ « ابست بعت الجنة إلى الجنة، وبعث النار إليها » . فيعرفهم بصورهم وأسمائهم ؛
 فيقول : « نعم يارب » ؛ ويراهم كما رآهم فى النذرية ، ويُخِيل عليهم بوجهه ويقول :
 أَتَسِمُّ عَهْدَ رَبِّكُمْ وشهادتكم له بأنه الله الواحد الأحد؟ فيقولون ما أخبرنا الله تعالى
 به عنهم : ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً
 مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ يمتنون قابيل بن آدم ، لأنه أول من عصى ربه ؛ ثم يقولون : (رَبَّنَا
 ١٥ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ)
 يمتنون إبليس وقابيل ؛ فيقبض آدم يشاله من كل ألف تسمائة وتسعة وتسعين إلى
 النار، وواحدا يمينه إلى الجنة؛ ثم يقول : يارب هل وفيت ؟ فيقال له : نعم
 ادخل الجنة برحقى .

ذكر اجتماع آدم بحواء

- ٢٠ قال : وأقبل ملك إلى حواء وهى جالسة يمينه على ساحل البحر ، فقال لها :
 « خذى لباسك وأطلقى إلى الحرم » ؛ ثم رمى لها بقميص ونحو من الجنة، وتواری

عنها حتى ليست القميص وتخرت بالجار ، ومضت إلى مكة فدخلت الحرم من شرقه يوم الجمعة من شهر المحرم ، فأمرها الملك أن تقعد على جبل المروة ، وإتسا سميت المروة لقعود المرأة عليها .

قال وهب : دخلت حواء الحرم قبل آدم بسبعة أيام ، ودخل آدم من غربي مكة وحواء من شرقها ، فصار آدم إلى جبل الصفا ، فناداه : « مرحبا بك يا صفي » الله ، « فسمي الصفا لذلك ، وناداه الرب : يا آدم ، فقال : « ليك اللهم ليك ليك لا شريك لك ليك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » . فصار ذلك سنة في الحج والعمرة .

ثم أوحى الله إليه : « اليوم حرمت مكة وما حولها » . فهي حرام إلى يوم القيامة . فقال آدم : يارب ، إنك وعدتني أن تجمع بني وبين حواء في هذا المقام . فتودى : إنها أمامك على المروة ، وأنت على الصفا ، فأ نظر إليها ولا تمسها حتى تقضى المناسك . فهبط آدم إليها ، وألقيا ، وفرح كل منهما بصاحبه ، وسعى هو من الصفا ، وسعت هي من المروة ، فكانا يجتمعان بالنهار ، فإذا أسيا رجع إلى الصفا ، ورجعت إلى المروة ، فكانا كذلك حتى دخل ذو القعدة ، فأعاد آدم التلبية وعقد الإزار ، ولم يزل يلبي حتى دخل ذو الحجة ؛ فهبط جبريل وعلمه المناسك وكساه ثوبا أبيض لإحرامه ، وطاق به ، وعرفه المناسك ، وأمره أن يطوف بالبيت سبعا ، فلما فعل ذلك قال له جبريل : « حسبك يا آدم قد أحلت » ؛ فأطلق آدم إلى حواء فأجتمع بها في ليلة الجمعة فحملت من ساعتها .

(١٧)

قال كعب : ما حملت حواء حتى رأت الحيض فقزعت وأخبرت آدم بذلك فتمنعا من الصلاة أيام حيضها حتى يتقطع الدم ؛ ثم جاءها ملك فوقها على زمر

وقال لادم : اركض يركبك في هذا الموضع . فركضها ، فاضجرت الأرض بإذن الله حين ماء معين ؛ فكبر آدم وحواء ، وهمت أن تشرب فتمنها وقال : « حتى يأذن لي ربي » . فأخسك حواء ، وكان في ذوائبها بقية من مسك الجنة ، ففاحت الدنيا .

ذكر إبناء آدم وزرعه وحرته

- قال : ثم أوحى الله تعالى إلى آدم : « أتك إن لم تمر هذه الدنيا لم يعمرها أحد من أولادك ، فأعمرها » . فبنى له مسكاً يأوى إليه هو وحواء ؛ ثم أخذ بعد ذلك في الحرث والزرع وحفر الآبار ؛ وجاءه جبريل بالحبة وهي حل قدر بيض النعام ، يبيض في لون الثلج وأحلى من العسل ؛ وجاءه بشورين من ثيران الفردوس وجاءه بالحديد ؛ فلما نظر آدم إلى الحب صاح صيحة عظيمة ، وقال : مالي ولهذا الحب الذي أخرجني من الجنة .

قال : « هذا رزقك في الدنيا ، لأنك اخترت في الجنة ، فهو غذاء لك ولنزيتك » .

- ثم قال له جبريل : يا آدم ، قم فكن حراثاً زراة ، وأناه بالنار وقد غمسها في سبعين ماء حتى اعتدلت وكنت في الحديد والحجر ، وأمره أن يوقد النار ويؤين الحديد ، ويتخذ منه مطرقة وسندان ، ففعل ؛ ثم اتخذ مديدة يذبح بها ، وفاساً يحضر بها ويكسر ، وعراثاً يحث به الأرض ، ونيراً ؛ كل ذلك وجبريل يعلمه .

- قال وهب : أول ما اتخذ آدم من الحديد سنداناً ومطرقة وكلبتان ؛ ثم اتخذ بعد ذلك آلة التجارة ، وأناه جبريل بكش من الجنة ، فحضره آدم ، وأكل هو وحواء من لحمه ، واتخذوا مقراضاً فجراً به الصوف من الكباش ، وغزلاه ، واتخذوا منه

جبتين بغير كمين ، وكساءين ، فأكتسى كل واحد منهما جبّة وكساء ، فلما مست جلدهما خشونة الصوف بكيا شوقا إلى السندس والإستبرق ؛ فقبل لهما : « هذا لباس أهل الطاعة في الدنيا » . وجرى بالأنجبار التي ذكرناها في الفن الرابع من هذا الكتاب ، وهو فنّ النباتات ؛ وقد قدّمنا ذكرها فيما سلف منه .

وعن كعب أن الذي جاء بالحَبّ ميكائيل ، لأنّه الموكّل بالحَبّ والقَطَر والنبات .

قال : فقام آدم فعقد الثَّير على عنق الثورين ؛ ثم حرت وبذر ، وكان يقف على الزرع ويقول : متى يدرك ؟ . فيسمع هاتفا يقول : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ؛ وكان الزرع في طول النخل ، والسنبلة في طول مائة ذراع ، بيضاء كالفضّة .

قال كعب : فلما استحقّ الزرع كان آدم يحصد ، وحواء تجمع ؛ ثم علم آدم الدراسة والتذرية والطحن والعجن والخبز ؛ ثم أكلا وشربا فأصابتهما الفخمة والقرقرة في بطونهما ؛ فتجشأ آدم جُشَاء متغيّرا ، وتغيّر عليه بدنه وتقلّ ؛ فلما تقلّت عليهما بطونهما أمرهما الملك أن يتبرّزا إلى الصحراء لقضاء الحاجة ؛ فلما رآيا ذلك من أنفسهما بكيا بكاء شديدا ، وقالوا : « هذا الذي أورثنا ذنبنا » .

ثم أمرهما الملك أن يسحبا بالمدر ، ثم يفتسلا بالماء ؛ ثم علمهما الوضوء فتوضّأ وضوء الإسلام ؛ ثم أمرهما بالصلاة ، فكان أوّل صلاة صلاها آدم الظهر .

وكان آدم ربّما اشتغل عن صلاته ولا يعرف الأوقات ، فأعطاه الله ديكاً ودجاجة ، فكان الديك أبيض^(١) أفرق أصفر الرجلين ، كالثور العظيم ، وكان يضرب بجناحه عند أوقات الصلاة ويقول : سبحان من يسبحه كل شيء سبحان الله وبحمده ، يا آدم : الصلاة يرحمك الله .

(١) الديك الأفرق : ذو الرقين ، أى إن عرقه مفروق .

قال : وأخذ آدم في الفرس حتى غرس كل ما على وجه الأرض من أنواع الثمار والأشجار ، وأخذت الأرض زهرتها ، وكان آدم يأكل من بقول الأرض ونباتها .
قال وهب : أول بقلة زرعها آدم الهندباء ، وأول ما زرع من الرياحين الحناء ، ثم الآس .

• ذكر حمل حواء — عليها السلام — وولادتها •

قال : وواقع آدم حواء في ليلة الجمعة ، فحملت بذكرواثنى ، وأسقطتهما في الشهر الثامن ، فكان أول سقط في الدنيا ؛ ثم حملت ثانيا كذلك ، فأصابها مثل الأول ؛ ثم حملت ثالثة . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَشَاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَنَزَتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : بفاء إبليس إلى حواء وقال : أتحين أن يعيش في بطنك ؟ قالت : ١٠
نعم . قال : سميه (عبد الحارث) .

وقال ابن حبيب عن ابن عباس : أنها لما وضعت جاء إبليس وقال : ألا تسميانه بأسمى ؟ قالت له حواء : ما أسمك ؟ فذهب ولم ينسم ، ثم عاد إليهما فقال : كيف تريدان أن تسمياه ؟ فلا : سميه (عبد الله) . قال : أنظنان أن الله يترك عبده عندك إن سميتاه (عبد الله) ، لا والله لا يدعه عندك حتى يقبضه ، ولكن سمياه (عبد شمس) فإنه يبقى ما بقيت الشمس . فأطاعاه وسمياه (عبد شمس) ؛ فمات صغيرا . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَهُ لَكُمُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ .

قال وهب : أوحى الله إليهما « أنكما أطعنا إبليس في هذه التسمية ، فهلا سميتاه عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد الرحيم » فخرضا لذلك جزوا شديدا ، وقالوا :
« لاحتاجة لنا في هذا المولود » . فأما الله .

ثم حملت بذكر وأثى، فلما وضعتهما سمّتهما (عبد الله) (وأمة الله)؛ ثم وضعت بطنا آخر فسمّتهما (عبد الرحيم) (وأمة الرحيم)؛ ولم تزل كذلك حتى وضعت مائة بطن؛ ثم وضعت بعد ذلك هابيل وأخته في بطن، ثم قابيل وأخته في بطن، حتى وضعت عشرين ومائة بطن ذكر وأثى، فتناسلوا وكثروا .

• ذكر مبعث آدم — عليه السلام — إلى أولاده

قال : ثم بعث الله عزّ وجلّ آدم إلى نزيته رسولا ، وذلك في أوّل ليلة من شهر رمضان، وخصّه بالوحى، وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة فيها سور مقطّعة الحروف ، لا يتصل حرف بحرف ، وهو أوّل كتاب أنزل ، وهو بألف لغة فيها الفرائض والسنن والشرائع والوعد والوعيد وأخبار الدنيا ، وبين له فيها أهل كل زمان وصورهم وسيرهم ، وما يحدث في الأرض حتى المسأكل والمشرّب . ١٠

ثم أمره الله تعالى أن يكتبها بالقلم ، فأخذ جلود الضأن فدفنها حتى صارت رقاً ، وكتب فيها الحروف التسعة والعشرين ، وهى فى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، أوّلها (١) : معناها، أنا الله الواحد الأحد الذى لم يزل . (ب) : بديع السموات والأرض . (ت) : توحد فى ملكه ، وتواضع كلّ شيء لعظمته . (ث) : ثابت لم يزل ولا يزال . (ج) : جميل الفعال ، جواد ، جليل المقال . (ح) : حلّيم على من عساه ، حميد عند من أنساه . (خ) خير بيواطن الأشياء وظواهرها ، خالق كلّ شيء . (د) : ديان يوم الدين ، دان من خلقه . (ذ) : ذو الفضل العظيم ، والعرش المجيد ، ذو العلول القديم . (ر) : ربّ الخلائق رزاق رءوف رحيم . (ز) : زوّاع زرع من غير بذّر ، زائد لمن شكر ، زين كلّ شيء برحمته . (س) : سريع الحساب ، سميع الدعاء ، سريع الإجابة . (ش) : شديد العقاب والبطش ، شاهد ٢٠

- كُلَّ نَجْوَى . (ص): محمد صادق الومد. (ض): ضياء السموات والأرض، ضمن لأوليائه المغفرة . (ط): طالب من أخلص له من المطيعين، طوبى لمن أطاعه . (ظ): ظهر أمره، وظفر أهل محبته بالجنة . (ع): علم عالم علام علا بالربوبية . (غ): غياث المستغيثين، غنى لا يفتر . (ف): (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)، فرد ليس له شريك . (ق): قيوم، (قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)، قدِير قاهر . (ك) كريم .
- كان قبل كل شيء، كائن بعد كل شيء، كافى كل بلية . (ل): (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)، وله الخلق والأمر . (م): مالك يوم الدين، متكبر محسن مجود متين معبود من قبل ومن بعد . (ن): نور السموات والأرض ناره مُعَدَّة لأهل عذابه . (و): ولى المؤمنين، ويل لمن عصاه، (وَيْلٌ لِلطَّافِئِينَ) . (هـ):
- هادى هدى من الضلالة من قدر له ذلك برحمته ومشيته، (لا): لا إله إلا الله الواحد القهار، الذى لا إله إلا هو العزيز الحكيم . (ى): يعلم ما فى السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وما تخفى الصدور .

قال: فلما نزلت هذه الحروف علمها آدم لولده، فتوارثها ولده، إلى أن بعث الله تعالى إندريس، وأنزل عليه خمسين صحيفة، وأنزل عليه هذه الحروف .

ذكر قتل قابيل هابيل

١٥



قال: ودعا آدم أبنيه (هابيل) (وقابيل) - وكان يحبهما من بين أولاده - فذكر لهما ما كان من أمره ودخوله الجنة، وسبب خروجه، وغير ذلك، ثم أمرهما أن يقربا قربانا، وكان هابيل صاحب غنم، وقابيل صاحب زرع، فأخذ هابيل من غنمه كبشاً سميناً لم يكن فى غنمه خير منه، فجعله قرباناً، وأخذ قابيل من زرعه أدنانه فقتره، فترأت من السماء ناراً بيضاء لا حر ولا دخان فيها، فأحرق قرباناً

٢٠

هابيل ، ولم تحرق قربان قابيل ، فداخله الحسد من ذلك ، وقال : إن أولاد هذا
تفتخر على أولادى من بعدى ، فواحه لأقتله . قال الله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
أَبْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ
إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

قال : ثم رجعا من متى — وهو موضع القربان — يريدان أباهما وهابيل أمام
قابيل ، فسمد قابيل إلى حجر فضرب به رأس أخيه (هابيل) فقتله ، ثم مر على
وجهه هاربا . قال الله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ ؛ وإذا هو بمرأين قد أقتلا ، فقتل أحدهما الآخر ، وجعل يمشى
في الأرض برجليه حتى حفر حفرة ودفن فيها المقتول ؛ فقال قابيل في نفسه ما أخبر
الله تعالى به عنه : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعْمَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْفَرَابِ قَاوَارِي سَوَاءَ أُنِى
فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

فلما أبطل على آدم نخرج في طلبهما ، فأصاب هابيل مقتولا ، فساهه ذلك
وأغتم غما شديدا ، وكانت الأرض لما شربت دمه تغيرت الأشجار عن نصارتها ،
فيقال : إن آدم قال :

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى لون وطعم * وقل بشاشة الوجه المليح
قتل قابيل هابيل أخاه * فوا أسقى على الوجه الصبيح^(١)

(١) تسكين اللام في قوله : « قتل » للضرورة ؛ وقد ورد هذا البيت في كثير من الكتب بروايات

أخرى وزادات على هذه الأبيات .

ثم حمل آدم هايل على عاتقه وهو باك ، ثم دفنه ، وبكى عليه هو وحواء أربعين يوما ، فأوحى الله تعالى إليه أن كُفَّ عن بكائك ، فأتى ساهب لك غلاما زكيا على صورة هايل يكون أبا النبيين والمرسلين . فسرى عنه ، وجامع حواء فحملت يشيث وأسمه (هبة الله) فلما وضعته كان على صفة هايل وصورته ؛ فلما ترعرع وبلغ بعث الله تعالى له قضييا من سدرة المنتهى في صفاء الجوهر ، وورق الله شيئا الأولاد في حياة آدم ؛ والله أعلم .

ذكر وفاة آدم — عليه السلام —

قال : وكان آدم لما أخرج الله تعالى القدية من ظهره رأى داود — عليه السلام — وحسن صورته ، فسأل عنه وعمّا رزقه الله تعالى من العمر ؛ فقيل له : إنه نبي الله داود ، وإن عمره الذي كتب الله له أربعون سنة . فقال : يارب زد في عمره . قال : ذلك الذي كتب له . فقال : يارب فأتى قد وهبته من عمري ستين سنة . فلما انقضى من عمره تسعمائة سنة وأربعون سنة أتاه ملك الموت ، فقال له آدم : قد عجلت علي ، لأن ربّي كتب لي ألف سنة . قال : ألم تهب منها لولدك داود ستين سنة ؟ قال : لا . قال : فحمد آدم وسجدت ذريته من بعده ، ونسى فنسيته .

وقيل في عمر داود : ستون سنة ، وإن آدم وهبه أربعين سنة ؛ والله أعلم . ١٥

فلما استكمل عدته أمر الله بقبض روحه ، فعهد إلى ابنه شيث وأوصاه ، وسلم إليه التابوت ، وكان فيه تمط من الجنة أبيض أهده الله تعالى لآدم ، فيه صور الأنبياء والفراصة من ذريته ؛ فنشر آدم التمث وأراه لأبنه شيث ، فنظر إليه ، ثم أمر بطيه ووضع في التابوت ؛ وعهد آدم إلى طاقات من شعر لحيته فوضعها في التابوت وقال له : يا بني ، إنك لا تزال مظفرا على أعدائك ما دامت هذه الشعرات سودا ٢٠

فإذا أبيضّت فاعلم أنك ميت ، فأوص إلى خير أولادك . وأوصاه بقتال أخيه قاييل .

ثم قبض الله تعالى نية آدم في يوم الجمعة بعد أن استكمل ألف سنة ، وصلى عليه الملائكة صفوفاً ، وصلى عليه شيث ، ودُفن — عليه السلام — .

وقيل : كانت وفاته بالهند ، فلما كان زمن الطوفان حمل نوحٌ معه تابوت آدم في السفينة ، ثم دفنه بيت المقدس .

ذكر وفاة حواء

قال : ولما توفى آدم — عليه السلام — لم تعلم حواء بموته حتى سمعت بكاء الوحش والسباع والطير ، ورأت الشمس منكسفة ، فقامت من قبتها فزعة أن يكون حلٌ بشيث ما حلّ بهاييل ، وصارت إلى قبة آدم فلم تره ، فصاحت صيحة عظيمة ، فأقبل إليها شيث وعزّاها وأمرها بالصبر ، فلم تصبر دون أن صرخت ولطمت وجهها ودقت صدرها ، فأورثت ذلك بنتها إلى يوم القيامة ، ثم لُزمت قبره أربعين يوماً لا تطعم ، ثم مرضت مرضاً شديداً ودام بها حتى بكت الملائكة رحمة لها ، ثم قبضت — رحمة الله عليها — فسلها بناتها ، وكُفّنت من أكفان الجنة ودُفنت إلى جنب آدم — عليهما السلام — ورأسها إلى رأسه ، ورجلاها عند رجليه .

وقيل : كانت وفاتها بعد مضي سنة من وفاة آدم .

الباب الثاني من القسم الأول من الفئ الخامس

في خبر شيث ابن آدم — عليهما السلام — وأولاده

قال : ولما مات آدم — عليه السلام — أسند وصيته إلى ابنه شيث ، وكان تماً وأوصاه به التمسك بالعروة الوثقى ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، والإيمان بمحمد رسول الله ،

- وقال له : يا بني ؛ إني رأيت اسمه مكتوبا على سُرادق العرش وأبواب الجنان وأطباق السموات وأوراق شجرة طوبى ؛ فهذه وصيتي إليك . ثم نزع خاتمه من أصبعه ودفعه إليه ، وتسلم منه التابوت ، ثم قال له : إن الله سيعطيك ثوب المجاهدة ، لحارب أخاك قابيل ، فإن الله تعالى ينصرك عليه . وكان شيث حين الوصية إليه ابنَ أربعمائة سنة ، فاطاعه أولاد أبيه ، وصار إليه القرس الميمون ، وكان آخرَ عجَلا إذا صهل أجابته الدواب كلها بالتسبيح .

ذكر قتال شيث قابيل

- قال : ثم أمر الله تعالى شيث بن آدم بقتال قابيل ، وكان قابيل قد اعتزل في ناحية من الأرض ، فعمَّرها ، وخدع أختاه فاحبَلها ، ورزق منها أولادا كثيرة فسار إليه شيث بجميع أولاده ، وتقلد سيف أبيه ، وكان بين يديه عمود من الباقوت تمحله الملائكة بضئ بالليل والنهار ؛ وسار وقد أحذقت به الملائكة ؛ فتوجه إبليس إلى قابيل وأعلمه خبر أخيه ، فتأهب للقائه وقد داخله الفزع ؛ ثم جاء شيث فقابله ، فأقتلا ، فأنكب قابيل على وجهه ، فأخذه شيث أسيرا ، وأسر جماعة من أولاده .
- ثم أقبلت الملائكة إلى قابيل فسلكوه في سلسلة من سلاسل جهنم ، وظلوا يده إلى عنقه ، وساقوه بين يدي شيث مُهاناً وهو يقول : يا شيث احفظ الرِّحم بيني وبينك . فقال : لا رِّحمَ بيننا بعد أن قتلَ أخاك ظلما .
- ثم أمر شيث الملائكة فساقوه مفلولا إلى عين الشمس بالمنرب ، فلم يزل مواجها للشمس حتى مات كافرا ، وصارت ذريته عبيدا وإماء لشيث وأولاده .
- ثم أخذ شيث بعد ذلك في عمارة المدن حتى بنى نيفا على ألف مدينة ٧ . في كل مدينة منارة ينادى عليها : (لا إله إلا الله ، آدم صفوة الله ، محمد رسول الله) .

وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر هو وأولاده ، حتى عمرت الدنيا ؛ وأزل
الله تعالى على شيث خمسين صحيفة ، فكانوا يقرأونها ويمثلون بما فيها من غير عدواة
ولا تباغض ولا تحاسد ولا فسق بينهم ؛ وكان إبليس يحسد شيثاً وأولاده ، فأقبل
إبليس إليه في صورة امرأة حسناء ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : امرأة أرسلني
الله إليك لتزوجه بي ، ولست من بنات آدم . فقال : إن ربي لم يأمرني بذلك
ولا أخبرني عنك ، وما أظنك إلا إبليس . فضحك وقال : إنما أنا امرأة من نساء
الجنة ، ولا تمس ربك وتزوج بي ؛ وجعل إبليس يترنن له حتى كاد يفتنه ؛ فنادته
الملائكة : يا بني الله ، إنه عدوك إبليس . فقبض شيث عليه وهم بقتله ؛ فقال :
خل عني فإني من المنظرين ، ولكن أعطيك الميثاق أني لا أتمرض إليك بعدها .
فأطلقه ولم يعد إليه .

١١

وولد لشيث (أنوش) على طوله وحسنه ؛ فجعله شيث مكانه والخليفة من
بعده ، وسلم إليه التابوت ، وأوصاه بقتال أولاد قاييل .
ومات شيث وله سبعمائة سنة وعشرون سنة .

وقيل : بل عاش بعد آدم مائتي سنة ، وعهد إلى ابنه (أنوش) فقام على
أولاده بالطاعة ثلاثمائة عام .

وعهد من بعده إلى ابنه (قَيْنَان) ، فعمر بعد أبيه مائتين وخمسين سنة .

وعهد إلى ابنه (مهلائيل) ، وكثر في زمانه بنو آدم ، وكان متعلم الحرم
فضاق بهم ، فقسم الأرض بينهم خمسة أقسام ، وأرسل خمسة نفر من صلحاء
قومه يقيمون لهم شرائع آدم — عليه السلام — ويتولون الحكومة بينهم ، وهم
وَدَّ وسَوَاعْ وَيُثُوْثُ وَيَمُوْقُ وَنَسْرُ ، وهؤلاء الذين لما قُتِلُوا بلغ من وجَد قومهم

٢٠

عليهم أن جعلوا لم تماثل يتسلون بها؛ وتراى الأمر إلى أن عبدها القرن الذى
تلام، فكان ذلك هو السبب لعبادة الأوثان .
ثم قام بالأمر بعد (مهلائيل) أبنته (أختوخ)، وهو إدريس .

الباب الثالث من القسم الأول من الفتن الخامس

• فى أخبار إدريس النبي — عليه السلام —

وأسمه أختوخ، وإسمه سُمي إدريس لكثرة دراسته الكتب؛ وهو أول من
بُعث من بنى آدم؛ وهو أول من خط بالقلم بعد شيث، وأول من كتب
فى الصحيفة؛ وكان مشغلا بالعبادة وبمجالسة الصالحين حتى بلغ فأفرد للعبادة،
بفعله الله تعالى نبيا، وأُتزل عليه ثلاثين صحيفة، وورثه صحف شيث وقابوت آدم.

• وكان يعيش من كسب يده؛ وكان خياطا، وهو أول من خاط الثياب ولبسها
وكانوا قبل ذلك يلبسون الجلود، حتى أتت عليه أربعون سنة، فبعثه الله تعالى إلى
أولاد قابيل، وكانوا جبابرة، وقد أشتهلوا باللهو والفناء والمزامير والطناير وغير
ذلك، وعبدوا الأصنام؛ وكان إدريس يدعوهم ثلاثة أيام، ويمد الله أربعة .

• وحكى عن وهب أنه أول من اتخذ السلاح، وجاهد فى سبيل الله، ولبس
الثياب، وأظهر الأوزان والأيكال، وأثار علم النجوم .

• وكان إدريس شديد الحرص على دخول الجنة، وكان قد رأى فى الكتب
أنه لا يدخلها أحد دون الموت، فبينما هو يسبح فى عبادته إذ عرض له ملك الموت
فى صورة رجل فى نهاية الجبال؛ فقال له إدريس: من أنت؟ قال: عبدٌ من
عبيد الله أعبدك كعبادتك . وأصطحبا، فكان إدريس يأكل من رزق الله، وهو
لا يطعم شيئا؛ فسأله عن ذلك؛ فأخبره أنه ملك الموت؛ فقال له: جئت لقبض

رُوحى؟ قال: لا، ولو أمرنى الله بذلك ما أمهلتك، ولكنه أمرنى أن أصطحبك.
فسأله إدريس أن يقبض روحه؛ فقال له: وما تريد بذلك ولوت كربٌ عظيم؟
قال: لعل الله تعالى يمينى فأكونَ أكثرَ في عبادته. فأمره الله قبض روحه
فقبضها، وأحياه الله تعالى لوقته.

ثم قال إدريس له بعد حين: هل تستطيع أن تَقْنَى على جهنم؟ قال:
ما حاجتك إلى ذلك ولما من الأهوال ما لا تطيق أن تنظر إليه، وما لى سبيل إلى
ذلك، ولكنى أقفك على طريق مالك خازنها، والله أعلم بحاجتك. فاحتمله
ووقفه على طريق مالك، فلما رآه كثر في وجهه، فكادت رُوحه تخرج، فأوحى الله
— عز وجل — إلى مالك: وعزنى وجلالى لا رأى عبدى إدريس بعد كشرتك

سوما، إرجع إليه وقفه على شفير جهنم ليرى ما فيها. فوقفه مالك على شفيرها
ونظر إلى ما فيها من الأهوال، فلولا أن ثبته الله تعالى لصيق؛ ثم أعاده إلى مكانه،
فاحتمله ملك الموت إلى الأرض، فعبد الله عز وجل حيناً؛ ثم قال لملك الموت:
هل لك أن تدخل الجنة لأرى ما أعد الله تعالى لأهل طاعته من النعيم؟ فقال:

حاجتك إلى الله تعالى، ولكنى أحلك وأقف على طريق رضوان خازن الجنان
فسأله حاجتك. ففعل ذلك؛ فلما رآه رضوان قال: من هذا؟ قال: إدريس بنى
الله يريد أن ينظر إلى نعيم الجنان. قال: «ذلك إلى ربى». فأوحى الله تعالى إلى
رضوان: أتى قد علمت ما يريد عبدى إدريس، وقد أمرتُ غصنا من أغصان
شجرة طوبى أن يتدلّى إليه فيلتفّ به ويدخله الجنة، فإذا دخل فأقعدَه على
موضع؛ فلما دخلها إدريس ورأى ما فيها من النعيم قال له رضوان: أخرج الآن.

قال له إدريس: أيدخل الجنة من يخرج منها؟ فحاجته في ذلك، فأرسل الله تعالى
له ملك الموت، فقال له إدريس: ما حاجتك؟ إنك لن تُسلطَ على قبض روحى

مرتين، فاذهب . فرجع ملك الموت إلى ربه عز وجل وقال : الهى قد علمت ما قال إدريس . قال الله تعالى : إنه حاجك بكلامى، فذره فى جنتى . فذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

هذا ما أورده الـكـسائى - رحمه الله - فى كتاب المبتدأ ^(١) .

- وتقل الشيخ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التلمبى - رحمه الله - فى كتابه المترجم (بيواقيت البيان فى قصص القرآن) وفى تفسيره أيضا فى سبب رفع إدريس عليه السلام، قال : وكان سبب رفعه على ما قال ابن عباس - رضى الله عنهما - وأكثر الناس : أنه سار ذات يوم فأصابه وَّجَّع الشمس، فقال : يارب إني مشيت يوما فتأذيتُ منها، فكيف من يحملها خمسمائة عام فى يوم واحد؟! اللهم خفف عنه من ثقلها، وأجل عنه حرها . فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وخفة حرها ما لا يعرف؛ فقال : يارب، خلقتنى لـحمل الشمس، فما الذى قضيت فى؟ فقال : أما إنا عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك ثقلها وحرها، فأجبت . قال : يارب أجمع بينى وبينه، وأجل بينى وبينه خلة . فاذن الله تعالى له ؛ فأتى إدريس حتى إن إدريس ليسأله، فكان مما سأله أن قال : أخبرتك أنك أكرم الملائكة عند ملك الموت وأمكنهم عنده، فأشفع لى إليه أن يؤخر أجل فأزداد شكرا وعبادة . فقال الملك : لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها . قال إدريس : قد علمت ذلك، ولكننى أطيب لنفسى . قال : نعم أنا مكلّمك لك، فما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بنى آدم فهو فاعله لك . ثم حمله ملك الشمس على جناحه ، فرفعه إلى السماء

(١) كتاب الكسائى الموجود بدار الكتب المصرية غير مكتوب عليه هذا العنوان المذكور، بل كتب

على إحدى نسخته (كتاب الرائس قصص الأنبياء) وعلى نسخة أخرى (قصص الأنبياء) . وهو هذا الكتاب قسه الذى ذكره المؤلف ، وهذا الاختلاف فى التسمية إنما وقع من النساخ .

ووضعه عند مطلع الشمس؛ ثم أتى ملك الموت، فقال : لى إليك حاجة . قال :
أفضلُ كُلِّ شىءٍ، أستطيعه . فقال له : صديق لى من بنى آدم يتشقق بى إليك أن
تؤخر أجله . فقال : ليس ذلك لى، ولكن إن أحببتُ أعلِّمه أجله مى يموت
فيتقدم فى نفسه . قال : نعم . فنظر فى ديوانه، فأخبره بأسمه، فقال : إنك كُنتَ لى
فى إنسان ما أراه يموت أبدا . ثم قال : لى لأجله يموت عند مطلع الشمس .
قال : فلأنى أتيتك وتركتُه هناك . قال : فأَنتَ لى فأنطلق فإنه قد مات ، فوالله ما بقى من
أجل إدريس شىء . فرجع الملك فوجده ميتا .

قال : وقال وهب : كان يُرفع له فى كُلِّ يوم من العبادة مثلُ ما يرفع لأهل
الأرض فى زمانه . فعجبتُ منه الملائكة، فأشفاق إلى ملك الموت ، فأستأذن الله
تعالى فى زيارته، فأذن له، فأناه فى صورة غلام؛ وكان إدريس يصوم الدهر كله
فلما كان فى وقت إنطاره دعاه إلى الطعام، فأبى أن يأكل معه، وفعل ذلك ثلاث
ليالٍ ، فقال له إدريس فى الليلة الثالثة : لنى أريد أن أعلم من أنت . قال :
أنا ملك الموت ، استأذنت ربى أن أزورك وأن أصاحبك، فأذن لى فى ذلك .
فقال له إدريس : لى إليك حاجة . قال : وما هى؟ قال : أقبض رُوحى؛ فأوحى
الله تعالى إليه : «أقبض روحه» . ففعل، ثم رَدَّها الله تعالى إليه بعد ساعة، فقال
له ملك الموت : فما الفائدة فى سؤالك قبضَ الروح ؟ قال : لأنذوق كرب الموت
ونغمه فأكونَ له أشدَّ استعدادا .

ثم قال : لى إليك حاجة أخرى، قال : وما هى؟ قال : ترفنى إلى السماء لأنظر
إليها وإلى الجنة والنار . فأذن الله تعالى له فى ذلك، فلما قرب من النار قال :
لى إليك حاجة . قال له : وما تريد ؟ قال : تسأل مالكا حتى يفتح لى أبوابها
فأردها . ففعل ؛ ثم قال له إدريس : فكأ أرى تبنى النار فأرى الجنة . فذهب إلى

- الجنة فاستفتح، فَتَنَحَّثَ لَهُ ابوابها، فادخله الجنة؛ فقال له ملك الموت : اخرج منها لتعود إلى مقرِّك . فتعلَّقَ بِشَجَرَةٍ وَقَالَ : لا أخرج منها . فبعث الله تعالى ملكا حكما بينهما؛ فقال له الملك : مالك لا تخرج ؟ قال : لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وقد ذُقْتُهُ . وقال : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ وقد وردتُها . وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴾ فلستُ أخرج . قال الله تعالى لملك الموت : دعه فإنه إذنى دخل الجنة، وبأمرى يخرج . فهو هناك، فتارة يعبد الله في السماء الرابعة، وتارة ينتقم في الجنة .

الباب الرابع من القسم الأول من الفتن الخمس

في قصة نوح — عليه السلام — وخبر الطوفان

(١٨)

- ١٠ قال الكائن — رحمه الله تعالى — قال وهب بن منبه : لما رفع الله تعالى إدريس — عليه السلام — ترك إدريس في الأرض ولده متوشلح، فتزوج بأمرأة يقال لها : (ميشاخا) ؛ فولدت له ولدا سماه (لَمَك) ، وكان يرجع إلى قوة وبطش وكان يضرب بيده الشجرة العظيمة فيقتلعها من أصلها ، وكان على وجهه نور نيتا عهد صلى الله عليه وسلم ؛ فخرج في يوم إلى البرية فرأى امرأة في نهاية الجبال وبين يديها غم ترعاها، فأعجبته، فسألها عن نفسها، فقالت : أنا فينوش بنت براكيل بن محويل من أولاد قابيل بن آدم . فقال : ألك زوج ؟ قالت : لا . قال : فما سنك ؟ قالت : مائة وثمانون . قال : لو كنت بالغة لتزوجتك — وكان البلوغ يومئذ لاستيفاء مائتي سنة — فقالت : كان عندي أنك تريد أن تفضحنى، فأما إنا أردت الزواج فقد أتى على مائتا سنة وعشر سنين . فخطبها من أبيها، وأرغبه بالمال؛ فزوجه بها فحملت منه بنوح — عليه السلام — فلما كان وقت الولادة ولدته في غار خوفا على
- ٢٠

تقسما وولدها من الملك لكونها تزوجت بمن ليس منهم؛ فلما وضعت هناك وأرادت
الانصراف قالت : وأنوحاه . وأنصرفت ، فبقى في القار أربعين يوما ؛ ثم توفي
أبوه لملك ؛ فأحتلمته الملائكة ووضعت بين يدي أمه مزيّنا مكحولا ، ففرحت به
وربته حتى بلغ .

وكان ذا عقل وعلم ولسان وصوت حسن ، واسع الجبهة ، أسيل الخد ، وكان
يرعى الغنم لقومه مئة ، وربما عالج التجارة ؛ ثم كره مجاورة قومه لعبادتهم الأصنام .
وكان لهم ملك يقال له درمشيل ؛ وكان جبارا عاتيا قويا ، وهو أذل من
شرب الخمر وأتخذ القهار وقعد على الأسرة وأتخذ الثياب المنسوجة بالذهب وأمر
بصنعة الحديد والنحاس والرصاص ؛ وكان هو وقومه يعبدون الأصنام الخمسة :
ودا وسواعا وينوث ويسوق وتشرا ؛ ثم أخذ ألف صنم وسبعمائة صنم على صور
شتى ، وأخذ لها كراسي من الذهب والفضة ، وأقام لها الخدم يخدمونها ؛ فاعترلم
نوح إلى البرارى ولم يخاطبهم حتى بعث الله تعالى نبيا ؛ والله أعلم بالصواب .

ذكر مبعث نوح عليه السلام

قال : فأمر الله تعالى جبريل - طيه السلام - أن يهبط إلى نوح ويشره بالنبوة
والرسالة ؛ فهبط جبريل عليه ، وجاءه بوحى الله أن يسير إلى درمشيل الملك وقومه
ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى ؛ فأقبل نوح إلى قومه من يومه - وكان يوم عيدهم
وقد نصبوا أصنامهم على أسرتها وكراسيها ، وهم يقربون القرابين لها ، وكانوا إذا
فعلوا ذلك يمزجون لها سجدا ويشربون الخمر ، ويضربون بالصنح ، ويأتون النساء
كالبهائم من غير تستر - فجاءهم وهم يزيدون على تسعين زمرة ، كل زمرة لا يخصصون
كثرة ، فأحترق الصنوف حتى صار في وسط القوم ، وسأل الله تعالى أن ينصره

عليهم ؛ فلما أرادوا السجود للأصنام نادى : أيها القوم ، إني قد جئتكم بالنصيحة من عند ربكم أدعوكم إلى عبادته وطاعته ، وأنها كم عن عبادة هذه الأصنام (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) . فخرقت دعوته الأسماع ، وهوت الأصنام عن كراسيها ، وسقط الملك عن سريره منشياً عليه ، فلما أفاق قال : يا أولاد قابيل ، ما هذا الصوت الذى لم أسمع مثله ؟ قالوا : أيها الملك ، هذا صوت رجل منا أسمه نوح بن لَمَك . كان يماننا قبل ذلك يحنونه ، والآن قد أشد عليه فقال ما قال . فنضب الملك وأستدعاه ، فأتوه به بعد أن ضربوه بالضرب الشديد ؛ فقال له : من أنت ، فقد ذكرت ألهتنا بسوء ؟ قال : أنا نوح بن لَمَك رسولُ رب العالمين ، جئتكم بالنصيحة من عند ربكم لتؤمنوا به وبرسوله ، وتهجروا هذه الأصنام والقبائح . فقال درمشيل : إنك قد جئتنا بما لا نعرفه ، ولا نستقد أنك عاقل ، فإن كان بك حجة فداويك أو فرفنايسك . قال : يا قوم ، ما بى جنون ولا حاجة إلى ما فى أيديكم ، ولكنى أريد أن تقولوا : لا إله إلا الله وإنى نوحُ رسولُ الله . فنضب درمشيل وقال : لولا أنه يوم عيد لقتلتك .

فأول من آمن به امرأة من قومه يقال لها : (عَمْرَة) فتزوجها فأولدها

- ١٥ (ساما) (وحاما) (وإيفت) وثلاث بنات ؛ ثم آمنت به امرأة أخرى من قومه يقال لها : (والمة) فتزوجها فأولدها كتمان ؛ ثم نافقت وعادت إلى دينها .

وكان نوح يخرج فى كل يوم فى أندية لقومه يدعومهم إلى عبادة الله تعالى فيضربونه حتى يُغتنى عليه ، ويميزون رجله فيلقونه على المزابيل ، فلذا أفاق عاد إليهم بمثل ذلك ، ويعاملونه بمثله ؛ حتى أتى عليه ثلاثمائة سنة وهو على هذه الحال ؛ ثم

- ٢٠ مات ملكهم درمشيل ، وملك بعده أبسه بولين ، وكان أحن وأطنى من أبيه — وكان نوح يدعومهم فى القرن الرابع على عادته ، فيضربونه ويشتونه ، وربما سقوا

عليه التراب ويقولون : إليك عنا يا ساحر يا كذاب . ويضعون أصابعهم في آذانهم ؛ فيصرف عنهم ويعود إليهم ، وإذا خلا بالرجل منهم دعاه ، وهم لا يزدادون إلا عتوا وعمزدا وأستكبارا ، وذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبًّا وَتَبَّارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَمْسَقُوا بِنَابِئِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ الْآيَات ۝

ثم دعاهم حتى استكمل ستة قرون ، فلما دخل القرن السابع مات ملكهم (بولين) وأستخلف عليهم ابنه (طفردوس) — وكان على عتو أبيه — وكان نوح يأتي أصنامهم بالليل وينادي بأعلى صوته : يا قوم ، قولوا (لا إله إلا الله ، وإني نوح رسول الله) . فتنگس الأصنام ، وكانوا يضربون نوحا ضربا شديدا ، ويدوسون بطنه حتى يخرج الدم من أفه وأذنيه ؛

وكان الرجل منهم عند وفاته يوصي أولاده يأخذ عليهم العهد ألا يؤمنوا به ؛ ويأتي الرجل بابنه إلى نوح ويقول : يا بني أنتظر إلى هذا فإن أبي حلني إليه وحذرتني منه ، فأحذر أن يريك عما أنت عليه فإنه ساحر كذاب . وهو بعد ذلك يدعوهم ؛ فضجت الأرض إلى ربها وقالت : ما حملك على هؤلاء ؟ وخب كل شيء إلى ربه من عتوهم ، ونوح يدعوهم ويذكرهم بآيات الله ؛ فلما كان في بعض الأيام إذا هو برجل من كبار قومه قد أقبل بولده يحذره منه ؛ فضرب الفلام بيده إلى كف تراب وضرب به وجه نوح ، فعند ذلك قال نوح رب لا تذر علي الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا . فامتت الملائكة على دعوته ، فنع الله عنهم القطر والنبات ؛ فلم نوح أن الله مهلك قومه ؛ فأحب أن يؤمن بعضهم إن لم يؤمنوا كلهم ؛ فأوحى الله تعالى

إِلَيْهِ : (أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلَ لِيَأْخُذَ بِأَعِينِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَحْطِئْ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) .

ذكر عمل السفينة

قال : وأوحى الله تعالى إليه أن يتخذها في ديار قومه ، وأن يجعلها ألف ذراع طولا وبسمائة عرضا وثلاثمائة ارتفاعا ، فأخذ آلات التجارة ، وشرع في عملها . وأطاعه أولاده ومن آمن من قومه ، والناس يسخرون منه ويقولون : بعد النبوة صرت نجارا ، ونحن نشكو القحط ، وأنت تبنى للفرق . قال الله تعالى : (وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكَلَّمَ مَرْءًا عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ؛ وكانوا يأتون السفينة بالليل فيشعلون فيها النار ولا تحترق ، فيقولون : هذا من سحر يانوح .

١٠

وجعل نوح رأس السفينة كراس الطاوس ، وعنفها كعنف النسر ، وجوؤها بكؤجؤ الحمامة ، وكوئلها كذئب الديك ، ومتقارها كمتقار البازي ، وأجنتها كأجنحة العقاب ؛ ثم غشاها بالزفت ، وجعلها سبع طبقات لكل طبقة باب ؛ فلما فرغ من بنائها طلقت بإذن الله وقالت : لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين ، أنا السفينة ، من ركني نجا ، ومن تخلف عني غرق ، ولا يدخلني إلا أهل الإخلاص . فقال نوح لقومه : أتؤمنون ؟ قالوا : هذا قليل من سحر . ثم استأذن ربه في الحج ، فأذن له ؛ فلما خرج هم القوم بإحراقها ، فأمر الله الملائكة فأحملوها إلى الهواء ، فكانت معلقة حتى عاد من حججه . ولما قضى مناسكه رأى تابوت^(١) آدم عن يمين الكعبة ، فسأل ربه في ذلك التابوت فأمر الملائكة لحملوه إلى دار

١٥

(١) كذا في كتاب الكسائي المنقول عنه هذا الكلام . والذي في الأصول : « تابوتا من آدم » ؛ وهو تحريف ، إذ لا يقل أن يتخذ التابوت من آدم وهو الجلد .

٢٠

نوح - وكانت يومئذ في مسجد الكوفة - فلما رجع من حجة تزلت السفينة من الهواء، ثم أوحى الله إليه : أن قد دنا هلاك قومك ﴿ فَأَذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ . ثم أمره الله تعالى أن ينادى في الوحش والسباع والطير والهوام والأنعام ؛ فوقف على سطح منزله ، ونادى : ” هلموا إلى السفينة المنجية “ . فترت دعوته إلى الشرق والغرب والبعد والقرب ، فأقبلت إليه أفواجا .

فقال : إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَحْمِلَ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ؛ فَأَقْرَعْ بَيْنَهُمْ ، فَاصْأَبِ الْقُرْعَةُ مَنْ أَذْنُ اللَّهِ فِي حَمْلِهِ ، وكان معه من بنى آدم ثمانون إنسانا بين رجل وامرأة ؛ فلما كان في مستهل شهر رجب نودى من التنور وقت الظهر : قم يا نوح فأحمل في سفيتك من كل زوجين اثنين من الذكر وزوجا ومن الأنثى زوجا ، فحملهم . وكان معه جسد آدم وحواء ؛ وتباطأ عليهم الحمار في صعوده ، لأن إبليس تعلق بَنَنَبِهِ ؛ فقال نوح بالنبطية : على سيطان ، يعنى أدخل يا شيطان ؛ فدخل ومعه إبليس فراه نوح فقال : يا ملعون ، من أدخلك ؟ قال : أنت حيث قلت : على سيطان ؛ فعاهده ألا يتوى أهل السفينة ما داموا فيها ؛

ثم أوحى الله إلى جبريل أن يأمر خزنة الماء أن يرسلوه بنير كيل ولا مقدار وأن تُضْرَبَ المياهُ بِمِخْنِاقِ الْغَضَبِ . ففعل ذلك ، ونبتت العيون ، وهطلت السماء (فَأَتَسَقَّى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) وكان ماء السماء أخضر ، وماء الأرض أصفر ؛ وأمر الله الملائكة أن يحملوا البيت إلى سماء الدنيا ؛ وكان الحجر يومئذ أشدَّ بياضا من الثلج ؛ فيقال إنه أسود من خوف الطوفان ؛ وقال نوح عند ركوبه السفينة ما أخبرنا الله عنه في كتابه العزيز : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ جَمْعًا مَرْسَاها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَيَوْمَ تَجْرِي فِي مَوَاجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ

فِي مَسْجِدٍ يَأْتِي أَرْكَبَ مَعًا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي
مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
الْمُفْرَقِينَ .

قال : كان أبنته هذا كنعان .

- قال : وكانوا لا يعرفون الليل من النهار إلا بخرزة كانت مرصبة في صدر السفينة
بيضاء ، فإذا نقص ضوءها علموا أنه النهار ، وإذا زاد علموا أنه الليل ؛ وكان الديك
يصبح عند أوقات الصلاة ؛ وعلا الماء على الجبال أربعين ذراعا ؛ وسارت
السفينة حتى بلغت موضع الكعبة ، فطافت سبعا ، ونظفت بالتلبية ؛ وكانت
لا تحف في موقف إلا وتناديه : يا نوح هذه بقعة كذا ، وهذا جبل كذا ؛ حتى
طافت به الشرق والغرب ورجعت إلى ديار قومه ، فقالت : يا نبي الله ، ألا تسمع
صلصلة السلاسل في أعناق قومك ؟ قال الله تعالى : ﴿ عَمَّا خَطِبْتَهُمْ أُغْثِرُوا
فَادْخُلُوا نَارًا ۖ ۝ وَلَمْ تَزَلِ السفينة كذلك ستة أشهر آخرها ذوالحجة .

- وقيل : كان ركوب نوح ومن معه السفينة لعشر خلون من شهر رجب
وذلك لثمة أنى سنة ومائتي سنة وخمسين سنة من لدن أهبط الله تعالى آدم
— عليه السلام — ونحروا منها في العاشر من المحرم بعد مضي ستة أشهر ؛
ثم استقرت على جبل الجودي ، قال الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَالَكَ
وَيَا سَمَاءُ أَقْلِي وَيَغْضِ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ * وَتَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ
أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ

- قال : ثم فتح نوح باب السفينة ، فنظر إلى الأرض بيضاء من عظام قومه ؛
وبعث الفراخ لينظر ما بقي على وجه الأرض من الماء ؛ فأبطل ، فبعث الحمامة

فَانْطَلَقَتْ شَرْقًا وَغَرْبًا وَعَادَتْ مُسْرَعَةً، فَقَالَتْ : يَا بَنِيَّ اللَّهُ، هَلَكْتَ الْأَرْضُ وَمَنْ طَلِبَهَا، وَأَمَّا الْمَاءُ فَإِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا بِلَادَ الْهِنْدِ، وَلَمْ تَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَجَرَةٌ إِلَّا الزَّيْتُونُ، فَإِنَّمَا عَلَى حَالِهَا . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نُوحٍ : ﴿ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ۚ فَاخْرُجْ مِنْ السَّفِينَةِ وَأَخْرِجْ مِنْ فِيهَا، وَأَعَادَ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ وَالْأَشْجَارَ وَالنَّبَاتَ كَمَا كَانَتْ، وَتَفَرَّقَ الْوَحْشُ وَالسَّبَاعُ وَالطَّيُورُ وَغَيْرُهَا فِي الْأَرْضِ، وَأَمَرَ نُوحٌ فَبَنِيَتْ قَرْيَةً فِي أَسْفَلِ جَبَلِ الْجُودَى وَسَمَّيْتُ (قَرْيَةً ثَمَانِينَ) عَلَى صَدْدِهِمْ .

قِيلَ : هِيَ الْجَزِيرَةُ ، وَهِيَ أَوَّلُ قَرْيَةٍ بُنِيَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثُمَّ قَسَمَ نُوحٌ الْأَرْضَ بَيْنَ أَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ : سَامَ وَحَامَ وَيَافِثَ، فَأُعْطِيَ سَامُ الْمَجَازَ وَالْحِمْيَرَ وَالشَّامَ، فَهُوَ أَبُو الْقَرْبِ ، وَأُعْطِيَ حَامُ بِلَادَ الْمَغْرِبِ فَهُوَ أَبُو السُّودَانِ وَأُعْطِيَ يَافِثُ بِلَادَ الْمَشْرِقِ، فَهُوَ أَبُو التُّرْكِ .

ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ — عَزَّ وَجَلَّ — إِلَى نُوحٍ أَنْ يَرِثَ التَّابُوتَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَخَذَ مِنْهُ، فَرَدَّهُ .

❦

ذَكَرَ خَبَرَ دَعْوَةِ نُوحٍ عَلَى ابْنِهِ حَامَ وَدَعْوَتِهِ لِابْنِهِ سَامَ

قَالَ : وَلَمَّا اسْتَفْزَرَ الْأَمْرَ قَالَ نُوحٌ لِبْنِهِ : إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَمَامَ، فَإِنِّي لَمْ أَتَّيَأُ بِالنُّومِ مِنْذُ رَكِبْتُ الْفُلَّكَ . فَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِ ابْنِهِ حَامَ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ فَكَشَفَتْ عَنْ سُوْرَتِهِ، فَضَحِكَ حَامَ، وَغَطَّاهُ سَامُ، فَانْتَبَهَ فَقَالَ : مَا هَذَا الضَّحْكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ سَامُ ، فَغَضِبَ وَقَالَ لِحَامَ : أَنْتَ ضَحَكْتَ مِنْ سُوءَةِ أَيْبِكَ ؟ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ ، وَسَوَّدَ وَجْهَكَ . فَاسْوَدَّ وَجْهَهُ لَوَقْتِهِ . وَقَالَ لِسَامَ : سَتَرْتَ عَوْرَةَ أَيْبِكَ ، سَتَرَاكَ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَغَفَرَ لَكَ فِي الْآخِرَةِ . وَجَعَلَ مِنْ نَسْلِكَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَشْرَافَ، وَجَعَلَ مِنْ نَسْلِ حَامَ الْإِمَاءَ وَالْعَبِيدَ، وَجَعَلَ مِنْ نَسْلِ يَافِثَ الْجَبَابِرَةَ وَالْكَاسِرَةَ وَالْمُلُوكَ الْعَاتِيَةَ .

ذكر وصية نوح ووفاته

- قال كعب : بعث الله - عز وجل - نوحا إلى قومه وله مائتان وخمسون سنة ولبت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الطوفان مائتي سنة؛ فلما حضرته الوفاة دعا بابنه سام وقال له : أوصيك يا بُنَيَّ بأثنين، وأنهاك عن اثنين : أوصيك «بشهادة أن لا إله إلا الله» ، فإنها تحرق السموات السبع ، لا يحجبها شيء ، والثانية أن تُكثِرَ من قولك : « سبحان الله وبحمده » ، فإنها جامعة الثواب ؛ وأنهاك عن الشُّرك بالله ، والأتكال على غير الله . فلما فرغ من ذلك أتاه ملك الموت ، فسلم عليه فقال : من أنت ؟ فقد ارتاع قلبي من سلامك . قال : أنا ملك الموت ، جئتُ لقبض رُوحك . فتغير وجهه وجزع ، فقال له : ما هذا الجزع ، ألم تشيع من الدنيا في طول عرك ؟ قال : ما شبهتُ ما مضى من عمري في الدنيا إلا بدار لها بابان ١٠ دخلتُ من أحدهما ونجيتُ من الآخر . فناولته ملك الموت كأسا فيها شراب وقال : اشرب هذا حتى يسكن روعك . فلما شربه خر ميتا - عليه السلام - والله الموفق .

ذكر خبر أولاد نوح - عليه السلام - من بعده

- ١٥ فأما حام فإنه واقع زوجته فولدت غلاما وجارية سودا ، فانكرهما حام ؛ فقالت أمرأته : " لحقتك دعوة أبيك " . فلم يقربها حينئذ ؛ ثم واقعها فولدت مثلهما فتركها حام وهرب على وجهه ؛ فلما كبر الولدان الاثنيان خربا في طلب أبيهما حتى بلغا قرية على شاطئ البحر ، فترلاهما ، وواقع الغلام أخته فحملت منه وولدت غلاما وجارية ؛ وأقاما في ذلك الموضع لا مأكل لهما إلا السمك ؛ فرجع

حاماً في طلب ولديه فلم يجدهما ، فأَعمت لذلك ؛ ثم ماتت أمراؤه ، تفرج الولدان
الآخَران في طلب أخوَيْهما حتَّى صارا الى قرية أخرى على الساحل نَحْريَّة ؛ فزلاها
فسمع بهما الأخوان اللذان في البطن الأوَّل ، فلحقا بهما ؛ وزلوا هناك ، ووطئ كُلُّ
منهما أخته ؛ فرزقوا أولادا ، وكثر منهم النسل ، وأنتشروا في أعلى الأرض على
ساحل البحر ؛ فنهج الثوبه والزَّنج والبربر والهند والسند وجميع طوائف السودان .

وأما يافثُ بن نوح ، فإنه صار إلى المشرق ، فولد له هناك خمسة أولاد : جومر
وييرس وأشار وسفويل ومياشخ ؛ فمن جومر جميع الصَّقالبة والروم وأجناسهم ؛
ومن ييرس جميع الترك والخزَر وأجناسهم ؛ ومن مياشخ جميع أصناف العجم ؛ ومن
أشار ياجوج وماجوج ؛ ومن سفويل جميع الأرمن :

وأما سام بن نوح فولد خمسة أولاد : أرغشذ ، وهو أب العرب ؛ ولأوذ
وهو أبو الماقيَّة ؛ وأشور ، وهو أبو الفستاس ؛ وعيلم ، وهو أبو العاديَّة [الأولى] ،
وإرم ، وهو أبو عاد وثمود ؛ ورزق غيرهم مَن لم يُعقب .

الباب الخامس من القسم الأوَّل من الفن الخامس

في قصة هود — عايه السلام — مع عاد وهلاكهم بالريح العقيم

قال وهب : كان ملكٌ عادٍ الأكبر اسمه الخَلْجَان بن عاد بن العوس بن إرم
أبن سام ؛ وكان قومه يَرجعون إلى فصاحة وشعر ، وكان له ثلاثة أصنام : صدًا
وهبا ، وصمو ؛ وكان ملكُهم قد حلَّى هذه الأصنام بأنواع الخَلْي ، وطيبها ، وجعل
لها علة من الخدم بعدد أيام السنة ؛ ففتوا في المعاصي ، وأنهمكوا على عبادة

(١) يلاحظ أن كتب التاريخ مختلفة تمام الاختلاف في رواية كثير من هذه الأسماء البشارة أولاد

يافث وسام حتَّى إنه لامة بين رواية وأخرى . ومن المتأخر الوصول الى تحقيق كثير من هذه الأسماء .

- الأصنام؛ وكان فيهم رجل من أشرافهم اسمه الخلود بن معيد بن عاد، وكان له بسطة في الخلق وقوة في الجسم، مع الحسن والفصاحة؛ وكان إذا قيل له: لم لا تترجع وقد بلغت سن أبيك؟ يقول: رأيت في المنام كأن سلسلة بيضاء قد خرجت من ظهري، ولها نور كالشمس، وقيل لى: إذا رأيت هذه السلسلة قد خرجت من ظهرك ثانية تترجع بالتي تؤمر بترجعها؛ ولم أرها بعد، وقد عزمتُ على الترجع.
- وقام ليعبر بيت الأصنام يدعو بالتوفيق في الترجع، فلما هم بالدخول لم يقدر، وسمع هائجا يقول: يا خلود، ما لمن في ظهرك والأصنام؟ فلم يعد إليها. ثم رأى بعد ذلك في منامه السلسلة وقد خرجت من ظهره وقائلا يقول: «قم يا خلود تترجع بأبنة عمك» فأنته وخطبها وترجعها، وواقعها فحملت يهود؛ وأصبح القوم وهم يسمعون من جميع النواحي: هذا هود قد حملت به أمه، ويلكم، إن لم تطيعوه هلكتم.
- ووضعت أمه في ليلة الجمعة، فوقمت الرعدة على قبائل عاد، ولم يعلموا ما حالهم؛ فعلموا أنه قد ولد لخلود ولد، فقال بعضهم لبعض: ليكون لهذا الولد شأن فأحذروه. فخرج أحسن الناس وجها، وأكملهم عقلا، وسمته أمه عابرا، فراه أمه ذات يوم يصلى، فقالت: لمن هذه العبادة يا بني؟ قال: لله الذى خلقني وخلق الخلق. قالت: أليس هي لأصنامنا؟ قال: إن أصنامكم لا تنفع ولا تنفع وإنما الشيطان قد زين لكم عبادتها. قالت: أعبد إلهك يا بني، فقد رأيت منك حين كنت حَمَلا وطفلا عجائب كثيرة.

ذكر مبعث هود عليه السلام

- قال: ولم يزل هود في ديار قومه يحادهم في أصنامهم، حتى أتت عليه أربعون سنة؛ فبعثه الله — عز وجل — إلى قومه رسولا، وأتاه الوحى، فأطلق إليهم وهم

متفرقون في الأحقاف، وهي الرمال والتلال - وكانت مساكنهم ما بين عُمان إلى حضرموت إلى الأحقاف إلى عابجة - فأتاهم في يوم عيد لهم وقد اجتمع الملوك على الأسرة والكراسي، ومليكمهم الخلقان على سرير من ذهب وهو متوج وقد أحذقت به قبائل عاد، وهم في اللهو والطرب؛ فلم يشعروا إلا وهود (قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ) وهذه الأصنام التي تعبدونها هي التي أغرقت قوم نوح، واسم أكرم على ربكم منهم؛ فاستغفروا ربكم من عبادة هذه الأصنام. والأصنام ترجيح؛ فقال له ملكهم: ويحك يا هود، أقبل إلى. فتقدم إليه، فلما صار بين يدي الملك صاح صيحة أجابها الوحش والسباع: أبلغ ولا تخف. فامتلات قلوب الناس خوفا، فقام إليه رجل منهم وقال: يا هود، صف لنا إلهك. فوصف عظمة الله، وأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) - وكان الذي سأله عمرو بن الحلي - فلما فرغ من كلامه قال له الملك: يا هود، أظن أن إلهك يقدر علينا وهذه كثرة جوعنا وشدة قوتنا؟ قال الله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ أُوْلُوْهُمُ يُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً).

فأول من آمن بهود رجل من قومه يقال له جنادة بن الأصم وأربعون من بني عمه؛ ثم أنصرف إلى منزله.

فلما كان من الغد أقبل جنادة وبني عمه حتى وقفوا على جماعة من سادات قومه، فقال: يا قوم لا تمنعكم مراة الحق أن تقبلوه، ولا حلاوة الباطل أن تتركوه؛ وهذا ابن عمكم هود قد عرفتم صدقه، وقد أتاكم من عند الله رسولا وواعظا فآمنوا الله وأطيعوه. وحذرهم، فخصبوه وشموه، فرجع إلى هود.

فلما كان من الغد خرج هود فوقف عليهم وقال : يا قوم لا تبذلوا نعمة الله كفرا . وأخذ يعظهم ؛ فكذبوه واجهوه بالقبائح ؛ فبقى على ذلك دهورا طويلا يلاطفهم وهم على كفرهم وعتوهم ؛ فَأَعَزَّ الله أرحام نسايتهم ، فلم تحمل امرأة منهم ؛ فشكوا ذلك إلى الملك ، فأمرهم أن يُخرجوا أصنامهم ويضربوا القرابين إليها ؛ ففعلوا ذلك ؛ فاتاهم هود وقال : يا قوم ألا تخشعون إلى الله الذي خلقكم وأعطاكم هذه النعمة والقوة ، فإنه يجيبكم إذا سألتموه ، ويزيدكم ملكا إلى ملككم وقوة إلى قوتكم وهو أن تقولوا معي : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإني هود عبده ورسوله » وإن لم تفعلوا ذلك ضربكم الله بالنذل والتَّعَمَّة ، وهبت عليكم الريح العقيم حتى تذرکم في دياركم هشيا . فلما سمعوا ذلك منه ضربوه حتى سال الدم على وجهه وهو يقول : « إلهي قد أبلغتُ وأُنذرتُ » .

وأقبل إلى هود بعد أنصرافه رجل من قومه يُعرف بمرد بن عاد ، وقال : يا هود ، إني قد جئتكَ في أمر ، فإن أخبرني به فانت رسول الله . قال له هود : يا مرد ، كنت البارحة نائما مع زوجتك فواقمتها ، فقالت لك : اتظن أني قد حملت ؟ فقلت لها : إني صائر غدا إلى هود ، فإن أخبرني بهذا الكلام أمنتُ به . فقال مرد : أشهد أنك رسول الله حقا ؛ ولكن أخبرني هل حملت ؟ قال : نعم حملت بولدين ذكرين يكونان من أمتي ، سيخرجان من بطنها سليمين مؤمنين ؛ وستلد لك عشرة أبطن في كل بطن ذكران ، ويكونان من أمتي . فوثب مرد وقبل رأس هود وكان من خيار أصحابه ، وجعل مرد يقول :

من كان يصدق يوما في مقالته * فإن هودا رسول صادق القليل

نبي صدق أتى بالحق من حكم * وقد أتانا ببرهان وتزويل

فالحمد لله حمدا دائما أبدا * مضاعفا^(١) شكره في كل تفصيل

ثم أنصرف مرثد إلى أمراته وأخبرها ، فأمنت ؛ وكان مرثد يكتُم إيمانه ويخالس قومه ، فإذا سمعهم يذكرُون هودا بسوء يقول : مهلا يا بني عم فؤانه كاحدكم وابن عمكم .

قال : ثم اجتمعوا في مشرقة لهم وملِكهم ونصبوا أصنامهم ؛ فأقبل هود عليهم وقال : يا قوم أعبدوا الله فإن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع . فقال الرؤساء من قومه : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۝ ﴾ .

فنادوه من كل ناحية : يا هود ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتِنَا مَا نَعْبُدُ ۚ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ ﴾ . قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۚ ۝

وكان القوم يشتمونه ويضربونه ويدوسونه تحت أرجلهم حتى يظنوا أنه قد مات ، ثم يولون عنه ضاحكين ؛ فيقوم غير مكترث بفعلهم ؛ فلما أكثر عليهم ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۚ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنْ نَوَلُوا فَعْدَا أَبَلَيْتُكُمْ مَا أَوْسَلْتُ بِهِ لِبَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ۝ ﴾ فآمن به في ذلك اليوم رجل يقال له نُهَيْل .

- قال: ولم يزل هود فيهم يحذرهم وينذرهم العذاب سبعين عاما؛ فلما رأى أنهم لا يؤمنون دعا الله تعالى أن يظلمهم بالقطط، فإن آمنوا وإلا يهلكهم بعذاب لم يهلك به أحدا قبلهم ولا بعدهم؛ فاستجاب الله تعالى دعوته، وأمره باعتزلهم بمن معه من المؤمنين، فأعترلهم فأمسك الله عنهم المطر، وأجذبت الأرض ولم تثبت ومات عاقبة المواشي؛ فصبروا على ذلك أربع سنين حتى يسوا من أنفسهم، وهموا أن يؤمنوا؛ ففهم الملك عن ذلك وصبرهم؛ فاجمعوا رأيهم أن يبعثوا رجلا منهم إلى الحرم يستسقون لهم؛ والله الفعّال .

ذكر خبر وفد عاد إلى الحرم يستسقون لهم

- قال وهب: فجمعوا الهدايا، واختاروا سبعين رجلا من أشrafهم، وجعلوا لكل عشرة منهم رئيسا، من جملتهم مرثد المؤمن؛ فسار وهو يدعو عليهم؛ فلما أشرفوا على الحرم إذا بهاتف يقول:

فَبَحَّ اللهُ قَوْمَ عادَ وَذَلُّوا « إِنْ عادَا أَشْرُ أَهْلِ الْحَجِّمِ
سَيَرُوا الْوَفْدَ كِيَسْقُوا غَيَا « فَيُسْقَوْنَ مِنْ شَرَابِ الْحَمِيمِ

- فدخلوا الحرم والملك يومئذ معاوية بن بكر، وكانوا أخواله، فسأله عما جاء بهم فأخبروه بخبر هود وبما حل بهاد، وأنهم قد لحاوا إلى الحرم للاستسقاء؛ فأنزلهم معاوية في منزل الضيافة، وأطعمهم وسقاهم شهرا؛ فشغلهم اللهو عن الاستسقاء؛ فبلغ الملك (الخلجان) ذلك، فبعث إلى معاوية يسأله أن يأمرهم بالاستسقاء، فكره مواجهتهم بذلك فيقولون: « قد تهرم بضيافتنا » فدعا بالجرادتين — وهما قيتان لمعاوية — فقال لهما: إذا شرب القوم ودب فيهم الشراب فتنياهم بهذه الأبيات، وهي:

- بَابِي مَنْ خَلَقَ أَنْخَلَدُ « قَى بَنَى مَسَامٍ وَحَامٍ
سَادَةُ سَادُوا جَمِيعَ الِ « خَلَقَ فِي الْخَلْقِ التَّامِ

نَصَبَ الدهر عليهم * حَرَبَهُ دون الأنام
 فسقى الله بنى عا * د من الصَّوب الغمام
 فأجابهما رجل من الوفد يقال له الجَمْدُ بْنُ القَيْلِ :
 عَلَيْنَا — زانك الآ * ه — بأكواب المدام
 وبماءٍ فامزجيهما * تستريحي من ملام
 فلما لم يكثرثوا بالصوت الأول قالت :

أَلَا يَاقَيْلُ وَيَحْكُ قُمْ فَهَيْمٌ * لعلَّ الله يَمَحُكُ غَمَامَا
 غَمَامَا صَوْبُهَا هَاطِلٌ مَفِيث * يُرَوِّى السَّهْلَ طُرَا وَالْإِكَامَا
 من العطش الشديد فليس نرجو * بها الشَّيْخَ الكَبِيرَ وَلَا الْغَلَامَا
 وقد كانت نساؤهمُ بِخَيْرٍ * فقد أَمَسَتْ نَسَاؤُهُمْ عِيَامَا^(١)
 وَأَنَّ الْوَحْشَ تَانِيَهُمْ جَهَارَا * وَلَا تَحْشَى لِمَادَى سِهَامَا
 وَأَنْتُمْ هَاهُنَا فَمَا أَشْتَيْتُمْ * نِهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمْ التَّمَامَا
 فَصَبِّحْ وَفَدُكُم مِّنْ وَفَدِ قَوْمٍ * وَلَا لَقَوْا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا
 أَفَيقُوا أَيَّاهُ الْوَفْدِ السُّكَارَى * لِقَوْمِكُمْ فَقَدْ أَصْحَوَا هِيَامَا
 فَقَدْ طَالَ الْمَقَامُ عَلَى سُرُورٍ * أَلَا يَاقَيْلُ وَيَكْ ذَرِ الْمُدَامَا

قال : فَأَنْبَهَ النَّاسَ وَقَامُوا فَأَغْسَلُوا وَلَبَسُوا ثِيَابًا جَدُّدًا ، وَكَسَوْا الْبَيْتَ
 بِالْكِسَاةِ الَّتِي حَمَلُوهَا لَهُ ، بِخَلٍّ يَنْفُضُهَا ، فَقَالَ مَرْتَدٌ : يَا قَوْمُ ، إِنَّ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ
 لَا يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ إِلَّا مِنْ مُّؤْمِنٍ ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تَوْمِنُوا يَهُودَ ؟ فَقَالُوا : يَا مَرْتَدُ :
 إِنَّ كَلَامَكَ يَدُلُّ عَلَى إِيمَانِكَ بِهِ ، وَنَحْنُ لَا تَوْمِنُ بِهِ أَبَدًا .

فَانْشَأَ يَقُولُ :

(١) هَيْمٌ ، أَيْ أَدْعَى اللَّهَ . (٢) عِيَامًا ، أَيْ شَدِيدَاتِ الشَّهْوَةِ إِلَى الْبَيْنِ .

أَرَى عَادًا تَمَادَى فِي ضَلَالٍ * وَقَدْ عَلَوْا عَنِ الْأَمْرِ الرَّشِيدِ
بِمَا كَفَرَتْ بِهِمْ جَهَارًا * وَحَادُوا رَغْبَةً عَنِ دِينِ هُودٍ
فَاجْتَمَعُوا يَسْتَسْقُونَ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ :

يَا رَبِّ عَادٍ أَسْقَيْنَ عَادًا * إِنَّكَ حَقًّا تَرْحِمُ الْعِبَادَا

- فَاسْقِ الْبِاسَاتِينَ وَذِي الْبِلَادَا * أَجْوَادٌ غِيثٌ تَبِيعَ ^(٢) الْعِهَادَا
وَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِمَا حَضَرَهُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ تَكَلَّمَ مُرْتَدُّ بْنُ سَعْدٍ -
وَهُوَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَكْتُمُ إِيمَانَهُ - وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا لَمْ نَأْتِكَ إِلَى حَرَمِكَ إِلَّا لِأَرْضِ
تَسْقِيهَا ، أَوْ أُمَّةٍ تَحْيِيهَا .

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مَلِكِ السَّحَابِ أَنْ يَنْشُرَ لَهُمْ ثَلَاثَ غَمَامَاتٍ : بَيْضَاءَ وَحُمْرَاءَ

- ١٠ وَسُودَاءَ ؛ وَجَعَلَ السُّودَاءَ مَشُوبَةً بِنُفْضِهِ ، فَأَرْتَفَعَتِ الْبَيْضَاءُ ، وَتَبِعَتْهَا الْحُمْرَاءُ
خَلْفَهُمَا السُّودَاءُ ، فَأَرْتَفَعَتْ حَتَّى رَأَى الْوَفْدَ جَمِيعَ الْغَمَامَاتِ ؛ فَفَرَحُوا وَأَسْتَبَشَرُوا
ثُمَّ نُوْدُوا : يَا قَبِيلُ ، اخْتَرْتُمُوكُمْ مِنْ هَذِهِ السَّحَابِ . فَنَظَرَ فَقَالَ : أَمَّا الْبَيْضَاءُ فَإِنَّهَا
جَهَامٌ لَا مَاءَ فِيهَا ؛ وَأَمَّا الْحُمْرَاءُ فَإِنَّهَا إِعْصَارُ رِيحٍ . فَأَخْتَارَ السُّودَاءَ . فَنُوْدَى :
يَا قَبِيلُ ، اخْتَرْتَ رَمَادًا أَرْمَدًا ، لَا يَبْقَى مِنْ قَوْمٍ عَادٍ أَحَدًا ، إِلَّا تَرَاهُمْ فِي الدِّيَارِ هُمُودًا .

(٢٥)

- ١٥ ذَكَرَ إِرْسَالُ الْعَذَابِ عَلَى قَوْمِ هُودٍ

قَالَ : وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى (مَالِكٍ) خَازِنِ جَهَنَّمَ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى سُلْسُلِ السُّودَاءِ
وَلِيَكُنْ عَلَيْهَا أَلْفٌ مِنَ الزَّيَّاتِيَةِ .

قَالَ كَعْبٌ : إِنَّ هَذِهِ السُّلْسُلَةَ تُحْمَسَتْ فِي مِصْبَعَيْنِ وَادِيَا مِنْ أَوْدِيَةِ الزَّمْهَرِيرِ
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَابَتِ الْجِبَالُ مِنْ حَرِّهَا .

٢٠

(١) تَمَادَى . أَيْ تَمَادَى .

(٢) الْأَجْوَادُ : الْأَمْطَارُ الْغَزِيرَةُ ، الْوَاحِدُ جَوْدٌ يَفْتَحُ الْجَيْمَ .

ففتت الزبانية السلاسل ، وجعلت السحابة ترمى بشرر كالجبال ، وخرجت عليهم من واد يقال له : (وادى الثيث) فنظروا إليها فقال بعضهم لبعض : (هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرًا) قال الله تعالى : (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) .

• وأخرج القوم أصنامهم ونصبوها على أسرتها ؛ فأمر الله تعالى خازن الريح العقيم أن يفتح بعض أطباقها ، فأطلقت فائرة أجنتها بعدد قبائل عاد ؛ فلما عاينوا الملائكة يطوفون حول السحاب يتقنوا العذاب ، فأدخلوا النساء والولدان في الحصون وخرجوا ونشروا أعلامهم وأوتروا قيسيم ، وأفرغوا السهام بين أيديهم ، والرياح ساكنة تنتظر أمر ربها ، وهود قائم ينذرهم العذاب ، وهم يقولون : ستعلم يا هود من أشد منا قوة وبطشا . حتى إذا كانت صبيحة الأربعاء ، خرجت الريح عليهم في يوم نحس مستمر ، فكانت في اليوم الأول شهباء ، فلم تترك على وجه الأرض شيئا إلا نسفته نسفا ؛ وفي اليوم الثانى صفراء ، فأقلعت الأشجار ؛ وفي اليوم الثالث حمراء ، فدمرت كل شيء ممرت عليه ؛ فلم يزل يحمرى في كل يوم لون والنساء ينظرن إلى فعلها بقومهن ، فجعلن يقان شعرا :

١٥ ألا قد ذهب الذهب * ربعمرو ذى البليات

وبالحارث والقمقا * م طلاع التنيات

ومن سدد مهب الريح * يح فى وقت البليات

وأستمرت الريح (سبع ليالٍ وثمانية أيام حُسُوماً) ، أى دائمة ؛ فلما كان فى اليوم الثامن أصطقت القوم صفوفا ، كل واحد إلى جنب أخيه ، وهم عشرة صفوف ؛ فجعل ملكهم الخلجان يشجعهم ويقول :

٢٠

ما بال عاد اليومَ خائفين ؟ * أَمِنْ مَهَبِ الرِّيحِ يَجْزَعُونَ ؟^(١)

لقد خشيت أن يكونوا دوناً * إِنْ الْبَيْنِ تَعَقِبَ الْبَيْنَا

هذا والريح تمزقهم ، فكانت تدخل في ثوب الرجل فتحمله في الهواء ، ثم ترميه على رأسه ميتاً . قال الله تعالى : ﴿ كَانَتْهُمْ أَنْجَازُ نُحُلٍ مُتَفَعِّرٍ ﴾ .

- فلم يبقَ منهم إلا الملك أنهره الله تعالى ليرى مصارعَ قومه ، وهو يرثي الريح بصدرة ، بغامت الريح فدخلت من فيه وخرجت من دبره ، فمات ، ثم مرت الريح نحو الوفد ، فحملتهم من الأرض إلى الهواء ، فالتفتهم على وجوههم ، فماتوا عن آخرهم . قال : وهو دُ في حظيرة بمن معه من المؤمنين لا يصيبهم منها إلا ما تلين له الجلود . قال الله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رِجْعَةَ مِينَا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ .

قال : وأرتحل هود ومن معه من أرض عاد إلى الشَّحْر من بلاد اليمن ، فترلوا هناك حولين ، ثم مات .

ويقال : إنه دفن بأرض (حضرموت) ، والله أعلم .

ذكر خبر مرثد ولفان

- ١٥ قال : وخرج من وفد عاد مرثد ، ولفان بن عاد ، فدخلوا مكة منفردين ، فدعوا الله تعالى لأتسمهما ؛ فقبل لهما : قد أعطيتما منّا كما ، فأختارا لأنفسكما ، إلا أنه لا سبيل إلى الخلود . فقال مرثد : اللهم أعطني برّاً وصدقا . فأعطى ذلك . وقال لِفان : « يا ربِّ عُمرأ » . فقبل له : اختر لنفسك بقاءً مسيح بقرات صفر عُفْر

(١) كما ورد هذا الشطر في إحدى نسخ (نصص الأنبياء لفسائ) المنقول عنه هذا الكلام . والقي

في الأصول : * يا آل عاد أبكم جنونا * وقوله : « أبكم جنونا » غير مستقيم الإعراب كما هو ظاهر .

في جبل وعمر، لا يمتحن دُعر؛ وإن شئت بقاء سبع نوايات من تمر، مستودعات
في محفر، لا يمتحن ندى ولا قطر؛ وإن شئت بقاء سبعة أنسر كلها تسر أعقب
من بعده نسر. فأختار الأنسر، فكان يأخذ الفرخ منها حين يخرج من بيضته، فإذا
مات أخذ غيره، فكان كل نسر يعيش ثمانين سنة، حتى انتهى إلى السامع، فكان
آخرها لبد؛ فلما مات لبد مات معه لقمان، وهو لقمان النصور.

ونصل هذا الباب بخبر (إرم ذات اليماء)، وقصة شديد وشداد.

ذكر خبر (إرم ذات اليماء) وقصة شديد وشداد بنى عاد

قد ذكرنا خبر (إرم ذات اليماء) فيما تقدم من كتابنا هذا على سبيل الاختصار
وذلك في (الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول في المباني القديمة)
وهو في السفر الأول من هذه النسخة؛ ورأينا لإيراده في هذا الباب بما هو أبسط
من ذلك لتعلقه به.

قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَل رَبُّكَ يَمَاسِدَ إِرَمَ ذَاتِ الْيَمَادِ الَّتِي لَمْ يُخَلَقْ
مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ).

روى أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي في كتابه المترجم (بيواقيت
البيان في قصص القرآن) عن منصور عن سفيان عن أبي وائل أن رجلا
يقال له: (عبد الله بن قلابة) خرج في طلب إبل له قد شردت، فبينما هو
في بعض صحارى مَدَنَ في تلك الفلوات، إذ وقف على مدينة عليها حصن، حول ذلك
الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال؛ فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عن إبله
فلم يردا خلا فيها ولا خارجا منها، فقل عن ناقته وعقلها، وسل سيفه، ودخل من
باب الحصن، فإذا هو بباين عظيمين لم يرق الدنيا أعظم منهما ولا أطيب راحة

- وإذا خشبهما من أطيب عُود ، وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوئها قد ملأ المكان؛ فلما رأى ذلك عجب، ففتح أحد البابين، فإذا هو بمدينة لم ير الرامون مثلاً قط ، وإذا هو بقصور تتعلّق، تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كلّ قصر منها عُرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وعلى كلّ باب من أبواب تلك القصور مصراع كمصراع باب المدينة من عُود طيب، قد نُصِّدَتْ عليه البواقيت؛ وقد فُرِشَتْ تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران ولم ير هناك أحداً، فأفرغه ذلك، ثم نظر إلى الأزقة فإذا في كلّ زقاق منها أشجار قد أثمرت، تحتها أنهارٌ تجري؛ فقال : هذه الجنة التي وصفها الله تعالى لعباده في الدنيا الحمد لله الذي أدخلني الجنة . فحمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقطع من زبرجدها ولا ياقوتها لأنها كانت مشبكة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران متشورةً بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف؛ فأخذ منها ما أراد، وخرج؛ ثم سار يقفو أثر ناقة حتى رجع إلى اليمن، فأظهر ما كان معه، وأعلم الناس بخبره، وباع ذلك اللؤلؤ، وكان قد أصفر وتغير من طول الزمان الذي مرّ عليه ، ففشا خبره وبلغ معاوية ، فأرسل رسولا إلى صاحب (صعاء)، وكتب بإستخاضه، فسار حتى قدم على معاوية، فخلاً به وسأله عما عاين؛ فقصّ عليه أمر المدينة وما رأى فيها؛ فاستعظم ذلك، وأنكر ما حدث به، وقال : ما أظنّ ما يقول حقاً . ثم قال : يا أمير المؤمنين، معي من متاعها الذي هو مفروش في قصورها وغرفها وبيوتها . قال له : ما هو؟ قال : اللؤلؤ والبنادق . فشمّ البنادق فلم يجد لها ريحاً؛ فأمر ببندقة منها فدُقّت ، فسطع ريحها مسكا وزعفراناً؛ فصعدته عند ذلك؛ ثم قال معاوية : كيف أصنع حتى اسمع بأسم هذه المدينة ولن هي ومن بناها؟ والله ما أعطى أحد مثلاً أعطى سليمان بن داود

وما أظن أنه كان له مثل هذه المدينة . فقال بعض جلسائه : ما تجد خبر هذه المدينة إلا عند (كعب الأحبار) فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إليه ويأمر بإعتماده ويضرب عنه هذا الرجل في موضع ويسمع كلامه منه وحديثه ووصف المدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة فعل ، فإن كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل إن كان دخلها ، لأن مثل هذه المدينة على هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها ، إلا أن يكون سبق في الكتاب دخوله لإياها فيعرف ذلك .

فارس معاوية إلى (كعب الأحبار) وأحضره ثم قال له : يا أبا إسحاق إنى دعوتك لأمر رجوت أن يكون علمه عندك . فقال له : يا أمير المؤمنين "على الجبر سقطت" فلتى عما بدا لك . فقال له : أخبرنا يا أبا إسحاق ، هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة ، عمدها زبرجد وياقوت ، وحصا قصورها وغرفها اللؤلؤ ، وأنهارها في الأزقة تحت الأشجار ؟ قال : والذي نفس كعب بيده لقد ظننت أن ساتوسد^(١) يبنى قبل أن يسألنى أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين ولن هى ، ومن بناها .

أما المدينة فهى حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له .

وأما صاحبها الذى بناها فشناد بن عاد .

وأما المدينة فهى إرم ذات الجاد التى لم يخلق مثلها في البلاد .

فقال له معاوية : يا أبا إسحاق ، حدثنا بمحدثها — يرحم الله — . فقال كعب :

نعم يا أمير المؤمنين ، إن عادا كان له أبنان يسمى أحدهما « شديدا » والآخر « شنادا » ، فهلك عاد ، فبقيا وملكا وتجزأ ، فقهرأ أهل البلاد ، وأخذها عتوة

(١) كنى بتوسد يمينه عن دفعه بعد الموت . وفي الأصل : « شيتا توسد » .

- وقسرا ، حتى دان لهما جميع الناس ، فلم يبق أحد من الناس في زمانهما إلا دخل في طاعتها ، لا في شرق الأرض ولا في غربها ، وإنهما لما صفا لهما ذلك وقتر قرارهما مات شديد بن عاد ، وبقى شداد ، فلك وحده ، ولم ينزعه أحد ودانت له الدنيا كلها ؛ فكان مولعا بقراءة الكتب القديمة ، وكان كلما مر فيها بذكر الجنة دعت نفسه لتعجيل تلك الصفة لنفسه الدنية عتوا على الله وكفرا ؛ فلما وقر ذلك في نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التي هي إرم ذات العباد ، وأمر على صنعها مائة قهرمان ، مع كل واحد ألف من الأعوان . ثم قال : انطلقوا إلى أطيب فلاة من الأرض وأوسعها ، وأعملوا فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد ، وعلى المدينة قصور ، من فوق القصور غرف ، ومن فوق الغرف غرف ، وأغرسوا تحت القصور غروسا فيها أصناف الثمار كلها ، وأجروا فيها الأنهار حتى تكون تحت تلك الأشجار جارية ، فإني أسمع في الكتب صفة الجنة ، وإني أحب أن أتخذ مثلها في الدنيا ، أتسجل سكانها . فقال له قهارته : كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة نبنى منها مدينة كما وصفت لنا ؟ فقال لهم شداد : ألسن تعلمون أن ملك الدنيا كلها يبدى ؟ فقالوا : بلى . قال : انطلقوا إلى كل موضع فيه معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة ، وكلّفوا من كل قوم رجلا يخرج لكم ما في كل معدن من تلك الأرض ؛ ثم أنظروا إلى ما في أيدي الناس من ذلك نخذه ، سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن ، فإني معادن الدنيا فيها كثير من ذلك ، وما فيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم من صنعة هذه المدينة .
- قال : فخرجوا من عنده ، وكتب معهم إلى كل ملك من ملوك الدنيا يأمره أن يجمع لهم ما في بلده من الجواهر ، ويحفر معادنها ؛ فأطلق القهارمة ، وبعث الكتب

إلى الملوك بأخذ كل ما يحدونه في أيدي الناس عشرَ سنين من الزبرجد والياقوت والؤلؤ والذهب والفضة، ويعتثون بذلك إلى فعلة إرم ذات المهاد . ونرجح الفعلة يطلبون موضعاً كما وصفه لهم شَدَاد .

قال معاوية : يا أبا إسحاق ، كم كان عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شَدَاد؟ قال : كانوا مائتين وستين ملكاً .

قال : فخرج عند ذلك الفعلة والقَهَّارمة، فتفرقوا في الصحارى ليجدوا ما يوافق غرضه؛ فوقعوا في صحراء عظيمة هتية من الجبال والتلال . وإذا هم بعيون مطردة؛ فقالوا : هذه صفة الأرض التي أسرنا بها؛ فأخذوا منها بقدر ما أسرم به من العرض والطول، ثم عمدوا إلى مواضع الأزقة فأجروا فيها قنوات الأنهار؛ ثم وضعوا الأساس من صخور الجوزع اليماني، وعجنوا طين ذلك الأساس من دهن البان والمهلب؛ فلما فرغوا من وضع الأساس بُعث بالعمد والذهب والفضة من جهة الملوك؛ قسَّمها الوزراء والقَهَّارمة، وأقاموا حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شَدَاد .

فقال معاوية : يا أبا إسحاق، إني لأحسبهم أقاموا في بنائها زمناً من الدهر . قال : نعم يا أمير المؤمنين . إني لأجد في التوراة مكتوباً أنهم أقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة . فقال معاوية : كم كان عمر شَدَاد؟ فقال : سبعمائة سنة . فقال

معاوية : لقد أخبرتنا عجبا، فحدثنا . فقال : يا أمير المؤمنين، إنما سمَّاهَا الله تعالى إرم ذات المهاد آتَى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، لَلْعَمَدِ الَّتِي تَحْتَهَا مِنَ الزَّبْرَجْدِ وَالْيَاقُوتِ وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا مَدِينَةٌ مِنَ الزَّبْرَجْدِ وَالْيَاقُوتِ غَيْرَهَا، فَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ .

وقال كعب : إنهم لما أتوه فأخبروه بفراغهم منها قال : انطلقوا وأجعلوا عليها حصناً، وأجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كل قصر ألف عَمَلٍ، ويكون في كل

قصر وزير من وزرائي، ويكون كلّ علم عليه ناطور . فرجعوا فعملوا تلك القصور والأعلام والحصن؛ ثم أتوه فأخبروه بالفراغ مما أمرهم به .

قال : فأمر شتاد ألف وزير من خاصته أن يبقوا أسبا بهم ، ويقولوا على النقلة إلى إرم ذات العباد، وأمر رجالا أن يسكنوا تلك الأعلام ويقيموا فيها ليلاهم ونهارهم، وأمر لهم بالعطاء والأرزاق، وأمر من أراد من نسائه وخدمه بالجهاز إلى إرم ذات العباد؛ فأقاموا في جهازهم عشرين؛ ثم سار الملك شتاد بن عاد بمن أراد، وتخلّف من قومه في عدّة من أمره بالمقام بها .

قال : فلما استقلّ وسار إليها ليسكن فيها، وبلغ منها موضعا بقي بينه وبين دخوله إليها مسيرة يوم وليلة، بعث الله تعالى عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء، فأهلكتهم جميعا، ولم يبق منهم أحد ، ولم يدخل شتاد ولا من كان معه إرم ذات العباد، ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة .

فهذه صفة إرم ذات العباد ، وأنه سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك ويرى ما فيها ، فيحدث بما عاين، ولا يُسمع منه ولا يصتق . فقال معاوية : يا أبا إسحاق، فهل تصفه لنا ؟ قال : نعم ، هو رجل أحمر أشقر قصير، على حاجبيه خال، وعلى عقبه خال ، يخرج في طلب إبل له نذت في تلك الصحارى فيقع على إرم ذات العباد، فيدخلها ويحمل ممّا فيها . والرجل جالس عند معاوية . فأثفت كعب فرأى الرجل ، فقال : هو هذا يا أمير المؤمنين قد دخلها ، فأساله عما حدثتك به . فقال معاوية : يا أبا إسحاق ، إنّ هذا من خدعي ، ولم يفارقني . قال كعب : قد دخلها وإلا سوف يدخلها ، وسيدخلها أهل هذا الدين في آخر الزمان . قال معاوية : يا أبا إسحاق ، لقد فضلك الله على خيرك من العلماء .

ولقد أعطيت من علم الأولين والآخرين ما لم يُعطه أحد . فقال : والآذى نفس كعب ييده ، ما خلق الله تعالى في الأرض شيئا إلا وقد فسره في التوراة لعبد موسى نصيرا ، وإن هذا القرآن أشد وعيدا (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) والله الهادي للصواب .

قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله تعالى — وقال الشعبي : أخبرنا دُفْلُ الشَّيبَانِيُّ عن رجل من أهل (حضرموت) يقال له : بِسْطَام ، أنه وقع على حَفِيرَةٍ شَدَادِ بْنِ عَادٍ فِي جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ حَضْرَمَوْتٍ مَطْلٌّ عَلَى الْبَحْرِ .

قال : وكنت أسمع من صباى إلى أن أكملتُ بمغارة في جبل من جبالنا بحضرموت وهيبة الناس لدخولها ، فلم أحتفل بما كنت أسمع من ذلك ؛ فبينما أنا في نادى قومى إذ تنادوا حديث تلك المغارة وأطنبوا في ذكرها ووصفوا موضعها ؛ فقلت لقومى : إني غير متته حتى أدخلها ، فهل فيكم من يسامدنى ؟ فقال قى منهم حدث السن : أنا أصاحبك . فقلت : يابن أنى ، أو تجسر على ذلك ؟ قال : عندي ما عند أشد رجل من رباطة الجأش وشدة القلب . فهيا أنا شمعة وحملنا معنا إداوة عظيمة مملوءة ماء وطعاما مقدارا ما قدرنا على حمله ؛ ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة — وكان مشرقا على المكان الذى يركب أهل

حضرموت منه البحر — فلما آتينا إلى باب المغارة حزمنا علينا ثيابنا ؛ وأشعلنا الشمعة ؛ ثم ذكرنا الله تعالى ، ودخلنا ومعنا تلك الإداوة وذلك الطعام ، فإذا بمغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا ، وطولها علوا نحو خمسين ذراعا ؛ فمشينا فيها هونا في طريق أملس مستو ، ثم أفضينا إلى درجات عالية عرض الدرجة عشرون ذراعا في ستمك عشر أذرع ، فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرجات فقلت لصاحبى : هلم ، إلى يدك . فكنت أخذ بيده حتى ينزل ، فإذا نزل وقام في الدرجة تعلقتُ بطرف الدرجة وتسييتُ حتى تنال رجلاى متكيه ؛ فلم نزل

(٦٩)

- كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا ، حتى نزلنا ذلك الدرّج وكانت مقدار مائة درجة ؛
فأفضينا إلى أَرْجٍ عظيمٍ محفورٍ في الجبل ، في طول مائة ذراع ، في عرض أربعين
ذراعا ، وسمّكته في المياء نحو مائة ذراع ، وفي صدره سرير من ذهب مفصّص
بأصناف الجواهر ، وفوقه رجل عظيم الجسم ، قد أخذ طول هذا الأَرْج وعرضه
وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم ، وعليه سبعون حلة بمقدار طولهِ وعرضه
منسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة ، وإذا في ذلك الأَرْج قُبّ عرضه
ذراعان ، وارتفاعه ثلاث أذرع ، خارج إلى فضاء لم ندر ما هو ، وإذا على رأس
السّريّر لوح من ذهب ، فيه كتاب بالمُسند — وهو كتاب عادٍ كانت تكتبه
في زمانها — محفور ذلك الكتاب في اللوح حفرا ؛ فقلعناه ودنونا من الرجل فسستا
تلك الحلل فصارت رميا ، وبقيت قضبان الذهب قائمة ، فجمعناها وكانت مقدار
مائة وطل ، وحملناها في أُرْونا ، وأردنا قلع شيء من تلك الجواهر المفصّص
بها السّريّر ، فلم تقدر عليه لوثاقته ، فتركناه ؛ وهيم علينا الليل ، ونحن في ذلك الأَرْج
وعرفنا ذلك بذهاب ذلك الضوء الذي كان يدخل من ذلك القُبّ ، فبنّا ليلتنا
في ذلك الأَرْج ، وطفئت الشمعة التي كانت معنا ؛ فلما أصبحت قلت لصاحبي :
ما ترى ؟ قال : أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل إليه ، لأرتفاع الدرّج ، وأنا
لا نستطيع صعودها ، لا سبيّا والشمعة قد طفئت ، ولكن هلمّ لنزِم هذا الضوء
الذي نراه في هذا القُبّ ، فإني أرجو أن يخرج بنا إلى القضاء إن شاء الله تعالى .
فقلت له : لعمري إن هذا هو الرأى .

- قال : فأطلقنا بما معنا من تلك القضبان من الذهب ، وحملناها مع ذلك
اللوح الذهب الذي كان عند رأس السّريّر ، ومشينا في ذلك القُبّ نتبع ذلك
الضوء ، فلم نزل نمشي فيه في طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه إلى

كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط، وقد حَفَّ بذلك الكهف البحر، فلبسنا على باب ذلك النَّقْب ثلاثة أَيَّامَ نَمُوتُونَ بَقِيَّةَ مَا كَانَ معنا من الماء والطعام؛ فلَمَّا كَانَ في اليوم الرابع نظرنا إلى مَرَكَبٍ قد أَقْبَلَ في البحر فلوَحنا إلى مَنْ فِيهِ، فأرسلوا إلينا القارب، ففرلنا من باب ذلك النَّقْب نزولا شاقًّا حتى وثبنا إلى القارب بما معنا، ثم خرجنا من البحر فقسمنَا ذلك الذهب بيننا، وصار ذلك اللُّوح إلى بَيْسَطَى .

قال : ثم إِنَّا أَنفَسْنَا دَعْتَنَا إلى العودة إلى ذلك السَّرَبِّ مِمَّا عَلَى النَّقْبِ من جهة البحر، فركبنا قَارِبًا وسرنا في البحر نحو المكان الذي كُنَّا فِيهِ، ففرلنا منه، فنفى علينا فعلنا أَنَا لَمْ نُرَزَقْ من ذلك المكان إِلَّا مَا أَخَذْنَاهُ، فرجعنا .

قال : ومكث ذلك اللوح عندى حولا وأنا لَا أَجِدُ من يقرؤه ، حتى أَنَا رجلٌ حَمِيرَى من أهل صنعاء كَانَ يُحَسِّنُ قِرَاءَةَ تِلْكَ الْكِتَابَةِ ، فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ اللُّوحَ فقرأه، فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

اعْبُرْ بِي أَيُّهَا الْمَلِكُ * رَوْرُ بِالْعَمْرِ الْمَدِيدِ
أَنَا شَذَادُ بْنُ عَادٍ * صَاحِبُ الْحَصَنِ الْعَتِيدِ
وَأَخُو الْقُوَّةِ وَالْبَأْسَاءِ * وَأَمْلِكُ الشَّدِيدِ
وَبِفَضْلِ الْمُلْكِ وَالْعُدَّةِ فِيهِ * وَالْمَدِيدِ
دَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ طَرًّا * لِيَ مِنْ خَوْفٍ وَعِيدِ
وَمَلِكْتُ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ * بِبِسْطَانٍ شَدِيدِ
فَاتَى هُوْدٌ وَكُنَّا * فِي ضَلَالٍ قَبْلَ هُوْدِ
فَدَمَانَا - لَوْ قَلِينَا * - إِلَى الْأَمْرِ الرَّشِيدِ
فَعَصَيْنَاهُ وَنَادَيْنَا * تَا أَهْلَ مِنْ عَمِيدِ
فَأَنْتَنَا صَبِيحَةَ نَهْ * يَوْمِ مِنَ الْأَفْقِ الْبَعِيدِ

تَسَوَّافِنَا كَزَرْعٍ * وَسَطَ يَدَاهُ حَصِيدٌ

وقد ساق أبو إسحاق الثعلبي أيضا هذه الأبيات بهذا السند دون الفصحة في تفسيره (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) وفيها في البيت الرابع بدل قوله :

..... طرأ * لى من خوف وعيدى

• دَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ لى مِنْ * خَوْفٍ وَعَدَى وَوَعْدَى

قال أبو إسحاق — رحمه الله — قال دَغَلُ الشَّيْثَانِي : سألت علماء حمير عن شَدَادِ بْنِ عَادٍ ، فقلت : إنه أصيب وكان قد دنا من إرم ذات الحماد ، فكيف وُجِدَ شَلْوُهُ فِي تِلْكَ الْمَغَارَةِ وَهِيَ بِحَضْرَمَوْتَ ؟ فقالوا : إنه لما هلك هو ومن معه بالعبيصة ، ملك بعده مَرْتَدُ بْنُ شَدَادٍ ، وقد كان أبوه خلقه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل أبيه إلى حضرموت ، فحُيِّلَ مَطْلَبًا بِالصَّبْرِ وَالْكَافُورِ ، فأمر أن تُخْفَلَ لَهُ تِلْكَ الْمَغَارَةُ ، وأُستودِعَهُ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ السَّرِيرِ الذَّهَبِ ؛ والله تعالى أعلم .

هذا ما أورده — رحمه الله — من خبر إرم ذات الحماد وخبر شديد وشَدَادِ بْنِ عَادٍ . وقد ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ هُودُ النَّبِيِّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي قَوْلِهِ :

فَاتَى هُودٌ وَكُنَّا * فِي ضَلَالٍ قَبْلَ هُودٍ

الآيات الخمسة .

وقد تقدّم في خبر هود وهلاك عاد بالريح العقيم ، أن ملكهم القائم بأمرهم في زمن هود كان اسمه الْخَلْجَانُ بْنُ الْوَهْمِ بْنِ عَادٍ ، وأنه هلك بالريح العقيم إثر هلاك قومه ، ولم يَرِدْ أَنَّهُ آمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى ؛ وهذه الآيات تنلّ على نعم قائلها ؛ ومقتضى هذا السياق فيه دلالة على أن شَدَادَ بْنَ عَادٍ هَذَا الْمَذْكُورَ أَهْلًا ، وَأَبْنَهُ مَرْتَدُ بْنُ شَدَادٍ

• وَخَبَرَ إِرْمَ ذَاتِ الْحَمَادِ ، كَانَ قَبْلَ مَبِثِّ هُودٍ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — والله تعالى أعلم .

ولنرجع إلى قصص الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام —

الباب السادس من القسم الأول من الفن الخامس

في قصة صالح — عليه السلام — مع ثمود وعقرهم الناقة وهلاكهم
قال الكسائي : قال كعب : لما أهلك الله — من — وجل — عادا، جاءت ثمود
وعمرت الأرض، وكانوا بضع عشرة قبيلة، في كل قبيلة زيادة عن سبعين ألفا
سوى النساء والنزلية، وكثروا حتى صاروا في عدد عاد وأكثر، وكانوا ذوى بطش
وقوة وعجبر وكفر وفساد، وكانت منازلهم ما بين الحجاز إلى الشام، وهي ديار الحجر
من وادي القرى، وكان ملكهم جندع بن عمرو بن عاد بن ثمود بن إرم بن سام
ابن نوح .

وقيل في نفسه : إنه جندع بن عمرو بن عمرو بن الدميسل بن عاد بن ثمود
ابن عائد بن إرم بن سام، وكانت طائفة ممن آمنتم بهود يذكرون له كيف أهلك الله
قوم عاد بالريح العقيم، وكيف كانت سيرة هود فيهم؟ فيقول : إنما هلك عاد لأنها
لم تكن تشيد بنيانها : ولا تصنع آلهتها، وكان بنيانهم على الأحقاف التي هي
الرمال، ونحن أشد قوة وبناء وبلاداً، ونحن نتخذ الجبال بيوتاً فننحتها في الصخر
لئلا يكون للريح عليها سبيل، ونحن نعبد آلهتنا حق العباد .

قال كعب : كانت قوة الرجل منهم أن ينحت في الجبل بيتاً طوله مائة ذراع
في عرض مثل ذلك، ويضربه بصفايح الحديد، ويُنقش باباً من حديد مصمت
لا يفتحه إلا القوى منهم، وكانت منازلهم أولاً بأرض كوش في بلاد عالج، فانتقلوا
إلى هذه البلاد لكثرة جبالها .

(١) في باقوت أن «عالج» رمال بين «فند» و«القربات»، وهي تسمية «بالعلمية» على طريق مكة؛

قلل هذا الموضع هو المراد هنا .

- قال : ثم أجمع كبارهم إلى ملكهم جُدَع ، وقالوا : نريد أن نَعُدْ لأنفسنا إلهاً تبديله ، لم يكن مثله لقوم عاد ولا قوم نوح . فأذن في ذلك ، ففتحوا صنماً من جبل يقال له : (الكتيب) وجعلوا وجهه كوجه الإنسان ، وعنقه وصدره كالبقرة ويديه ورجليه كالخيل ، وضربوه بصفائح الذهب والفضة ، وعقدوا على رأسه تاجاً ، ورصعوه باللؤلؤ والجواهر ؛ فلما كمل نحروا له سجداً ، وقربوا القربان ، وأقبلوا إلى الملك فقالوا له : أخرج إلى هذا الإله الذي أئمتنا أنفسنا في اتخاذه . فخرج الملك إليه في زينة وأصحابه ؛ فلما رأوه نحروا له سجداً ؛ ثم أمر الملك أن يُتخذ له بيت ، وأن يسقف بصفائح الذهب والفضة ، ويرصع بالجواهر ، وتُقرش أرضه بالنسيج ؛ وأمر أن يُتخذ لسائر الأصنام بيوت ، وأن يُتخذ سرير من العاج والابنوس على مرض البيت ، قوائمه من الفضة ، وأن تحلق فناديل الفضة بسلاسل الذهب ١٠ وأمر أن يُعمل للبيت مصراعان في كل مصراع مائة حلقة من الذهب والفضة ويعلق عليهما ستران ، وسماهما ستور العز ، ووضع الصنم على ذلك السرير ، وسائر الأصنام الصغار على كراسي العاج والابنوس ؛ وأمر أن يُتدب لخدمة الأصنام رجل من أشرف قومه وأحسنهم وأنسبهم ؛ فقالوا : ليس في عمود أشرف نسبا وأجمل وجهاً من كانوا^(١) . فاستدعاه وقربه وتوجه وسودده ، وجعله على خدمة الأصنام ؛ فقبل ذلك ، وتفرغ لخدمتها وعبادتها ، وقوم عمود يعبدون ذلك الصنم ، وقد أزدادوا عتواً وتجبّراً وكفراً وفساداً ، وافتق تعالى يزيدهم سعة وخصباً ، وهم يرون أن ذلك كله من بركات أصنامهم .

(١) كذا ورد هذا الاسم في (تاريخ الصين) في نسخة مقولة عن نسخة المؤلف مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظه بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ . والقي في الأصل : « كاتول » في جميع مواضعه .

ذكر ميلاد صالح - عليه السلام -

- قال : فبينما كانوا في بيت الأصنام ^(١) إذ تحركت نطفة صالح في ظهره، وصار لها نور على عينيه، وسمع هاتفا يقول : (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) ألا بعنا ومحقا ثمود لكفرهم، وهذا صالح بن كانوا يصلح الله به الفساد.
- ففرغ من ذلك ، وذهب ليتقدم إلى الصنم الأكبر، فطلق بإذن الله وقال : مالي ومالك يا كانوا، مثلك يخدمني وقد استنارت الأرض بنور وجهك للنور الذي في ظهرك؟! ثم تنكس الصنم عن سريره، فأطاعه كانوا وأعاناه إلى السرير، وبلغ الملك ذلك، فأعتم له؛ فقال له أصحابه : إن هذا لسوء خدمة كانوا فإنه لا يوفى الآلهة حقها في الخدمة . وهتموا بقتله، فأخفاه الله تعالى عن عيونهم؛ فلما كان الليل هبط عليه ملك من السماء، فأحتمله وهو نائم، وألقاه في وادٍ على أسيال من ديار قومه وهو لا يدري في أى موضع هو، فنظر غارا في جبل هناك، فدخله ليكنه من حر الشمس ونام، فضرب الله على أذنه مائة سنة، وفقد قومه، ونصبوا لخدمة أصنامهم رجلا منهم يقال له : داود بن عمرو، فبينما هم كذلك وقد خرجوا في يوم عيد لهم إذ نطقت الأشجار بإذن الله وقالت : يا آل ثمود، ألا تفتبرون، إن الله يخرج لكم في السنة من الثمار مرتين ، ثم تكفرون بنعمة ربكم وتعبدون سواه . ونطقت المواشى كذلك فعمدوا إلى الأشجار فقطعوها، وعفروا المواشى؛ فنطقت السباع ونادت من رموس الجبال : وليكم يا آل ثمود، لا تقطعوا هذه الأشجار وتذبحوا هذه المواشى وقد نطقت بالحق . فخرجوا إلى السباع بالأسلحة وهى تهرب من بين أيديهم

(١) كما ورد هذا الاسم في (تاريخ النبي) في نسخة مقولة عن نسخة المؤلف مأخوذة بالتصوير

الشمس محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ . واقى في الأصل : (كانول) في جمع مواضع .

وتستغيت باقة وتقول : اللهم طهر أرضك بنيك صالح ، وأرغم به الفساد . والقوم يسمعون ذلك ويقولون : قد كفر هؤلاء بالهتنا .

- قال : وكان لكانوه في ديار قومه امرأة يقال لها : (رعوم) وهي كثيرة البكاء عليه منذ فقدته ؛ فبينما هي ذات ليلة وإذا بغراب نَعَقَ ، فقامت لتنظر إليه ، فراءته على مثال الغراب ، ورأسه أبيض ، وظهره أخضر ، وبطنه أسود . وهو أحمر الرجلين والمنقار ، وأخضر الجناحين ؛ فقالت : أيها الطائر ، ما أحسنتك ! فقال : أنا الغراب الذي بُعثُ إلى قابيلَ فأريته كيف يوارى سوء أخيه ، وأنا من طيور الجنة ، وإني أراكِ باكية حزينة . فقالت : إني فقدتُ زوجي منذ مائة عام . فقال : اتبعني فأني أرشدك إليه . فتبعته ، وطُويتُ لها الطريق حتى وقَّعها على باب الغار ، ونادى الطائر : قم يا كانوه ، قم بقدره الله . فقام ودخلت إليه زوجته ، فواقعهما ، فحملت — بإذن الله تعالى — بصالح . وقبض الله كانوه لوقته ؛ وعادت رعوم والغراب يندما على منزلها ؛ فلما أتقضت مدة حملها ، وضعت في ليلة الجمعة من شهر المحرم ، فوقتَ هزة شديدة في بلاد نمود مولده ، ونحرت الوحوش والسباع ساجدة لله تعالى ، وأصبحت الأصنام وقد تنكست ؛ فأقبل داود وأخبر الملكَ بخبرها ؛ فجاء بأشراف ورفضوها على مراتبها وأسرتها ، وبقم الملك إلى الصنم الأكبر وقال : ما دهاك ؟ فتداهم إبليس منه : قد ولد فيكم غلام يدعوكم إلى دين هود ليس عليكم منه بأس .

فخرج الملك ومن معه مستبشرين ؛

- ونشأ صالح ، حتى إذا بلغ سبع سنين أقبل على قومه وهو يقول : يا آل نمود ، تنكرون حسبي ونسبي ، أنا فلان بن فلان . فيقولون : إنك من أحسبنا وأنسبنا ؟ حتى إذا بلغ عشر سنين إذ أقبل عليهم ملك من أولاد سام ، كان ينزوهم

في كل سبع سنين مرة فيسلب أموالهم، فوثب صالح إلى سيف أبيه وسلاحه وخرج يصدو، وإذا هو بالملك جندع وسادات قومه قد اجتمعوا، وقد أترع الملك منهم أموالهم، وهم لا يستطيعون دفعه عنها لكثرة جموعه؛ فصاح بهم صالح صيحة أزعجتهم، وألقى الله الرعب في قلوبهم، واستنقذ منهم جميع ما أخذوه من قومه.

فعجب جندع وأصحابه منه، وأقبلوا يقبلون صالحا ويكرمونهم؛ فغشى الملك على ملكه أن يزلوه ويولوا صالح بن كانوا، فهم أن يقتله، ودمس إليه جماعة من خواصه فدخلوا منزله، فأيس الله أيديهم عنه، وانحرس الستم؛ فعلم الملك أنه معصوم، فبعث يسأله فيهم؛ فدعاهم، فاطلق الله أيديهم وألستهم، وبقي صالح مكرما معظما في قومه.

ذكر مبعثه - عليه السلام -

قال : ولما أتى عليه أربعون سنة بعث الله - عز وجل - رسولا إلى قومه، بجاءه جبريل بالوحي من الله، وأمره أن يدعوهم إلى قول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) والإقرار بأن صالحا عبده ورسوله، وترك عبادة الأصنام، وأعلمه بما سيظهر على يديه من العجائب.

قال : فأقبل صالح إلى قومه في يوم عيد لهم وقد نصبوا أصنامهم واجتمعوا على بينها وشمالها، والملك جندع مشرف عليهم ينظر إليهم وإلى قربانهم؛ فتقدم حتى وقف على الملك وقال : قد علمت نصحي لك أبدا، وقد جئتكم رسولا أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني صالح رسول الله . فقال الملك له : إن قبائل ثمود لا ترضى أن يكون مثلك رسولا إليهم، فإني أنظر فيما تقول، فعد إلى غدا.

ثم أصبح الملك ودعا بأشرف قومه، وأخبرهم بخبر صالح؛ فقالوا: أحضره حتى نسمع ما يقول. فأحضره فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ فقال له نفر منهم: ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَهَلْ يَنْصَرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ فقال له الملك: كيف خصك ربك بالرسالة من بيننا، ورفلك علينا وفي قبائل عمود من هو أعر منكم؟ فقال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ثم قال: يا قوم اتقوا الله وأطيعون، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُنْتَكُونُ فِيمَا هَاهُنَا آمِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ طَلُوعُهَا هَضِيمٌ * أَى لَيْتٍ * وَتَخْتَوْنَ مِنَ الْجَبَالِ يَبُوتًا فَإِيهِنَّ * أَى حَاقِيقٍ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ * قَالُوا لِمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

قال: فأقبل الملك عليهم وقال: قد عرقتم صالحا في حسبه ونسبه، وأنا رجل منكم؛ فما تقولون؟ وما عندكم من الرأي في أمره؟ قالوا: أيها الملك ﴿إِنَّمَا اتَّخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلَّ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ قال الله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ﴾.

قال: فأمن به منهم جماعة، وخرج صالح من عند الملك، فأمره الله تعالى أن يبنى مسجدا لنفسه ولمن معه من المؤمنين، فأعانتته الملائكة على بنائه؛ فلما اكمل جاءه جبريل بشجرة ففرسها على باب المسجد، وأنبع الله له عينا من الماء العذب.

وكان صالح يخرج في كل يوم إلى قبيلة من قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى ويعظهم بأيام عاد وما حل بهم فيقول ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَقْتُلُونَ إِنْ صَالِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ فكان المستضعفون يقولون : ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ والمتكبرون يقولون : ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَاْفِرُونَ﴾ .

ولم يزل صالح يدعوهم حتى استكمل سبعين عاما؛ ثم أعظم الله نساءهم وجفت أشجارهم فلم تنثر، ولم تضع لهم بقرة ولا شاة .

ثم لم يزل يدعوهم حتى استكمل مائة سنة وهم لا يزدادون إلا كفرا؛ فلما آيس منهم خرج يريد أن يدعو طيهم بالهلاك، وقال لقومه : لا تبرحوا حتى أعود إليكم . وقصد جبلا فطاف به حتى أمسى ، فنظر إلى عين ماء ، فتقدم وتوضأ وقام ليصلى ويدعو على قومه ، فرأى في الجبل كهفا ، فدخله فرأى فيه سريرا من الذهب ، عليه فرش الحرير ، وفي وسط الكهف قنديل ؛ فعجب من ذلك ، وصعد على السرير ، فضرب الله على أذنه فنام أربعين سنة؛ وأخذ قومه في العبادة؛ فكان يموت منهم الواحد بعد الواحد ، فيدفن إلى جانب المسجد ، ويكتب على قبره : « هذا فلان بن فلان » .

قال : ثم بعث الله — عز وجل — صالحا من نومه ، فخرج من الكهف وتوضأ وصلى ركعتين ، وأراد أن يدعو على قومه ؛ فقيّل له : لا تعجل عليهم ، فإن عجلتك غيبتك عن قومك أربعين سنة .

فنادى إلى قومه ، وإذا برسوم وآثار لا يعرفها ، وأشرف على مسجده وهو خراب ليس فيه إلا الملائكة يحفظونه من فساق أهل ثمود؛ فقال : إلهي ما فعل

أهل هذا المسجد ؟ فنادته الملائكة : مات بعضهم ورجع الباقيون إلى دينهم الأول لما أسوا منك .

ثم أمره الله تعالى أن يأتي قومه ويدعوهم إلى عبادة الله والكف عن عبادة الأصنام ؛ فأقبل وهم مجتمعون في يوم عيدهم ومعهم ملكهم ، فناداهم : قولوا (لا إله إلا الله وإني صالح رسول الله) يا قوم إني أرسلت إليكم مرة وهذه أخرى .

فتصبروا وتساقطت أصنامهم ، ونطقت الأبواب : جاء الحق من ربنا . قال له الملك : من أنت ؟ قال : أنا صالح . قال : أليس قد بقي صالح فينا طويلا وغاب عنا منذ مدة طويلة ؟ ما أنت إلا ساحر جفنا بعده . وهم يقتله .

وكان لللك ابن عم يقال له : هذيل ، فقال : يا صالح ، لا نحتاج إلى نصحك ١٠ فانصرف عنا . فقال : يا هذا أما إنك ميت في يومك هذا أنت وأهلك وولدك في وقت كذا وكذا ، وفي غد يموت أبوك وأهلك ، فبادر إلى الإيمان ، فإن أمنت أحيأك الله وجعلك حجة على قبائل ثمود .

فأنصرف الرجل وهم ينظرون إلى الوقت الذي ذكره صالح ؛ فلما جاء الوقت مات الرجل وأهله وولده ، وأنتشر الخبر في قبائل ثمود ، ومات أبوه وأمه من الغد ؛ ١٥ فحجب الناس وجزعوا ، وخاف الملك .

وأقبل صالح فقال : يا آل ثمود ، كيف كان هذا الميت عندكم ؟ قالوا : خير رجل حتى مات . قال : فإن أحياء الله بدعائي ، أتؤمنون بي وبإلهي وتبرأون من أصنامكم ؟ قالوا : نعم . فجاء صالح إلى الميت فدعا ربه ، ثم ناداه باسمه فقال : لييك ٢٠ يا نبي الله ، وقام وهو يقول : (لا إله إلا الله صالح عبد الله ورسوله) .

فلما عين قومه ذلك ازدادوا كفرا، ودخلوا على صنمهم وشكوا ما يقونه من صالح؛ فطلق إبليس من جوفه وقال : انصرفوا إلى ما أتم عليه؛ وإذا رأيتم صالحا فقولوا : ائتنا يرهان كما أتى به هود ونوح .

فخرجوا مسرورين حتى أتوا صالحا، فقال لهم : قد رأيتم وسمعتم كلام الوحش والطير وإحياء الموتى وغير ذلك من الآيات ما فيه كفاية، فأى آية تريدون ؟ قالوا : نخرج نحن وأنت إلى هذا الوادى، وندعو وتدعو، وننظر أى الدعوتين تستجاب ؛ وتواعدوا إلى يوم عيدهم .

فلما كان في ذلك اليوم اجتمعوا وخرجوا بأصنامهم وزيتهم ؛ وأقبل صالح يفتري صفوهم ؛ حتى وقف أمام ملكهم، ودعاهم إلى الإيمان بالله . قالوا : أرنا آية . قال : ما تريدون ؟ قالوا : أخرج لنا ناقة من هذه الصخرة تؤمن بك ونعلم أنك صادق . قال : إن ذلك هين على ربى، ولكن صفوها لى .

فأقبل القوم يصف كل منهم صفة حتى أكثروا . فقال الملك : إن هؤلاء قد أكثروا وأنا أصفها بما فى قلبى : تكون ناقة ذات قرث ودم ولحم وعظم وعصب وعروق وجلد وشعر يخالطه وبر ، وتكون شكلا شقراء هيفاء، ولها ضرع كأكبر ما يكون من القلال، يدر من غير أن يستدر، يشخب لبنا غزيرا صافيا، ويكون لها فصيل يتبعها على مثالها، فإذا رغت أجابها بمثل رطائها، ويكون حنينها للإخلاص لربك بالتوحيد، والإقرار لك بالنبوة ، فإن أخرجتها على هذه الصفة آمنا .

فأوحى الله إليه : أن أعطيهم ما سألوا . فقال لقومه : إن الله قد شفعنى فى حاجتكم ، فإن أخرجتها تؤمنون ؟ قالوا : نعم ، على شرط أن يكون لبنها ألذ

- من النحر وأحل من العسل . قال : إن أخرجها ربّي تؤمنون ؟ قالوا : نعم
على شرط أن يكون لبنها في الصيف باردا ، وفي الشتاء حارّا ، لا يشربه مريض
إلا برئ ، ولا فقير إلا آستغنى . قال : إن أخرجها ربّي تؤمنون ؟ قالوا : نعم ، على
شرط ألا ترعى من مراعيها ، بل في دحوس الجبال ويطون الأودية ، وتذرما على
الأرض لمواشيتنا . قال : إن أخرجها ربّي تؤمنون ؟ قالوا : نعم ، على شرط أن
يكون الماء لنا يوما ولها يوما ، ولا يهوتا اللبن ، وتدخل علينا بالعشبات في بيوتنا
وتسمى كلّ واحد منّا بأسمه ، وتتأدى : « ألا من أراد اللبن » ؟ فيخرج ويضع
ما يريد تحت ضرعها ، فيمتلئ لبنا من غير احتلاب . قال تؤمنون حقيقة ؟ قالوا :
نعم . قال صالح : قد شرطتم شرائط كثيرة ، وأنا أشترط عليكم : لا يركبها أحد
١٠ ولا يمنعها من شربها ولا فصيلها .
بهم ولا يرميها بحجر وسهم . فقال : « سـ
قالوا : هذا لك يا صالح . فأخذ عليهم المواثيق .

ذكر خروج الناقة

- قال : فلما آتته شروطهم وشروطه ، وأخذ عليهم المواثيق ، قام وصلى
ركعتين ، ودما ، فأضطربت الصخرة وتمخضت ، وتفرّج من أصولها الماء ، والقوم
ينظرون ، وسمعوا دويّا كدوى الرعد ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا بقبة تنفض من الهواء
١٥ فأنحدرت على الصخرة وحولها الملائكة ؛ ثم تقدم صالح إلى الصخرة فضربها بقضيب
كان بيده ، فأضطربت وتشاخت صعدا ؛ ثم تطامنت إلى موضعها ؛ ثم خرج رأس
ووثبت من جوفها على الصفة كأنها قطعة جبل ، فوقف بين يدي الملك وقومه
وهي أحسن مما وصفوا ، وهي تتأدى : (لا إله إلا الله ، صالح رسول الله) .
٢٠ ثم مر جبريل على بطنها بحرية ، فخرج فصيلها على لونها .

﴿٢٤﴾

ثم نادى : « أنا ناقة ربى ، فسيحان من خلقى وجعلنى آية من آياته الكبرى » .

فلما رأى الملك ذلك قام عن سريره وقبل رأس صالح ، وقال : يا معشر قبائل
ثمود ، لا عمى بعد الهدى ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن صالحا رسول الله .

وآمن معه فى ذلك اليوم خلق كثير من أهل مملكته وغيرهم ، فلما رأى داود
خادم الأصنام ذلك نادى بصوت رفيع : يا آل ثمود ، ما أسرع ما صيبتكم إلى هذا
السحر ، إن كانت الناقة قد أعجبتكم فهلموا إلى أمتكم فسلوها حتى تُخرج لكم
أحسن منها .

فوقفوا عن الإيمان ، وعمدوا إلى شهاب أخ الملك ، فلكوه عليهم ، ودخل
جُندع المدينة فكرر الصنم الذى كان يعبد ، ونزق أمواله على المؤمنين ، ولبس
الصوف ، وعبد الله حق عبادته ، وكانت الناقة تُتبع صالحا كاتِّباع الفصيل لأُمِّه ،
فلما كان بعد ذلك أقبلت ثمود على صالح ، وقالوا : إن لم نمنس الناقة بسوء يصرف
ربك عنا عذابه ؟ قال : نعم ، إلى منتهى آجالكم . وكانت الناقة تخرج وفصيلها
خلفها ، فتصعد إلى رموس الجبال ، ولا تمر بشجرة إلا ألقت عليها أغصانها
فأكل أطايب أوراقها ، ثم تهبط إلى الأودية تترعى هناك ، فإذا أمست تدخل المدينة
وتطوف على دُور أهلها ، وتتأذى بلسان فصيح : ألا من أراد منكم اللبن فليخرج .
فيخرجون بآيتهم ، فيضعونها تحت ضرعها ، واللبن يشخب حتى تمتلئ الآنية ،
فإذا آكثفوا عادت إلى المسجد ، وتسبح الله حتى تصبح ، ثم تخرج إلى المرعى
وهذا دأبها .

قال : وكان للقوم بئير يشربون منها ليس لهم سواها ، فإذا كان يوم الناقة تأتى
وتتلئ رأسيها فتشربه وتقول : « الحمد لله الذى سقانى من فضل مائه ، وجعلنى حجة
على آل ثمود » .

وكانت تُمَجُّج من فيها إلى فم الفصيل حتى يَرَوَى ؛ فإذا كان يوم القوم أتوا البئر ونزحوا ما فيها ؛ وكانت الناقة تقول إذا أصبحت : إلهي كُلِّ من شرب من لبني وآمن بك وبرسولك فزده إيماناً وبقينا ، ومن لم يؤمن بك وبرسولك فأجعل ما يشرب من لبني في بطنه داء لا دواء إنك على كُلِّ شيء قدير .

ذكر خبر عقر الناقة وهلاك ثمود

قال : فلما كانت تدعو بذلك صار القوم إذا شربوا لبنها أعترتهم الحكة في أبدانهم ؛ فأجتمعوا وقالوا : ليس لنا في هذه من خير ؛ واجمعوا على عقرها ؛ وكانت فيهم امرأة يقال لها : عُنَيْزَةُ بنتُ غُثَمِ بْنِ جِلْزٍ ، وتُكْنَى أُمُّ غُثَمٍ ، وهي من بنات عبيد بن المهمل ، وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو ، وهي عجوز مسنة ، ولها أموال ومواش ، ولها أربع بنات من أجل النساء ، ويحارها امرأة يقال لها : صَدُوف بنت الحَيَّاء بن فهر ، ولها أيضا مواش كثيرة ؛ فدعنا قومهما إلى عقر الناقة ، فلم يبيحوا إلى ذلك ؛ فبينما صَدُوف كذلك إذ مرَّ بها رجل يقال له الحباب — وكان مولعا بالنساء — فعرضت نفسها عليه على أن يعقر الناقة ؛ فأمتنع ، فقالت له : لقد جَبُنَ قلبك ، وقصرت يدك . وتركته ؛ وأقبلت على ابن عم لها يقال له : مِصْدَعٌ فكشفت عن وجهها ، وعرضت نفسها عليه على أن يُعْصِدَها عَقَرَ الناقة ؛ فأجاب . وأقبلت صَدُوف إلى عُنَيْزَةَ فأخبرتها بذلك ، فقرحت به . قالت : إلا أنه مفرد ، ولكن قومي إلى عزيز ثمود قُدَّار ، فإنه شاب لم يتزوج ، فأعرضي عليه بناتك

(١) كما ورد هذا الاسم في تفسير الطبري ج ٨ ص ١٦٠ . والقي في الأصول : « مخد » .

(٢) كما ورد هذا الاسم في تفسير الطبري . والقي في الأصول : « المد » .

(٣) كما ورد هذا الاسم في تاريخ النبي في النسخة المنقولة عن نسخة المؤلف .

(٤) كما ورد هذا الاسم في تفسير الطبري . والقي في الأصول : « الحناب » .

(٥) كما ضبط هذا الاسم بالقلم في تاريخ النبي في النسخة المنقولة عن نسخة المؤلف .

لعله يفعل ؛ ففعلت عُذرة ذلك ، وزينت بناتها ، وأقبلت بهنَّ إلى قُدار ، وكان أقيح رجل في ثمود ، وكان في عينيه زُرقة ، وكأنتهما عدستان ، وأهه أفتس ولحيته بطوله ، غير أنه كان يمز بالشجرة العظيمة فينطحها برأسه فيكسرها ؛ فلما رآه عُذرة رجعت بناتها إلى صَدُوف ، وقالت : من تطيب نفسه أن يزوجَ مثل هؤلاء من هذا ؟ فلم تزل بها حتى رجعت بهنَّ إليه ، وهرضتهنَّ عليه ؛ فأختر منهنَّ (الرباب) ، وأجاب إلى عقر الناقة ، وأجتمع إليه ^(١) مصدع وأخوه ورعين وداود خادم الأصنام وريان وليد والمصد وهرزيل ومفرج ^(٢) فهؤلاء التسعة الذين ذكرهم الله في كتابه ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ .

فطافوا بأجمعهم على قبائل ثمود وأعلموهم بما أجمعوا عليه من عقر الناقة ؛ فرضى بذلك كبيرهم وصغيرهم ، وأجتمع هؤلاء التسعة بسبوفهم وقِسَمَهم ، وذلك في يوم الأربعاء ، وقعدوا ينتظرون الناقة ، فأقبلت حتى قربت من البرء ؛ فنادت عُذرة : يا قدار ، اليومَ يومُك ، فانت السيد في قومك . قال الله : ﴿ فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ .

قال : فشذ قدار قوسه ورماها بهم فأصاب لبتَّها ، وهو أول من رماها ، ثم مصدع ، وأقبلوا عليها بالسيوف فقطعوها ، وأندرت فصيلها ، فهرب إلى رأس جبل ، ودعا باللعنة على ثمود ، فأتبعه القوم وعقروه ، وتقاموا لحمه .

(١) في كتاب الكسائي « وأتراسه حراب » . (٢) كما ورد هذا الاسم مضبوطاً بالقلم في تاريخ العيني في النسخة المتولة عن نسخة المؤلف . وفي الأصول : « دعل » . (٣) كما ورد هذا الاسم بالزاي في الأصول وتاريخ العيني مضبوطاً بالقلم في الأخير . (٤) يلاحظ أن هذه الأسماء الثلاثة قد اختلفت فيها الروايات والمصادر اختلافاً يما لم يحفل فيها قارياً في رسم الحروف .

وحكى التلميذ في كتابه المترجم (بواقيت البيان في قصص القرآن) : أَنَّ الفصيل لما عُفِرَت الناقة أتى جبلا منيعا يقال له : صُور . وقيل : اسمه غَارِه ؛ وأن صالحا لما بلغه عفر الناقة أقبل إلى قومه ، فخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه ويقولون : إنما عفرها فلان وفلان ، ولا ذنب لنا .

- فقال لهم صالح : أنظروا ، هل تدركون فصيلها ؟ فعمى أن تدركوه فبرقع عنكم العذاب . فخرجوا يطلبونه ، فلما رأوه على الجبل ذهبوا لياخذوه ، فأوحى الله تعالى إلى الجبل أن يتناول ؛ فتناول في السماء حتى ما يناله الطير ؛ وجاء صالح ، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ؛ ثم دعا ثلاثا فاضربت الصخرة حتى دخلها ؛ فقال صالح : بكل دعوة أجل يوم فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكتوب .
- ١٠ نرجع إلى رواية الكسائي ، قال : وصاح قُدار بأصحابه : هلموا . فقدموا فأمرهم أن يقطعوا لحم الناقة ؛ فقطعوا وطبخوا وقعدوا للأكل والشرب ، وصالح لا يعلم بذلك ، فتأذته الوحوش : يا صالح ، هتكتمود حرمة ربها ، وتعذوا أمره . فأقبل بالمؤمنين من قومه ؛ فلما رآها بكى وقال : إلهي أسألك أن تنزل على ثمود عذابا من عندك .

- ١٥ فأوحى الله إليه : أن أنذر قومك بالعذاب . فبشّرهم بعذاب الله . فقالوا له : أفضل ما بدا لك ، فقد عقرناها ، وقد أنذرت بالعذاب منذ بعيد وما نرى له أثرا . فقال لهم : ((تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْنُوبٍ)) . وبات القوم ليلتهم ، فلما أصبحوا تفجرت آثار وطء الناقة بعيون الدم ، وظهرت الصفرة في ألوانهم ؛ فقالوا : يا صالح ، ما هذا التنير في ألواننا وبلادنا ؟ قال :

غَضِبَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ . فاجمعوا على قتله ، وقالوا : إذا قتلناه أمتنع عنا صخره ولا تُمَكِّنْهُ الإِسَاءَةَ إِلَيْنَا . فتَقَتَّمُ التسعة لقتله عند ما أقبل الليل ، فوقف لهم جبريل ورمى كُلَّ واحد منهم بحجر فقتله .

فلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ نَظَرْتُ ثُمُودَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ قُتِلُوا ، فَقَالُوا : هَذَا مِنْ فَعْلٍ صَالِحٍ . فَعَزَمُوا عَلَى الْمَجْزُومِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ ، بِخَافِئِهِ لِيَقْتُلُوهُ فَمَا رَأَوْهُ ، وَأَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَقَدْ أَحْزَمَتْ وَجُوهُهُمْ ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أَسْوَدَتْ ، فَأَيَقَنُوا بِعَذَابِ اللَّهِ ، وَحَفَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ حَفَائِرَ ، وَلِأَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَلِبَسُوا الْأَنْطَاعَ ، وَجَلَسُوا فِي الْحَفَائِرِ يَتَنَظَّرُونَ الْعَذَابَ ، وَصَالِحٌ يَخُوفُهُمْ وَيَنْذَرُهُمْ عَذَابُ اللَّهِ وَهُمْ لَا يَبَالُونَ بِهِ .

١٠ فلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ — وَهُوَ صَبِيحَةُ الْأَحَدِ — أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى جَبْرِيْلَ فَنَشَرَ جَنَاحَ غَضَبِهِ ، وَأَتَاهُمْ بِشَرَارَةٍ مِنْ نَارٍ لَظِيٍّ ، وَجَعَلَ يَرْمِيهِمْ مِنْهَا بِحُجَرٍ مُتَوَفِّجٍ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ ، وَثُمُودَ بَارَكَةً فِي حَفَائِرِهَا .

وَأَخَذَ جَبْرِيْلُ بِمَقْشُورِ الْأَرْضِ ، فَزَلَزَتْ بَيْتُهُمْ وَقَصُورُهُمْ ، ثُمَّ نَشَرَ جَنَاحَ غَضَبِهِ عَلَى دِيَارِ ثُمُودَ ، وَصَاحَ صَبِيحَةً ، فَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (فَكَانُوا كَهَيْشِمْ الْمَحْتَضِرِ) .
١٥ ثُمَّ أَقْبَلَتْ مَحَابَةُ سُودَاءَ عَلَى دِيَارِهِمْ ، فَرَمَتْهُمْ بِوَجِّ الْحَرِيقِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى صَارُوا رَمَادًا .

فلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ أُنْجِلَتِ السَّحَابَةُ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَجَاءَ صَالِحٌ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَطَافَ بِدِيَارِهِمْ ، وَأَحْتَمَلُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ أُمُومٍ وَأَرْتَحَلَ بِقَوْمِهِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ ، فَتَرَلَ بِأَرْضِ فَلَسْطِينِ ، وَأَقَامَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
٢٠ حَتَّى مَاتَ .

الباب السابع من القسم الأول من الفن الخامس في أخبار أصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد وما كان من أمرهم وهلاكهم

قال الكسائي : قال كعب : لما قبض الله تعالى نبيه صالحا عليه السلام بأرض

- فلسطين ، خرج أصحابه إلى بلاد اليمن فتفرقوا فرقتين : فزلت إحداهما بأرض
عدن ، وهم أصحاب البئر المعطلة ، والثانية صارت إلى (حضر موت) (والقصر
المشيد) وهو قبل البئر ، والذي بناه رجل يقال له : جند بن عاد ، وذلك لأنه رأى
ما نزل بقوم هود من الريح ، فزم على بناء قصر مشيد ، فبالغ في تشييده ، وانتقل
إليه ، وكان له قوة عظيمة ، فكان يقطع الشجرة ، ويمز بیده في الجبل فيخرقه
وكان مولعا بالنساء ، فتزوج زيادة عن سبعمائة امرأة ، ورزق من كل امرأة ذكرا
وأنثى ؛ فلما كثر ولده وقومه طغى في الأرض وتجبّر ، وكان يقعد في أعلى قصره مع
نسائه فلا يمز به أحد إلا أمر بقتله ؛ فلما كثر فساد أهله الله بصيحة جبريل
جاءته من قبل السماء فأهلكته هو وأولاده وقومه .

قال الكسائي : ولا يحمر أحد أن يدخل إلى القصر مما نزل بسكانه .

- قال : ويقال : إن فيه حية عظيمة ، وإنه يُسمع من داخله أنين كآنين المريض .
وأما البئر المعطلة — فهي بأرض عدن ، وكان أهلها على دين صالح ، وكان
المطر ينقطع عنهم في بعض الأوقات حتى يبلغ بهم الجهد ، فيحملون الماء من بلد
بعيد ، فأعظام الله تعالى هذه البئر على ألا يُشركوا به شيئا ، ويعبدوه حق عبادته
وكانوا معجبين بها ، قد بنوها بالوان الصخور ، وبنوا حولها حياضا بعدد قبائلهم ؛
وكان لهم ملك يسومهم ، فلما مات حزّوا عليه حزنا عظيما ؛ فأقبل عليهم إبليس وقال :
٢٠

ما بالكم بهذا الحزن ؟ قالوا : كيف لا نكون كذلك وقد فقدنا مَلِكًا مع إحسانه إلينا . قال : إنَّه لم يمِتْ ، ولكنه آحجب عنكم لنفضبه عليكم ، ولكونكم لم تبدوه . وأطلق إبليس فآخذ لم صنما على صورة المَلِكِ ، ونصبه على سريره ، وقال : هلموا إلى المَلِكِ فاسمعوا كلامه .

فأقبلوا حتى وقفوا من وراء السَّتر ، ووقف إبليس في جوف الصنم شيطانا يكلمهم بلغة لا ينكرون أنَّها لغة المَلِكِ ؛ ثم قال إبليس : اسمعوا . فكلمهم الشيطان من الصنم وقال : يا آل عمود ، ماى أراكم تبكون ؟ قالوا : لفقدك . قال : قد كذبتُم ، لو كنتم تحبونى كما تقولون كنتم عبدتمونى ، وقد كنت فيكم أربعائة سنة ما فيكم من سجد لى سجدة واحدة ، والآن فقد البسنى ربى ثوب الألوهىة ، فصيرنى فيكم لا آكل ولا أشرب ولا أنام ، وأخبركم بالغيوب ، فأعبدونى وسمونى رباً ، فإنى أقربكم إلى ربى زُلْزُلَى .

قالوا : يأيها المَلِكُ ، فلورأينا وجهك . فرفع إبليس الحجاب حتى رأوه فلم ينكروا من صفاته شيئاً ، نفخوا له سجداً ، وآخذوه رباً ؛ وكان فيهم رجل من خيار قوم صالح اسمه حنظلة بن صفوان ، ففارقهم ولحق بالحرم ، وعبد الله حينئذ فرأى فى منامه قائلاً يقول له : قد أمرك ربك أن تصير إلى قومك وتحذّركم عذابه إن لم يرجعوا عن عبادة الأصنام ، وتذكّرهم اليهود فى البئر ، وإن لم يؤمنوا غار ماء البئر حتى يموتوا عطشاً .

فأنبّه ونرج من ساعته حتى آتى قومه ، فأنذرهم ووعظهم ، فهموا بقتله فمطل الله تعالى برهم حتى لم يجدوا فيها قطرة ، فاتوا إلى صنمهم فلم يكلمهم ، وأنتهم صبيحة من السماء ، فهلكوا عن آخرهم .

ويقال : إنَّ سليمان صَفَّدَ شياطين وحشهم بهذه البئر ؛ وافقه أهل .

الباب الثامن من القسم الأول من الفن الخامس

في خبر أصحاب الرس وما كان من أمرهم

قال الكسائي : قال كعب : إن أصحاب الرس كانوا بمضرموت ، وكانوا كثيرا ، فبنوا هناك مدينة كانت أربعين ميلا في مثل ذلك ، فأحفروا لها القنوات من تحت الأرض ، وسَمَّوها رَسًا ، وكان ذلك أيضا آممَ مَلِكِهِمْ ؛ فَأَقَامُوا فِي بِلَدِهِمْ دَهْرًا طَوِيلًا يَسْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ عِبَادَتِهِ ؛ ثُمَّ تَغَيَّرُوا عَنْ ذَلِكَ وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَكَانَ تَمَّا أَحَدُثُوهُ إِيثَانُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ وَالْمِبَادِلَةُ بَيْنَ ، فَكَانَ كُلُّ مَنْهُنَّ يَبِثُ بِأَمْرَانِهِ إِلَى الْآخَرِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَأَتَاهُنَّ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ أَمْرَاءَ وَمَلَأَهُنَّ السَّحَاقَ فَفَعَلْنَهُ ، وَهُنَّ أَوَّلُ مَنْ أَتَى النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ وَسَاحِقٌ ؛ فَأَشْهَرَتْ هَذِهِ الْقَبَائِحَ فِيهِمْ .

- ١٠ فَبِثَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا اسْمُهُ حَنْظَلَةُ . وَقِيلَ : خَالِدُ بْنُ سَنَانٍ . وَقِيلَ :
ابن صفوان . فَدَعَاهُمْ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَفَعَلَ الْقَبَائِحَ وَحَذَّرَهُمْ وَذَكَرَهُمْ مَا حَلَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَمِّ ؛ فَكَذَّبُوهُ ؛ فَوَعَظَهُمْ دَهْرًا طَوِيلًا وَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، فَضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالْفَحْطِ ، فَقَتَلُوا نَبِيَّهُمْ وَأَحْرَقُوهُ بِالنَّارِ ؛ فَصَاحَ بِهِمْ جَبْرِيلُ صَبِيحَةً فَعَصَارُوا حِجَارَةً سَوْدَا ، وَخَسِفَتْ مَدِينَتُهُمْ .

- ١٥ وَقِيلَ : إِنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ لَمْ يَرَهَا إِلَّا ذُو الْقَرْنَيْنِ ، وَإِنَّ رَأْمَ حِجَارَةٍ ، وَرَأَى النِّسَاءَ مُتَصِفَاتٍ بَعْضُهُنَّ بَعْضٌ ، وَرَأَى الْمُلُوكَ عَلَى الْأَسْرَةِ وَيُنَ أَيْدِيَهُمُ الْجَنُودَ قَائِمَةً ، بِأَيْدِيهِمُ الْأَعْمَدَةُ وَالْأَسْلِحَةُ ، وَقَدْ صَارُوا كُلُّهُمْ حِجَارَةً سَوْدَا .
هَذَا مَا حَكَاهُ الْكَسَائِيُّ .

وقال أبو إسحاق التلمی - رحمه الله تعالى - قال سعيد بن جبیر والكلبي



- ٢٠ وَالتَّلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ - دَخَلَ كَلَامُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ ، وَكُلُّ قَدْ أَخْبَرَ بِطَائِفَةٍ مِنْ حَلِيقِ

أصحاب الرس : أنهم بقية نوح وقوم صالح ، وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه (وَيَرْثُ مُعْتَلَىٰ) .

قال : وكانوا بقلج اليمامة نزولا على تلك البئر .

وكل ركية لم تُطَوَّ بالحجارة والآجر فهي رس ؛ وكان لهم نبي يقال له : (حنظلة

• ابن صفوان) . وكان بأرضهم جبل يقال له : (قلج) مُضْعِد في السماء ميلا

وكانت السماء تأتيه ، وهي أعظم ما يكون من الطير ، وفيها من كل لون ، وسموها

السماء لطول عتقها ، وكانت تكون في ذلك الجبل وتنقض على الطير فتأكلها

بفاعت ذات يوم وأعوّزها الطير ، فاقضت على صبي فذهبت به ، فسميت عتقاء

مُغْرِب ، لأنها تُقَرَّب بما تأخذه وتذهب به ، ثم أقضت على جارية حين ترعرعت

فاخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين ، فشكوا ذلك

إلى نبيهم ؛ فقال : اللهم خذها وأقطع نسلها ، وسلط عليها آفة تذهب بها .

فاصابتها صاعقة فاحترقت ، فلم ير لها أثر بعد ذلك .

قال : ثم إن أصحاب الرس قتلوا نبيهم ، فأهلكهم الله تعالى .

قال الثعلبي : وقال بعض العلماء : بلغني أنه كان رسّان : أما أحدهما فكان

أهله أهل بذر وعمود ، وأصحاب غنم ومواش ، فبعث الله إليهم نبيا فقتلوه ، ثم بعث

الله رسولا آخر وعصده بولي ، فقتلوا الرسول ، وجاهداهم الولي حتى ألقىهم ؛

وكانوا يقولون : إلهنا في البحر . وكانوا على شفير البحر ؛ وكان يخرج إليهم من

البحر شيطان في كل شهر خروجة فيذبجون عنده ، ويتحننون ذلك اليوم عبدا ؛ فقال

لهم الولي : أرايتم إن خرج إليكم الذي تدعونه وتعبدونه إلى وأطاعني أتجيبيوني

إلى ما دعوتكم إليه ؟ قالوا : بلى . وأعطوه على ذلك اليهود والمواثيق ، فانتظر

حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا على أربعة أحوات ، وله عنق

متقلب ، وعلى رأسه مثل التاج؛ فلما نظروا إليه خروا سجداً، ونرج الولى إليه وقال : ائتني طوعاً أو كرها باسم الله الكريم .

- فزل عند ذلك عن أحوائه؛ فقال له الولى : ائتني راجعاً لئلا يكون القوم في شك . فأتى الحوت وأنت به الحيتان حتى أفضوا إلى البر يحرثونه ويحزمهم ؛ ثم كذبوه بعد ما رأوا ذلك ، وتقضوا العهد ؛ فأرسل الله تعالى عليهم ريحا تمذهبهم •
- في البحر ومواشيهم وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآتية ؛ فأتى الولى الصالح إلى البحر حتى أخذ التبر والفضة والأواني ، فقسمها على أصحابه بالسوية على الصغير والكبير ، وأقطع ذلك النسل .

- وأما الرّس الآخر — فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرّس ، وذلك النهر بمنقطع أذريجان ، بينهما رّس أرمينية ، فإذا قطعتة مدبراً دخلت في حدّ أرمينية وإذا قطعتة مقبلاً دخلت في حدّ أذريجان ، وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الأوثان ، ومن قدامهم من أهل أذريجان يعبدون النيران ، وكانوا هم يعبدون الجوارى العذارى ، فإذا تمت لإحدهن ثلاثون سنة قتلوها وأستبدلوا غيرها . وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ ، وكانت يرتفع في كلّ يوم ليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال أتى حوله ، ولا ينصب في برّ ولا بحر ، وإذا خرج من حتم يقف ١٥ ويدور ثم يرجع إليهم ، فبعث الله إليهم ثلاثين نبياً في شهر واحد ، فقتلهم جميعاً فبعث الله إليهم نبياً وأيده بنصره ، وبعث معه ولياً ، فخاضهم في الله حتى جهاده .
- ثم بعث الله تعالى ميكائيل حين نابذوه — وكان ذلك في أوان وقوع الحبّ في الزرع ، وكانوا إذ ذاك من أحوج ما يكون إلى الماء — فجحر نهرهم في البحر ^(١)

فانصبَّ ما في أسفله ، وأما عيونه من فوق فسَلَحها ، ثم بعث الله تعالى خمسمائة ألف ملكٍ من الملائكة أعوانا له ، ففرَّغوا ما بقى في نهرهم .
ثم أمر الله تعالى جبريل فقتل فلم يدع في أرضهم عينا ولا نهرا إلا أيَّسه بإذن الله تعالى .

وأمر ملك الموت فأطلق إلى المواشي فأمانتها في روضة واحدة .
وأمر الرياح الأربع : الجنوب والشمال والديور والصبأ فضمت ما كان لهم من متاع ، وألقى الله تعالى عليهم السَّبات .
ثم خففت الرياح الأربع بذلك المتاع أجمع فشنته في رموس الجبال وبطون الأودية .

وأمر الله الأرض فأبتلت ما كان لهم من حلٍّ وبرٍّ وآنية ؛ فأصبحوا لا ماشية عندهم ولا بقر ولا مال يرجعون إليه ولا ماء يشربون ولا طعام يأكلون ، فأمن بالله تعالى عند ذلك قليل منهم ، وهداهم الله تعالى إلى غار في الجبل له طريق إلى خلفه ، فنجوا ، وكانوا أحدا وعشرين رجلا وأربع نسوة وصبيان ، وكان عذة الباقين من الرجال والنساء والذراري ستمائة ألف ، فماتوا عطشا وجوعا ، ولم تبق منهم باقية .

ثم عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها ، فدعا القومُ عند ذلك غلصين أن يحميهم الله تعالى بماء وزرع وماشية ، وأن يعمل ذلك قليلا لئلا يطفوا . فأجابهم الله تعالى إلى ذلك ، وأطلق لهم نهرهم ، وزادهم على ما سألوه .

فأقام أولئك القومُ على طاعة الله تعالى باطنا وظاهرا حتى مضوا وأتقروا ؛ فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله تعالى في الظاهر ، وناقضوا في الباطن ؛

وأمر الله تعالى لهم ، ثم بعث الله عليهم عدوهم من قاربهم وخالفهم ، فأسرع فيهم القتل ، وبقيت منهم شرذمة ، فسأط الله عليها الطاعون ، فلم يبق منهم باقية وبقي نهرهم ومنازلهم مائي عام لا يسكنها أحد .

- ثم أتى الله بعد ذلك بقرن فترلوها وكانوا صالحين سنين ، ثم أحدثوا فاحشة وجعل الرجل منهم يدعو أبنته وأخته وزوجته فيلقى بهن جاره وأخاه وصديقه •
 يلتبس بذلك البر والصلة ؛ ثم أرتفعوا عن ذلك إلى نوع آخر ، ترك الرجال النساء حتى شقن ، وأشتغلن عن الرجال ، لجأت النساء شيطانة في صورة امرأة — وهى الولهانة بنت إبليس — فشبهت للنساء ركوب بعضهن بعضا ؛ وعلمتهن كيف يصنعن ؛ فأصل ركوب النساء النساء منها ؛ فسأط الله تعالى على ذلك القرن صاعقة من أول ليلتهم ، وخسفا في آخر الليل ، وصيحة مع الشمس ، فلم تبق منهم باقية ١٠
 وبادت مساكنهم .

قال الثعلبي : ولا أحسب مساكنهم اليوم مسكونة .

- وقال أبو إسحاق الثعلبي أيضا : وروى علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب — رضى الله عنهم — أن رجلا من أشرف بني تميم يقال له : عمرو ، أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن أصحاب الرس وأى عصر كانوا فيه ؟ وأين كانت منازلهم ؟ ومن كان ملكهم ؟ وهل بعث الله تعالى إليهم رسولا أولا ؟ وبماذا هلكوا ؟ فأتى أجد في كتاب الله تعالى ذكرهم ولا أجد خبرهم •

فقال له : لقد سألتني عن حديث ما سألتني عنه أحد قبلك ، ولا يحدثك

كان من قصتهم يا أخا تميم أنهم كانوا يعبدون شجرة صنوبر يقال لها :
 ساب درحب^(١) ، كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها : دوسات^(١)
 كانت أنيطت لنوح بعد الطوفان ، وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له
 الرّس من بلاد المشرق ، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر ولا أعذب منه ولا قرى
 أكثر سكّانا وعمرانا منها ؛ وذلك قبل سليمان بن داود ، وكان من أعظم مدائنهم
 اسفيدبا^(١) ، وهي التي كان يزلفها ملكهم ، وكان يسمى بركون بن عابور بن بلوش بن
 سارب بن الثمروذ بن كنعان ، وفيها العين والصنوبر ، وقد غرسوا في كلّ عين
 حبة من تلك الصنوبر ، فنبت الحبة وصارت شجرة عظيمة ، وحرّموا ماء تلك
 العيون والأنهار ، لا يشربون منها ولا أنعامهم ، ومن فعل ذلك منهم قتلوه
 ويقولون : هي مياه ألهتنا ، ولا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ، ويشربون هم
 وأنعامهم من نهر الرّس الذي عليه قراهم ؛ وقد جعلوا في كلّ شهر من السنة في كلّ
 قرية عيداً يجتمع أهلها ويشربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير ، فيها من
 أصناف الصّور ؛ ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ، ويشعلون فيها
 النيران ، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقارها وبخارها في الهواء ، وحال بينهم وبين
 النظر إلى السماء ، خروا سجداً ، ويتلون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم .

وكان الشيطان يحىء فيحرك أغصانها ويصبح من ساقها صباح الصبي : عبادى
 قد رضيت عنكم ، فطيّبوا قسا ، وقزوا عينا . فيرفقون عند ذلك رءوسهم ، ويشربون
 الخمر ، ويشربون بالمعازف ؛ فيكونون على ذلك يومهم وليتهم ، ثم ينصرفون ؛ حتى
 إذا كان عيد قريتهم العظيم ، اجتمع إليه صغيروهم وكبريهم ، فضرّبوا عند الصنوبر

(١) كما وردت هذه الأسماء التي تحت هذا الرق في جميع الأصول . ولم تقف فيما واجهناه من
 الكتب على ما نقلناه إليه في تصحيحها ومبطلها ، على أن الكتب مختلفة في هذه الأسماء القديمة اختلافاً كثيراً .

(٣٦)

- والعين سُرّادقا من دياح، عليه من أنواع الصُور، له اثنا عشر بابا، كلّ باب لأهل قرية منهم؛ ويسجدون للصنوبرة خارجا من السرادق، ويقربون لها الذبائح
- أضغاف ما يقربون للأشجار التي في قُراهم؛ فيجىء إليّيس عند ذلك فيحرك الشجرة تحريكا شديدا، ويتكلّم من جوفها كلاما جهرا، ويعدّهم ويمتّهم بأكثر ممّا وعدهم به الشياطين كلّهم؛ فيرففون رموسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط
- ما لا يفيقون ولا يتكلّمون [معه]؛ فيداومون الشرب والعزف، فيكونون على ذلك اثني عشر يوما بلباليها بمدد أعيادهم في السنة؛ ثم ينصرفون؛ فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره، بعث الله إليهم نبيا من بني إسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب، فلبث فيهم زمنا طويلا يدعوهم إلى الله تعالى، ويعترفهم ربوبيته؛ فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته؛ فلما رأى شدة تماديهم في البني والضلالة
- وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والصلاح، وحضر عيد قريتهم العظمى قال: يا ربّ إنّ عبادك أبوا تصديق ودعوتي لهم، فما زادوا إلّا تكذيب والكفر بك، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر، فأبّيس شجرهم أجمع، وأرهم قدرتك وسلطانك •
- فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كلّ، فهالهم ذلك وتضعضوا، فصاروا فرقتين: فرقة قالت: يحمرّ هذا الرجل الذي زعم أنّه رسول ربّ السماء، ألهامك لبصر وجوهكم عنها إلى إلهه؛ وفرقة قالت: بل غضبت ألتكم حين رأيت هذا الرجل يسيها ويقع فيها، ويدعوكم إلى عبادة غيرها، فحجبت حسنها وبهاها لكي تفضبوا لها، فتنبصروا منه •
- فأجمعوا رأيهم على قتله، فأخذوا مثال بئر، وأخذوا أنابيب طولا من رصاص واسعة الأفواه، ثم أرسلوها إلى قرار العين واحدة فوق الأخرى مثل البرامج، ونزحوا

ماء العين ، ثم حفروا في قرارها بئرا ضيقة المدخل عميقة ، وأرسلوا فيها نبيهم ، وألقوا عليه فيها صخرة عظيمة ؛ ثم أخرجوا الأثايب من الماء وقالوا : الآن نرجو رضا آلهتنا عنا إذا رأنا قد قتلنا من كان يقع فيها ، ويصد عن عبادتها .

فبقوا عاقبة يومهم يسمعون أنين نبيهم ، وهو يقول : سيدي ، ترى ضيق مكاني وشدة كربى ، فأرحم ضعف ركني وقلة حيلتي ، وعجل قبض روحى ولا تؤخر إجابة دعوتى . حتى مات عليه السلام .

فقال الله تعالى بلهريل : انظر عبادى هؤلاء الذين غرهم حلمى ، وأمنوا بكبرى ، وعبدوا غيرى ، وقتلوا رسولى ؛ وأنا المنتقم ممن عصانى ولم يخش عذابى وإنى خلقت بعزتى لأجعلهم عبرة ونكالا للعالمين .

١٠ . فبينما هم في عيدهم إذ غشيتهم ريح حاصف حمراء ، فتحيروا ودُعروا منها وأنضمّ بعضهم إلى بعض ، ثم صارت الأرض من تحتهم حَجَر كبريت يتوقد ؛ وأظلمت بحابة سوداء ، فألفت عليهم كالقبة حجرا يلهب نارا ، فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار؛ نعوذ بالله من غضبه ودرك^(١) قَمَتِهِ .

(١) « ودرك قمته » ، أى لما فيها بنا .

القسم الثاني من الفن الخامس

في قصة إبراهيم الخليل — عليه الصلاة والسلام — وخبره مع نمرود، وقصة
لوط، وخبر إسحاق ويعقوب، وقصة يوسف وأيوب وذى الكفل وشعيب
وفيه سبعة أبواب

- الباب الأول منه في قصة إبراهيم الخليل — عليه الصلاة والسلام —
وخبر نمرود بن كنعان .

ولنبداً من هذه القصة بخبر نمرود ؛ ثم نذكر قصة إبراهيم — عليه السلام —
لتعلق قصته به ، لأن إبراهيم ولد في زمانه ، وأبنته الكبرى معه .

ذكر خبر نمرود بن كنعان

- ١٠ هو نمرود بن كنعان بن كوش ، وهو أحد ملوك الدنيا الأربعة الذين ملكوا
شرقها وغربها .

وقد ورد أنهم مؤمنان وكافران : فالؤمنان سليمان بن داود والإسكندر
ذو القرنين المذكور في سورة الكهف ؛ والكافران : شداد بن عاد ونمرود
ابن كنعان .

- ١٥ وقد قيل : بدل شداد بـجُحَاصٍ .

قال الكسائي : قال وهب : لما أهلك الله تعالى أهل الرس بالمسخ ومن
تقدمهم بما ذكرناه ، أنشأ قروناً آخرين ، فكان ممن أنشأ من ولد حام بن نوح كوش
ابن قرظ بن حام ، وكان جباراً شديد القوة عظيم الخلق ، له غاليب كالسباع
وهو الذي أنشأ كوثاراً من أرض العراق ، وولد له بها ولد سماه كنعان ، وكان له

ولد آخر يقال له : الحاص ، فلما مات كوش أستقل الحاص بالملك دون كنعان وأستقل كنعان بالصيد ، ولع به حتى المأء عن طلب الملك . وكان مع ذلك شديد البطش والقوة ، فينما هو يتصيد إذ رأى امرأة ترعى بقرات ، فأعجبته فراودها عن نفسها ، فأمتنعت وأعتذرت بزوجها ، فقال : ويك ، هل على وجه الأرض من يطاولني وأنا من ولد كوش ، ونحن ملوك الأرض ؟ فضحكت المرأة كالمستهزئة ، وقالت : لا تذكر الملوك وأنت رجل صياد .

ثم أقبل زوجها فقتله كنعان وأخذ المرأة ووطئها ، فحملت بئمرود ، ونقلها كنعان إلى قصره ، فكانت من أحظى نسائه ، ثم قتل أخاه بعد ذلك ، وأستقل بالملك .

١٠ ثم رأى في منامه كأنه صارع إنسانا فصرعه وقال : أنا مشغوم أهل الأرض ومترى الظلمة ، وقد أجلك حتى أخرج من ظلمتي هذه إلى ضوء الدنيا .

فأنقبه مرثعا ، وأحضر أصحاب علم النجوم ، وقص رؤياه عليهم ، فقالوا : سيولد مولود هو الآن في بطن أمه يكون هلاكك على يديه .

١٥ وتبين حمل الراحية — وكان اسمها شلخاء — وكانت تسمع من بطنها صوتا عجيبا ، فسمعه كنعان فقال : ويحك ، هذا ليس بآدمي ، وإنما هو شيطان ، وهم أن يدوس بطنها ليقتل من فيه ، فهتف به هاتف : مه يا كنعان ، ليس إلى قتله سبيل .

فلما كملت مدة الحمل وضعت أسود أحول أفتطس أزرق العين ، وخرجت حية من حجر فدخلت في أفقه ، ففزعت شلخاء ، وأخبرت كنعان بنجره ، فقال : أقلبه فإنه شؤم . فقالت : لا تطيب نفسي بقتله . قال : فاحتلميه وأطرحه في البرية . ٢٠

فَأَحْتَمَلَتْهُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، فَزَوَّجَتْ بِرَأْيِ بَقَرَاتٍ فَعَرَضَتْهُ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ ، وَوَادَتْهُ إِلَى مَتْنِهَا ؛
 فَلَمَّا وَضَعَهُ الرَّاعِي بَيْنَ الْبَقَرِ فَزَرَتْ وَتَفَزَّتْ وَعَسَرَ عَلَيْهِ جَمْعَهَا ؛ وَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ
 فَأَخْبَرَهَا بِخَبْرِ الْغَلَامِ ؛ فَقَالَتْ : أَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ شَوْمٌ . فَأَبَى وَقَالَ : اطْرَحِيهِ فِي النَّهْرِ .
 فَطَرَحَتْهُ فِي نَهْرِ عَظِيمٍ ، فَأَلْقَاهُ الْمَاءُ إِلَى الْبَرِّ ؛ فَقَبِضَ اللَّهُ لَهُ نَمْرَةً فَأَرْضَعَتْهُ وَأَنْصَرَفَتْ ؛
 فَرَأَتْهُ أَمْرَأَةٌ مِنْ قَرْيَةٍ هُنَاكَ فَمُعِجِبَتْ وَأَخْبَرَتْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَأَحْتَمَلُوهُ .
 وَرَبَّوْهُ وَنَمَّوْهُ نَمْرُودَ ، فَلَمَّا بَلَغَ جُلَّ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ وَيُسِيرُ عَلَى النَّوَاسِي ، وَاجْتَمَعَ
 لَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، فَبَلَغَ خَبْرَهُ كَنْعَانُ ، فَخَصَلَ يَبْعَثُ إِلَيْهِ بِقَائِدٍ بَعْدَ قَائِدٍ وَهُوَ يَهْزِمُهُمْ ؛
 وَعَظَّمَ أَمْرَهُ حَتَّى صَارَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ ؛ فَسَارَ إِلَى كُوثَارَ بَاً وَقَاتَلَ كَنْعَانَ ، فَهَزَمَ
 جِيوشَهُ وَظَفَرَهُ ، وَقَتْلَهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ أَبُوهُ ، وَأَحْتَوَى عَلَى مُلْكِهِ ؛ ثُمَّ أَخَذَ
 فِي غَزْوِ الْمُلُوكِ حَتَّى مَلَكَ الشَّرْقَ وَسَائِرَ مَمَالِكِ الدُّنْيَا ؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى كُوثَارَ بَاً فَاسْتَدْعَى
 ١٠ وَزَرَاعَهُ وَقَالَ : أَرِيدُ أَنْ أَبْنِيَ بَيْتَانَا عَظِيمَانِ لَمْ أُسَبِّقْ إِلَى مِثْلِهِ . فَدَلَّوْهُ عَلَى تَارَحَ
 وَذَكَرُوا أَنَّهُ عَارِفٌ بِأَسْرِ التِّجَارَةِ وَالْبِنَاءِ ؛ فَاحْضَرَهُ وَمَكَّنَهُ مِنْ خَزَائِنِهِ ، وَأَمَرَهُ
 بِإِنْشَاءِ قَصْرِ عَظِيمٍ ؛ فَخَرَجَ تَارَحُ وَشَرَعَ فِي بِنَائِهِ ، وَتَأَقَّقَ فِيهِ ، وَأَجْرَى فِيهِ الْأَنْهَارَ ؛
 فَلَمَّا كَلَّ وَرَأَاهُ نَمْرُودُ خَلَعَ عَلَى تَارَحَ ، وَجَعَلَهُ وَزِيرَهُ .

وَأَخَذَ نَمْرُودُ فِي التَّكْبَرِ حَتَّى ادَّعَى الْإِلَوهِيَّةَ .

وَكَانَ مَوْلًىا بِعِلْمِ النُّجُومِ ، فَأَتَقَنَهُ ؛ بِخَفَاءِ إِبْلِيسَ فِي صُورَةِ شَيْخٍ وَبِحُجَّةِ
 وَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ أَتَقَنْتَ عِلْمَ النُّجُومِ ؛ وَعِنْدِي عِلْمٌ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَهُوَ السَّحَرُ
 وَالْكِهَانَةُ . فَعَلَّمَهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ حَسَّنَ لَهُ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ، فَدَعَا بِتَارَحَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ
 لَهُ صِنَاً عَلَى صُورَتِهِ ، وَيَتَّخِذَ لِقَوْمِهِ أَصْنَامًا أُخْرَى ؛ فَاتَّخَذَهَا تَارَحُ مِنَ الْجَوْهَرِ
 وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْقَوَارِيرِ وَالخَشَبِ عَلَى أَقْدَارِ النَّاسِ ، وَكَلَّمَهَا عَلَى صُورَةِ نَمْرُودَ
 ٢٠ حَتَّى اتَّخَذَ سَبْعِينَ صِنَاً ، وَأَمَرَ نَمْرُودَ قَوْمَهُ أَنْ يَتَّخِذُوهَا ؛ فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَأَنَّهُمْ كَوُوا

في عبادتها ، وكلّهم الشياطين من أجوافها ؛ فعبدها حتّى لم يعرفوا سواها
وطفّوا وبقوا ، وأكثروا الفساد في الأرض ، حتّى ضجّت الأرض والسماء والوحش
والطير إلى ربّها منهم .

ذكر الآيات التي رآها نمرود قبل مولد إبراهيم — عليه السلام —

قال : كان أوّل ذلك أنّه صعد في بعض الأيام إلى سريره ، فأنفض من تحته
انتفاضا شديدا ، وسمع هاتفا يقول : تَمَسُّ من كفر بالله إبراهيم . فقال تَارَحَ وهو
واقف عنده : سمعتُ ما سمعتُ ؟ قال : نعم . قال : فمن هو إبراهيم ؟ قال :
لا أعرفه .

فارس إلى الصحرة وسالم عن إبراهيم ، وأخبرهم بما سمع ؛ فقالوا : لا نعرف
إبراهيم ولا إلهه .

ثم توالّت عليه الموانف ، ونطقت الوحش والطير والسباع بمنّ ذلك ؛ ثم رأى
الرؤى في منامه .

فكان منها أنّه رأى كأنّ القمر قد طلع من ظهر تارح ، وألقى نوره كالسمود
المدود بين السماء والأرض ؛ وسمع قائلا يقول : (جَاءَ الْحَقُّ) ونظر إلى الأصنام
وهي ترتعد ، فأستيقظ وقصّ رؤياه على تارح ، فقال : أيّها الملك ، أتى في الأرض
كالقمر لكثرة عبادتي لهذه الأصنام . فقال له نمرود : صدقت .

وانصرف تارح حتّى دخل بيت الأصنام ، فلذا هي قد سقطت عن كراسيها
منكبّة على أوجيها ؛ فأمر خدامها بإعادتها ، وعجب من ذلك .

قال : ثم رأى في منامه كأنّ نورا ساطعا بين السماء والأرض ، وقوما يسلكون
فيه يزلون إلى الأرض ، ويصعدون إلى السماء ، وإذا برجل من أحسن الناس وجها

في ذلك النور، وأولئك يقولون : نصرك إله السماء، فبك تحيا الأرض بعد موتها .
فأتبه ودما بالسحرة والكهنة والمنجمين ، وذكر لهم رؤياه ، وأقسم إن كتموه
تأويلها عذبهم وجعلهم طعاما للسباع . فطلبوا أمانه ، فآمنهم ؛ فقالوا : رؤياك تدل
على مولود من أقرب الناس إليك ، يرث ملكك ، ويرتفع ذكره إلى السماء والشرق
والغرب ويهلكك ، وأنه لا يأتيك معه سلاح ولا جند . فنهتم نمرود وقال : إن
كان كذلك فأمره هين . ثم قال لهم : فمن يكون ؟ قالوا : من ظهر أقرب
الناس إليك ، ولا نعلم أكثر من هذا .

ثم قال : ليس أحد أقرب إلى من أبني كوش ووزيري تارح ؛ ثم أمر بأبنة
كوش فضرب عنقه ، وأمر بقتل الأطفال حتى قتل مائة ألف طفل ؛ ثم دعا
بالمنجمين فقال : انظروا هل استرحت من كنت أخافه ؟ قالوا : ما حملت به
أمة بعد .

وأخذ في ذبح الأطفال حتى ضجت أنفلاق إلى الله تعالى .

ذكر حمل أم إبراهيم — عليه السلام — وطلوع محمه

قال : وعبر تارح يوما إلى الأصنام فأضطربت اضطرابا شديدا ؛ فسجد لها
فانطقها الله ، فقالت : يا تارح ، (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) ووافي نمرود ما كان
يحذره ، فخرج خائفا وجلا حتى دخل على امرأته وذكر لها ذلك ؛ فقالت : وأنا
أخبرك بمجب ، كنت قعدت عن الحيض منذ كذا وكذا ، وقد حضت في يومى هذا .
فقال : اكتمى أمرك لئلا يبلغ الملك . فلما طهرت هتف به هاتف : يا تارح صر
إلى زوجتك ليخرج النور الذى على وجهك . فلما سمع ذلك مرة هاربا على وجهه
فإذا هو بملك يقول : أين تريد ؟ ارجع فرد الأمانة آتى في ظهرك .

فأنصرف إلى منزله ولم يصبر أن يقرب أمراته ؛ فأصبح وإذا بنور ساطع على وجهه ؛ وكان هو الذى يقرب إلى الأصنام الطعام والشراب كل ليلة ، وينصرف إلى منزله فتأكله الشياطين ؛ تقرب الطعام إليها ، فأقبلت الشياطين لتأكله ، فأرأوا الملائكة هناك فوَلَّوْا هارين ، وبقى الطعام على حاله ؛ فلما أصبح تَارَحَ رآه على حاله فظن أن الأصنام ساخطة عليه ، فكف عليها لترضى عنه ، فأبطل عن منزله ، فأتته أمراته ؛ فلما خلت به فى بيت الأصنام تحزكت شهوته ، وهم بمواقعتها . فقالت : ألا تستحي ، أفعل هذا بين يدي أهلك ؟ فواقعها ، فحملت منه بإبراهيم — عليه السلام — فنكست الأصنام ، وظهر نجم إبراهيم وله طرفان : أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب ؛ فمجب الناس منه ؛ وراه نمرود فتحير ، فلما أصبح سأل المتجملين عنه ، فقالوا : هذا نجم جديد طلع يدل على مولود جديد من أولاد الأكابر ، يرفع شأنه ، ويخشى عليك منه . فهدف به هانف يقول : يا عدو الله ، هذا المولود قد حملت به أمه والله مهلكك على يديه .

قال : فلما استكلت أمه تسعة أشهر قالت لأبيه : إني أحب أن أدخل بيت الأصنام فأسأله أن تخفف عني أمر الولادة ؛ فأذن لها فى ذلك ، وترى بها إلى الليل خوفا أن يعلم الناس بحملها ؛ فلما دخلت بيت الأصنام تنكست عن كرسيها فخرجت فرمة ، فإذا هى بَنُورَدَ فى قومه ، وبين أيديهم الشموع والمشاعل ؛ فقال نمرود : من هذا ؟ قالت : زوجة عبدك تَارَحَ ؛ فأراد أن يقول : اقْبِضُوهَا فقال : خَلَّوْهَا ؛ فأقبلت إلى منزلها مذعورة ، بغامها الطلق ، فأقبل إليها ملك من عند الله تعالى وقال : لا تخافى وأنهضى فضضى ما فى بطنك . فتبعته حتى أدخلها النار ، وهو الذى ولد فيه إدريس ونوح — عليهما السلام — .

ذكر ميلاد إبراهيم — عليه السلام —

قال : ودخلت أمه الغار فوجدت فيه جميع ما تحتاج إليه ، وخفف الله عنها الطلق ، فولدت في ليلة جمعة ، وهي ليلة عاشوراء ؛ فلما سقط إلى الأرض قطع جبريل سرته ، وأذن في أذنه ، وكساه ثوبا أبيض ؛ ثم عاد بها الملك إلى منزلها فرجعت خفيفة كأن لم تلد ، وقال لها الملك : اكتمى أمرك وما قد رأيت . فدخلت منزلها ، وجاء تارح فراها نشطة خفيفة ، فقالت : إن الذي كان في بطني لم يكن ولدا ، وإنما كانت ربحا وقد أنفشت عني . ففرح بذلك ، والي الله تعالى على عمروذ النسيان في أمر إبراهيم ؛ فلما كان في اليوم الثالث خرجت أمه إلى الغار فرأت الوحش والسباع على بابه ، فتوهمت أن يكون هلك ؛ فدخلت فرأته على فراش من السندس ، وهو مدهون مكحول ، فتعيرت وعلمت أنه له ربا ، ورجعت إلى منزلها وأخبرت تارح الخبر ، فنهاها عن العود إلى الغار ، فكانت تروح إليه سرا في كل ثلاثة أيام تنظر إليه وتعود ، حتى تم له حولان ، فأتاه جبريل بطعام من الجنة ، فاطعمه وسقاه ؛ فلما استكمل أربع سنين جاءه ملك بكسوة من الجنة ، وسقاه شربة التوحيد وقال : أخرج الآن منصورا .

ذكر خروج إبراهيم — عليه السلام — من الغار وأستدلاله

قال : ولما قال له الملك ذلك خرج عند غروب الشمس ، فجعل ينظر إلى السموات . فذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ يعني على سبيل الاستفهام ، أي أهذا ربِّي ؟ ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ فلما رأى القمر بازغا قال هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ فلما رأى

السَّمْسَ بَارِئَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾
وهبط جبريل — عليه السلام — فقال له : انطلق إلى أبيك وأهلك ولا تخف
فإن الله معك . فخرج إبراهيم وجبريل معه حتى وقفه على الباب وقال : هذا بيت
أبيك ، فدوتك هو . فاستأذن إبراهيم وقال : أدخل ؟ قال تارح : أدخل . فلما
دخل نظر إليه فمجب من حسنه وجماله ، وقامت أمه مسرعة إليه واعتنقته
وقالت : ولدى وعزّة نمروذ . فقال لها : لا تحلفي بعزّة نمروذ ، فإن العزة لله الذي
خلقني في بطنك وأخرجني منك ، وكلائي ورباني وهداني .

فارتعد تارح من كلامه وقال لأمه : أخشى أن تزول عني هذه المتلة بسببه .
ونظر إليه وقال : ما أحسنك ! فلولوا ما وقع في قلبي من محبتك لرفتُ خبرك
إلى نمروذ .

ثم بكى تارح خوفاً عليه أن يقتل ، فقال له : يا أبت لا تخف علي من القتل
فإن الله يعصمني من نمروذ . فقال له : ألك رب غير نمروذ ، وله مملكة الأرض
شرقها وغربها ، وله ثلاثمائة صنم ؟ فقال إبراهيم : بل ربي الله الذي لا إله إلا هو
خالق السموات والأرض وما بينهما لا شريك له .

وبلغ خبر إبراهيم بعض أقارب تارح ، فدخل عليه وقال : ماهذا الغلام الجليل ؟
قال : هو أبني ولدي على كبر . قال : فما الذي بلغك من قوله عن نمروذ وأصنامنا ؟
قال تارح : هو ما بانكم ، فكلموه حتى يعود إلى ديننا . فحاجه قومه وخوفوه
بعباد نمروذ ، وهو يحادهم ويحتج عليهم ، ويذكر عظمة ربه حتى عجزوا عنه
فذلك قوله تعالى : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ الآيات إلى
قوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ .

فانصرفوا عنه، وخاف تَارَحَ أن يسموا به وبولده إلى نمروذ، فقال : يا إبراهيم كَفَّ عن هذا الكلام حتى استخفك على خزاة الأصنام فقد كُفِرْتُ . فقال : يا أبت، إِنَّ المعبود هو الله، والأصنام لا تضر ولا تنفع .

فغضب تارح وأقبل على نمروذ ، فسجد له ، وقال : إن المولود الذي كنت تحذره هو ولدي ، ولم يولد في داري، ولا أعلم به حتى الآن ، وقد جاءني وهو غلام يعل ويهيم، ويزعم أن له ربا سواك، وقد أعلتكَ فأصنع ما أنت صانع .

فلما سمع نمروذ ذلك داخله الرعب وقال : صفه . فوصفه . قال نمروذ : هو الذي رأيته في منامي . وقال لأعوانه : استوني به . فاتوه به ، فردد النظر إليه وقال : احبسوه إلى غد ؛ فلما أصبح أحضره وقد أمر بترين قصره بأعظم زينة، وهول عليه بمجنوده وأصناف السلاح؛ فالتفت إبراهيم إلى الناس يمينا وشمالا وقال : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ؟ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَيُّسِهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ ثم التفت وقال : ﴿ وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَبَرَزْتُ لِلْحَاجِجِ الْمُقَابِلِينَ ﴾ .

فلما فرغ من كلامه قال له نمروذ ، يا إبراهيم ، تبع في ديني وأنا الذي خلقتك ورزقتك ؟ قال : كذبت ، إِنَّ خالقي ورازقي وخالق الخلق ورازقهم ، ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فبُهِتَ الناس ، ووقعت في قلوبهم محبة لحسنه وحسن كلامه ؛ فالتفت نمروذ إلى تَارَحَ وقال : إِنَّ ولدك صغير لا يدري ما يقول ولا يجوز لئلي في قدرتي وعظم مملكتي أن أعجل عليه ؛ نخذه إليك، وأحسن إليه وحذره بأسى حتى يرجع عما هو فيه .

فأخذه تارح وأنصرف إلى منزله ، وقال : يا بني ، إن لي عليك حقاً ، وأسالك بحقك عليك أن تلتزمني في عمل وبيع هذه الأصنام كما يفعل إخوتك . قال : كيف أبيع ما أبغضه ؟ قال : ما عليك أن تبعها ؟ وأنخرج له صميين صغيرا وكبيراً ، وقال : مع هذا بكذا ، وهذا بكذا . قال : يا أبت أنت تعبد هذه الأصنام على أنها ترزقك وهي التي خلقتك ؟ قال : نعم . فقال له ما أخبرنا الله به في قوله : ﴿ وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ فنضب تارح من قوله وقال : ﴿ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ قال إبراهيم : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴾ .

وقال : وكان إبراهيم يخرج ومعه غلامان ومعهما صنان ، فيقول : من يشتري ما لا يضر ولا ينفع ولا يدفع الذباب عن نفسه ؛ وكان يضمهما في الماء ويقول : اشربا . وينشد الحبل في أرجلها ويحزمها ، والناس يُعْظِمُونَ ذلك ولا يحسرون بكمونه لمكان أبيه من عمروذ .

ذكر معجزة لإبراهيم — عليه الصلاة والسلام —

قال : وبينما إبراهيم قاعدا إذ جاءته امرأة عجوز ، فقالت : بني أحد هذين الصميين ، وأختر لي أجودهما . فقال : هذا أكثر خطبا من هذا . قالت : لست أريده للوقود ، وإنما أريد أن أعبد ، فقد كان لي إله سرق في جملة ثياب كثيرة

لى، وأنا أريد أن أشتري هذا الصنم فأعبدَه حتى يردَّ على رجلي . قال لها إبراهيم :
 إِنَّ إِلَهَهُ الَّذِي يُسْرِقُ لو كان إلهاً لحفظ الثياب وحفظ نفسه ، فكيف لك تعبدينه ؟
 قالت : كنت أعبدُه ونمرودَ منذ كذا وكذا سنة . قال : بئس ما صنعت ، هلا
 عبدت ربَّ السموات والأرض حتى يردَّ عليك ما سُرِق منك ، فإن عاد مالك
 تؤمنين ؟ قالت : نعم .

فدعا إبراهيم ربَّه فإذا بالسروق بين يديه قد جاء به جبريل ، فقال لها إبراهيم :
 هذا رحلك . فأخذته الجوز وكسرت الصنم ، وقالت تَبًّا لك ولمن عبدك دون
 الله . وآمنت ، وجعلت تطوف في المدينة وتقول : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، وذروا ما كنتم عليه من عبادة الأصنام .

- ١٠ فبلغ خبرها نمرود ، فأحضرها وأمر بقطع يديها ورجليها وفقَّ عينيها ، فأجتمع
 إبراهيم والناس لينظروا إليها — وهو إذ ذاك لم يبلغ الحلم — فدعا لها بالصبر
 وقال : إلهي إني قد هديتها ، أسألك أن تجعلها آية . فردَّ الله عينيها ويديها ورجليها
 وأرتفعت في الهواء وهي تنادي : ويلك يا نمرود ، أنا الذي قد فعلت بي ما فعلت
 هنا أرقى إلى الجنان .

(١١)

- ١٠ وكان لنمرودَ خازن يقال له : بهرام ، فقام وقال : آمنتُ أينما المرأة بالذي
 خصَّك بهذه الكرامة ، وآمن في ذلك اليوم خلق كثير من وجوه القوم ؛ فأمر نمرودُ
 فُتِّشُوا بِالْمَنَاشِيرِ وَأُتُوا لِلْأَسْوَدِ فَلَمْ تَأْكُلْهُمْ ، وَأَرْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ بَزَلَّةَ عَظِيمَةٍ
 وترادفت معجزات إبراهيم — عليه السلام — .

(١) في كتاب الكسائي المنقول عنه هذا الكلام : «وله» .

ذكر مبعث إبراهيم — عليه السلام —

﴿٢٢﴾

قال : فلما تم لإبراهيم أربعون سنة ، جاءه جبريل بالوحي من الله ، وأرسله إلى نمرود ، فأقبل إبراهيم ووقف على باب نمرود ونادى بأعلى صوته : يا قوم ، قولوا : « لا إله إلا الله وإني إبراهيم رسول الله » . فانتشر الصوت على جميعهم ، فأحضر نمرود الوزراء والبطارقة ، وأجلسهم في مجالسهم ، وأقام جنوده ، وأحضر الأسود والفيالة بسلاسلها ، وأقيمت صفوفا عن يمين الدار ويسارها ، وأمر بدخول إبراهيم ، فدخل وقال : « باسم الله العظيم » فلما توسط الدار قال بصوت رفيع : يا قوم قولوا : « لا إله إلا الله خالق كل شيء » .

ثم تقدم إلى نمرود ، فقال له بعض وزرائه : من أنت ؟ قال : أنا إبراهيم بن تارح رسول رب العالمين ، أدعوك إلى عبادته . قال له : من ربك ؟ قال : الذي خلق الناس جميعا . قال نمرود : إن ملكي أعظم من ملكه . قال إبراهيم : الملك والسلطان لله رب العالمين . قال : لقد تجزأت على يا إبراهيم ، وأنت تعلم أنني خلقتك ورزقتك . فاضطرب سرير نمرود ، وقال إبراهيم : كذبت يا نمرود ، إن الله هو الذي خلقك وخلق الناس أجمعين ، ورزقتك ورزقهم ، وأنت تكفر بنعمته وقد رأيت بعض الآيات ؟ قال : هات غير ذلك . فوصف إبراهيم قدرة الله . قال نمرود : فما الذي يفعل من قدرته ؟ (قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) قال نمرود : (أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ) . قال : كيف تفعل ؟ قال : أخرج من الحبس من قد وجب عليه القتل فأطلقه ، وأقتل الذي لم يجب عليه .

قال إبراهيم : إن ربِّي لا يفعل كذلك ، بل المِيت يحييه ، والحي يمته من غير قتل ، ولكن يا نمرود (إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) .

ذكر سؤال إبراهيم — عليه السلام — في إحياء الموتى

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ خُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ أَدْعُهُنَّ بِأَيْتِكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾

- قال : فَاخُذْ دِيكَا أَيْضَ وَغَرَابَا أُسُودَ وَحَمَامَةً وَخَضِرَاءَ وَطَاوَسَا ، وَقَطِّعْ رِءُوسَهَا ، وَخَلِّطْ الدَّمُ بِالْدَّمِ وَالرِّيشَ بِالرِّيشِ ؛ ثُمَّ جَزَّأَهَا أَجْزَاءً مُتَسَاوِيَةً ، وَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْأً ، وَجْعَلْ رِءُوسَهَا بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ دَعَاَهَا ، فَانْضَمَّ كُلُّ جُزْءٍ إِلَى بَعْضِهِ ، وَخَرَجَتْ الرُّءُوسُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ إِبْرَاهِيمَ ، فَصَارَ كُلُّ رَأْسٍ إِلَى بَدَنِهِ .

- قال : وَأَثْنَفْتُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى نَمْرُودَ وَقَالَ : كَيْفَ تَرَى قُدْرَةَ الْهِمَى ؟ قَالَ : لَيْسَ هَذَا بِبَدِيعٍ مِنْ سِحْرِكَ . وَأَمْرٌ بِهِ تَقْيِدُ وَطُلَّتْ يَدُهُ ، وَأَدْخَلَ الْمَضْيِقَ تَحْتَ الْأَرْضِ ۝
وَفِيهِ الْحَيَاتُ وَالْمَغَارِبُ فَلَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ .

وَجَاءَهُ جَبْرِيلُ فَنَشَرَهُ عَنْ اللَّهِ بِالنَّصْرِ ، وَأَلْبَسَهُ حُلَّةَ خَضِرَاءَ ، وَفَرَشَ لَهُ فُرْشًا مِنَ السَّنَدَسِ ، وَأَتَاهُ بِطَعَامٍ فَأَكَلَ وَقَالَ لَهُ : اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِكَ .

ذكر آية لإبراهيم — عليه السلام —

- قال : وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ يَسْأَلُ أَهْلَ السَّجَنِ ، وَيَذْكُرُهُمُ بِالْحُلَّةِ وَالنَّارِ ؛ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَقَالَ : يَا إِبْرَاهِيمَ ، أَنَا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ ، وَأَنَا أَبْنَى مَلِكِهِمْ ، وَكُنَّا أَرْبَعَ إِخْوَةٍ فَفَضَّبَ الْمَلِكُ طَبِئًا فَخَبَسَنِي هَاهُنَا ، وَحَبَسَ الْآخَرُ بِالشَّرْقِ ، وَالْآخَرُ بِالْمَغْرِبِ وَالرَّابِعَ بِالْيَمَنِ ، فَهَلْ يَقْدِرُ رَبُّكَ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَدَعَا إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ ، فَاذْأَبِ الْأَخْوِينَ وَقَدْ أَقْبَضَا مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ نَمْرُودَ ، فَأَحْضَرَهُمْ وَقَالَ :

مَنْ جَمَعَ بَيْنَكُمْ ؟ قَالُوا : إِلَهُنَا بَدَّءَ إِبْرَاهِيمَ . فَأَحْضَرَ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ : أَتُنْتَا بِالْأَخِ
الرَّابِعِ مِنَ الْبَيْنِ . فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ مَاتَ وَدُفِنَ . فَقَالَ نَمْرُودُ : ادْعُ رَبَّكَ حَتَّى
يَأْتِيَنَا بِقَبْرِهِ .

فَدَمَّا إِبْرَاهِيمَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلِكَ الْمُوَكَّلَ بِالْأَرْضِ أَنْ يَخْتَرِقَ الْقَبْرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ؛
فَخَرَجَ الْقَبْرَ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ إِلَى دَارِ نَمْرُودَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلثَّلَاثَةِ : هَذَا قَبْرُ
أَخِيكُمْ . فَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ . إِنْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ فَلْيَدْعُ رَبَّهُ لِيُحْيِيهِ وَيَنْظُرَ إِلَيْهِ
وَيَكْفِيَهُ .

فَصَلَّى إِبْرَاهِيمُ رَكَعَتَيْنِ ، وَسَلَّأَ اللَّهُ أَنْ يُحْيِيَهُ ؛ فَاخْتَرَقَ الْقَبْرَ ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنْهُ وَهُوَ
يَشْتَمِلُ نَارًا وَيَقُولُ : هَذَا جِزَاءُ مَنْ عَبْدَ الْأَصْنَامِ وَرَغِبَ عَنْ دِينِ اللَّهِ .

فَقَامَ بِهَرَامِ الْخَالِزِينَ وَزَرَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ نَمْرُودَ ، وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَبِإِبْرَاهِيمَ .
فَقَالَ لَهُ نَمْرُودُ : لَقَدْ عَمِلَ بِحُجْرَةٍ فَيْكَ . وَأَمَرَ بِهِمْ نَمْرُودُ فَشَتَّتَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ
وَوَضَعَتْ عَلَيْهِمْ أَسَاطِينَ ، فَلَمْ يُؤْلِمَهُمْ قَهْلًا ؛ فَبُهِتَ نَمْرُودُ ثُمَّ قَالَ : عُدُّوْا لِعَاطِقِي
فَأَنَا الَّذِي خَفَفْتُ عَنْكُمْ ثَقْلَ هَذِهِ . فَقَالَ خَازِنُهُ : قُمْ حَتَّى نَضَعَ عَلَيْكَ وَاحِدَةً مِنْهَا
وَنُخَفِّفَهَا عَنْ قَعْلِكَ .

فَنَضَبَ نَمْرُودُ وَأَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ حَتَّى صَارُوا رَمَادًا ؛ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَرْوَاحَهُمْ
فَقَامُوا عَلَى أَرْجُلِهِمْ يَقْرَءُونَ بِعِظْمَةِ اللَّهِ ؛ فَعَجِبَ النَّاسُ ، وَلَمْ يَدْرِ نَمْرُودُ مَا يَفْعَلُ ؛
فَأَمَرَ بِهِمْ فَأَلْتَقَوْا فِي الْحَبْسِ بَيْنَ حَيَاتٍ وَعُقَارِبَ ، فَبَقُوا فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَلَمْ يَطْعَمُوا
شَيْئًا ؛ فَخَامَتْ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ إِلَى نَمْرُودَ وَسَأَلَتْهُ فِي إِطْلَاقِهِ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ هُوَ وَمَنْ
أَمَّنَ بِهِ ، وَفِي ظَنِّهِ أَنَّهُمْ قَدْ مَاتُوا ؛ فَأَخْرَجَهُمْ فَلَمَّا هُمْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ؛ فَعَجِبَ

وقال : يا ابراهيم ، من أطعمك وسقاك ؟ قال : ربّي أطعمني وسقاني ، فأمين به
يا نمرود ، فقد رأيت آياته وعظمته .

- فغضب نمرود ثم أقبل على تارح وقال له : قد كنت أنتخوف من أبنتك ، لأنّي
كنت أظنّ له شوكة من الجنود ، والآن فليس عنده إلّا السحر ، وقد وهبته لك .
فأخذهُ أبوه وأخرجه من دار نمرود ، وقال له : يا بنيّ ، امش حتى أدخلك على هذه
• الأصنام لعلّك تميل إليها . فقال ابراهيم : سومة لك أيها الشيخ . ثم قال :
(أَتَبْدُونَ مَا تَحْتَوْنَ ؟) ثم قال : يا قوم قولوا : لا إله إلّا الله وإني ابراهيم
رسول الله فُلاحوا . فكذبوه ، فقال له أبوه : يا بنيّ ما تخشى سطوة الملك .
فقال : يا أبت إنّ الله يعصمني من مكايده .

- قال : ثم آبتلاه الله — عزّ وجلّ — بالقسط ، وقتل عندهم الأقوات ؛
١٠ وكان بظاهر المدينة كتيب من الرمل ، فعبد ابراهيم فيه ، ودما ربه أن يحوله
طعاما ، لحوله الله ، فكان المؤمنون يتألون منه ما يريدون ، والكفار يسجدون لنمرود
ويأخذون منه القوت .

- وكان قد جمع الأقوات في سراديب عنده ، فاطعمهم حتى نفد أكثرها
ولم يبق إلّا قوت أهله وعشيرته ؛ فشرع الناس يؤمنون ويزيدون في كل يوم ؛
١٥ فشقّ ذلك على نمرود ، وطلب ابراهيم وقال له : أخرج من بلدي فقد أفسدت
قومي بسحرك . فقال ابراهيم : لم أخرج وأنا أحقّ منك ؟ وأخرج من عنده
فاحضر نمرود تارح وقال له : إنّ أبنتك قد آذاني في أهل مملكتي ، ولولا منزلتك
عندي لبطشت به . فقال : إنّي قد هجرته ، ولست راضيا بصنعه ، فأفعل به
ما بدا لك .

ذكر خبر تكسير إبراهيم الأصنام وإلقائه في النار

قال كعب : وكان لأهل كوثرباً عيد يخرجون إليه في كل سنة ، فينعبدون هناك أياماً ، وكان بعيداً من البلد ؛ فلما حضر ذلك العيد قال تارح لإبراهيم : أنرج معنا إلى عيدنا . (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) ، يعني لعبادتكم الأصنام (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) إلى عيدهم ، ولم يبق في بلدكم إلا الصغار والهرمون .

فقام إبراهيم ودخل بيت الأصنام — وكان القوم قد وضعوا الطعام بين أيديها — (فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ) استهزاء بهم ؛ وكانت في جانب البيت فأس ، فأخذها وكسرها هذا الصنم ، وكسر يد هذا الصنم ورجل هذا ورأس هذا . قال الله عز وجل : (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) وترك كبيرهم كما أخبر الله تعالى : (بِمَعْلَهُمْ جُذَاءً إِلَّا كَيْدًا لَّهُمْ) ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر ورجع إلى منزله .

وأقبل القوم بعد فراغهم من عيدهم ، فأرأوا أصنامهم على ذلك ؛ فقالوا : (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا قَوْلَ يَدِّكَ لَهُمُ الْإِبْرَاهِيمُ) وبلغ الخبر نمرود . قال : (فَأَتَوْا بِهِ عَلَى آعِينَ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) يعني عذابه . فلما أتوا به (قَالُوا مَا نَتَّيْنَتْ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) قال بعضهم لبعض : إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ : فصاحوا من كل ناحية : أقامنا بذلك وأنت تعلم أنها لا تسمع ولا تبصر . فقال إبراهيم : (أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّهُمْ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فقال القوم لنمرود ما أخبرنا الله تعالى عنهم : (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) .

٤٦

وكان لعمروذ تتور من حديد يُحرق فيه من غضب عليه، فأمر به فأُشجِرَ فطُلِحَ إبراهيم فيه، فلم تضره النار بقدرة الله؛ فلما رأى عمروذ ذلك جمع أهل مملكته واستشارهم، فأشاروا أن يحبسوه ويجمع له الخطب الكثير، ويُضرم فيه النار، ثم يلقيه فيه إذا صار جمرًا. وقالوا: إنه لا يقدر يسحر النار الكبيرة، ولا يعمل سحره فيها.

- فندد ذلك حسنه وأمر بجمع الأخطاب؛ فيقال: إن الدواب أمنت من حملها إلا البخل، فأعظمها الله عقوبة لذلك؛ فجمعوا من الأخطاب ما لا يُحصى كثرة؛ وأمر أن تُحفر حفرة واسعة، وبني حولها حائطًا عاليًا، وألقي فيها تلك الأخطاب وأضرم فيها النار والتفت ثلاثة أيام، فكان لها بصيب الطائر في الجو فيُحرق.

قال: وهوأ بطرح إبراهيم فيها، فلم يقدرُوا يقرؤا منها.

- فيقال: إن إبليس أتاهم في صورة شيخ، وصنع لهم المتجنيق، ولم يكونوا يعرفونه قبل ذلك، ووضعوا إبراهيم في كفة المتجنيق، ورموا به وهو يدعو الله أن ينصره عليهم؛ فعارضه جبريل وهو في الهواء، وقال له: ألك حاجة يا إبراهيم؟ قال: أما إليك فلا، بل حسبي الله ونعم الوكيل.

فلما قرب من النار قال الله عز وجل: (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ).

- قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : لو لم يقل «وسلامًا» لمات إبراهيم من شدة البرد.

فبرد حرها وأخضرت الأشجار التي احترقت ورست بعروقها.

فلما أصبح عمروذ جلس في مكان مُشْرِف ينظر إلى ما أصاب إبراهيم من النار؛

فكشِفَ عن بصره فإذا هو برجل في وسطها على سرير، عليه ثياب خضر

- وإلى جنبه رجل آخر؛ وخلق كثير وقوف من ورائهما؛ فعدا بصاحب المتجنيق

وقال له : كم أقيمت في النار ؟ قال : إبراهيم وحده . فعجب وعجبت الناس وقال : اذهبوا وانظروا من القاعد على السريرون الى جنبه وحوله . فاتوا فإذا هم بإبراهيم على أحسن صورة ، فأخبروا نمرود ، فقال : اتوني به . فقالوا : لانستطيع الوصول إليه لحز النار . فتأدوه : يا إبراهيم ، أخرج إلينا . فخرج إلى نمرود وقال له : ما أعجب يحرك يا إبراهيم ! قال : ليس هذا بسحر ، وإنما هو من قدرة الله تعالى . قال : فمن الذي عن يمينك ؟ قال : ملك جاءني من عند ربي بشرني ان الله اتخذني خليلا . فقال نمرود : لأصعدن إلى السماء وأقتل الملك .

ذكر خبر صعود نمرود إلى السماء على زعمه

قال : وأمر نمرود أن يُتخذ له تابوت مربع ، ويكون له بابان : باب إلى السماء وباب إلى الأرض ، وجوّع أربعة نسور ، وسمّر أربعة رماح في أركان التابوت ، وعلّق ألهم في أطلاها ، وشدّ النسور بأوساطها إلى الرماح ، وجلس في التابوت ومعه وزيره ، وحمل معه قوسا ونشابا ، وأطبق البابين ، فرفعت النسور رءوسها فنظرت إلى ألهم ، فطار صاعدة ، وأدتمعت في الهواء ؛ فقال لوزيره : افتح الباب الذي على الأرض وانظر كيف هي ؟ قال : أراها كأنها قرية . قال : فانظر إلى السماء . فقال : هي كما رأيناها ونحن في الأرض . ولم يزل يصعد حتى قال : أما الدنيا فلا أراها إلا سوادا ودخانا ، والسماء كما رأيناها .

وأرتمت النسور حتى كادت تسقط إلى الأرض ؛ فعارضه ملك وقال : ويلك يا نمرود ؛ إلى أين ؟ قال : أريد محاربة إله إبراهيم . قال : ويحك ، إن بيتك وبين سماء الدنيا خمسة أمّات ، ومن فوق ذلك ما لا يعلمه إلا الله . فخر الوزير ميتا ؛ فأخذ نمرود القوس ووضع فيه السهم ، وقال : أنا لك يا إله إبراهيم ، ورمي بالسهم إلى الهواء ، فيقال : إن ذلك السهم عاد إليه ملطعا بالدم بإذن الله .

- وأمر الله جبريل أن يضرب السابوت بمحناحه ، فيلقيه في البحر ؛ فضربه
فترى يوى به حتى ألقاه في البحر ؛ وأمر الله الأمواج أن تقيه إلى الساحل ؛ فلما
وصل إلى البر خرج وقد أبيضت لحيته لما طين من الأهوال ، وتوصل من بلد إلى
بلد حتى أتى المدينة ، فدخل منزله لئلا فاتكه الناس لشيبه ، ثم عرفوه ؛ وجاءه
إبراهيم فقال : كيف رأيت قدرة ربى ؟ قال : قد قتلُ ربك . قال : إن ربى
أعظم من ذلك ، ولكن هل لك قوة — مع كثرة جنودك — أن تهاننى ؟ قال : نعم .

ذكر خبر إرسال البعوض على نمروذ وقومه

- قال : وأمر نمروذ جنوده فأجتمعوا لحرب إبراهيم وهم لا يحصون كثرة ؛ وخرج
إبراهيم في سبعين من قومه الذين آمنوا في الصحراء ، فأرسل الله عليهم البعوض حتى
أمتلأت منه الدنيا ، ولدغت جيش نمروذ ؛ فأت من لدغها خلق كثير ، والتجأ
الباقون إلى الدور ، وأظفوا الأبواب وأسبلوا الستور ؛ فلم تكن عنهم شيئا ؛ وأفرد
نمروذ عن جيشه ، ودخل منزله وأغلقت الأبواب ، وأرخت الستور ، وأستلقى
على سريرته ، فجاءت بعوضة فقمعت على لحيته ، فهتم بقتلها ، فدخلت منخره
وصعدت إلى دماغه ؛ فعذبه الله بها أربعين يوما لا ينام ولا يعلم ؛ ثم شقت رأسه
ونجست في كبر الفرج ، فأت .

١٥

وقيل : إنه أخذ إرزة من حديد ، فكان صديقه الذى يضرب بها رأسه
فأفلق رأسه بضربة فخرجت كالفرخ وهى تقول : هكنا يهلك الله أعداءه ، وينصر
أنبياءه ، ويسلط رُسله على من يشاء .

وأرسل الله الزلازل على المدينة ، فخرَّبَت .

- قال : وجاء لوط وهو ابن أختى إبراهيم ، وآمن به ، وآمنت سارة ، فترج بها إبراهيم .

٢٠

ذكر هجرة إبراهيم — عليه السلام —

قال : وجمع إبراهيم أصحابه الذين آمنوا به ، وسار يريد الشام ، فباء إلى (حران) فأقام بها مدة من عمره ، وترك بها طائفة من المؤمنين ، وسار حتى أتى الأردن وكان أسم ملكها صادق ، فتربه وهو في منظره له ، فنظر إلى سائرة مع إبراهيم فأحضرهما ، وقال لإبراهيم : من أنت ؟ قال : أنا خليل الله إبراهيم . وذكر له ما كان من أمر نمرود . فقال له : من هذه ؟ قال : هي أختي . فقال : زوجنيها . قال : هي أعلم بنفسها مني ، وإنها لا تحل لك . فأغتصبها منه ، وقام إلى مجلس آخر وأمر بحملها إليه . فدعا إبراهيم الله تعالى ، فأرجم المجلس بالملك ، ويست يده فقال لسائرة : ألا ترى ما أنا فيه ؟ قالت : لأنك أغضبت خليل الله .

قال : فتضرع إلى إبراهيم ، فسأل الله في رد يده عليه ، فأوحى الله إليه : لا أطلقه دون أن أخرجك من ملكه ويسلم ، فأسلم ونرج عن الملك ، ووهب سائرة هاجر ، وهي أم إسماعيل .

قال وأرتمل إبراهيم حتى أتى الأرض المقدسة فترها .

وقد روينا هذه القصة بسندنا إلى البخاري — رحمه الله —

وسند ذكر الحديث — إن شاء الله تعالى — في أخبار طوطيس أحد الملوك بمصر ، فقد ورد أنه صاحب القصة ، والله أعلم .

ذكر خبر ميلاد إسماعيل — عليه السلام — ومقامه وأمه في البيت المحترم

قال : وأقام إبراهيم بالأرض المقدسة ما شاء الله أن يقيم حتى كبرت سائرة وأبست من الولد ، فخافت من انقطاع نسل إبراهيم — عليه السلام — فوهبته هاجر فقيلها ، وواقعها ، فحملت بإسماعيل ، ووضعت كالقمر وفي وجهه نور نيتنا محمد

صلى الله عليه وسلم ؛ فأجته سائة حتى بلغ من عمره سبع سنين ، فداخلت الغنية سائة ، ولم تخلق أن ترى إبراهيم مع هاجر ، فقالت : يا نبي الله ، إني لا أحب أن تكون هاجر معي في الدار ، فحطوا حيث شئت .

فأوحى الله إليه أن أقبلها إلى الحرم ؛ وجاءه جبريل بفرس من الجنة ، فقال له : يا إبراهيم ، احمل هاجر وإسماعيل على هذا الفرس . فأركب إبراهيم هاجر وإسماعيل من ورائها ، وسار بهما حتى بلغ الحرم .

فأوحى الله إليه أن أنزل بهما هاهنا . فأنزلها بالقرب من البيت ، وهو يومئذ أكمة حمراء كالريوة من تحريب الطوفان . ثم قال إبراهيم لهاجر : كوني هاهنا مع ولدك فإني راجع ، فبذلك أمرني ربي . فلما أراد إبراهيم أن ينصرف قال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَصْكَنْتُ مِنْ دُرِّيْ بَوَادِيٍّ فَيَرِىْ ذِي زُرْعَةٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .
ثم رجع وتركهما هناك ولا ثالث لهما إلا الله تعالى .

فلما صلا النهار ، وأشتد الحر ، وفقد ما معهما من الماء ، قامت هاجر تمدو يميناً وشمالاً في طلب الماء فلم تجده ؛ فبادت إلى إسماعيل فرأته يبحث بأصابعه في موضع برز زمزم وقد نبع الماء ؛ فسجدت لله ، وأخذت تجمع الحصى حول العين لئلا ينتشر الماء وهي تقول : زُمُّ زُمُّ يا مبارك .

فناداها جبريل : لا تخافي وأبشري ، فإن الله سيعمر هذا المكان .

قال وهب : لولا أن هاجر جمعت الحصى حول الماء لثمت العين نهراً جارياً على وجه الأرض إلى يوم القيامة .

قال : وأقبل ركب من اليمن يريدون الشام ، وطريقهم على الحرم ، فرأوا الطير تهوى إلى الأرض ، فقالوا : إن الطير لا تنقض إلا على الماء والعلوة .

وأقبلوا فرأوا هاجرو إسماعيل والعين؛ فسألوها ، فقالت : أنا جارية خليل
الله إبراهيم وهذا أبنته ، خلقنا وأنصرف إلى الشام .

فأستأذنها في الماء؛ فأذنت لهم . ثم قالوا : هل أحد ينازحك على هذا الماء؟
قالت : لا ، فإن الله أنحرجه لي ولولدي . قالوا : إن حضرتنا بأهاليها وسكنها
في جواركم هل تمنعينا من هذا الماء ؟ قالت : لا ، فإنه لله يشربه خلق الله .

فرجعوا إلى بلدهم ، وأحتملوا أهاليهم وأتوا الحرم بها وبماشيمهم ، فصاروا
لها أنسا .

ونشأ إسماعيل حتى بلغ مبلغ الرجال ، فكان يخرج إلى الصيد معهم ويرجع
ومأت أمه هاجر ، وتزوج إسماعيل منهم ، وبلغ إبراهيم خبر موت هاجر ، فأشفاق
إلى إسماعيل ، فأستأذن سارة في ذلك ، فأذنت له ، بجاءه جبريل بفرس فركبه وسار
حتى وقف على بيت ولده إسماعيل بالحرم ، فقال : السلام عليكم يا أهل المنزل .
فقالت له المرأة : إن صاحب البيت غائب . فقال إبراهيم : إذا رجعت فقولى له :
أبدل عتبة دارك ، فأتى لا أرضاها لك . وانصرف إلى الشام .

فلما عاد إسماعيل أخبرته بالخبر ، فقال : صفه لي . فوصفته ؛ فقال : الحق بأهلك .
جاء أهلها وقالوا : ما الذي كرهت منها ؟ قال : لأنها لم تعرف خليل الله قدرا .

ثم تزوج امرأة من جرهم ، فأولدها إسماعيل ستة أبطن ، فاشتاق إبراهيم إلى
ولده ، بجاءه جبريل بفرس فركبه وسار إلى الحرم ، وقد عمر ذلك المكان بجرهم ؛
فوقف على باب إسماعيل وقال : السلام عليكم يا أهل المنزل . فبادرت المرأة
وسلمت عليه ، وقالت : فذلك نفعي ، إن صاحب المنزل غائب ، وإنه يعود عن
قريب . قال : هل عندك طعام ؟ قالت : نعم ، عندنا خير كثير . وجاءته بطبق

عليه لحم مشوى من الصيد ، وقدج فيه ماء . قال : فهل غير هذا من حب
أوزيب ! قالت : يا عمّاه ، ما هذا طعام بلدنا ، ولكنه يُحلب إلينا ، فأَنْزِل بنا
وتناول طعامنا . قال : لآنى صائم ، ولكن على ذَرْق الطير فأغسله . وحوّل قدمه
عن الفرس ، ووضعه على المقام ؛ فغسلته ، فقال : إذا جاء زوجك فسألى طيه
وقولى له : إلزم عتبة بابك فقد رضيها لك . وأنصرف .

فلما رجع إسماعيل من الصيد أخبرته الخبر فقال : لقد كنت كريمة على
وقد صرت الآن أكرم بك كرامك أبى خليل الله إبراهيم .

ثم أشتاق إبراهيم إلى ولده ثالثا ، وذلك بعد ثلاث وعشرين يوما ، فجاء إليه
ولقيه ، وأمره الله أن يبنى البيت ، فبناه ؛ وأتاه جبريل فعلمه منامك الحج .

وقد تقدم ذكر ذلك ميّنا في الباب الثانى من القسم الخامس من الفن الأول
وهو في السفر الأول من تكلّبنا هذا ، فلا حاجة لنا في إعادته .

قال : ورجع إبراهيم إلى البيت المقدس ، وأوحى الله إليه أن يرسل لوطا نبيا
إلى سدّوم ؛ فأرسله .

وكان من أمره ما نذكره في أخباره في الباب الذى على هذا الباب — إن شاء
الله تعالى — .

ذكر خبر بشارة إبراهيم بإسحاق — عليهما السلام —

قال : وبعث الله الملائكة إلى إبراهيم حين أرسلهم بالعذاب على قوم لوط
وأمرهم أن يبشروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ؛ فأتوه على صورة البشر
وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل ودر يائيل .

(١) في (ج) : « روث » . (٢) في تكلّب الكسائى : « غسّلت رأسه » .

قال : فاتوه مفاجأة على خيولهم ، ودخلوا عليه منزله ففزع منهم ، حتى قالوا :
 ﴿ سَلَامًا ﴾ . فسكن خوفه ، وقال : ﴿ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ ورحب بهم وأجلسهم
 وقام إلى زوجته سارة وأمرها بخدمتهم ؛ فقالت : عهدي بك وأنت أغبر الناس .
 قال : هو كما تقولين ، وإنما هؤلاء أضياف أخيار . ثم قام إلى عجل سمين فذبحه
 وشواه ، وقربه إليهم ، ووقفت سارة لخدمتهم ، فجعل إبراهيم يأكل ولا ينظر إليهم
 وهو يظن أنهم يأكلون ؛ فرأت سارة أنهم لا يأكلون ؛ فنبته على ذلك ، فقال :
 ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ ﴾ وداخله الخوف من ذلك . ثم قال : لو علمت أنك لا تأكلون
 ما قطعت العجل عن البقرة .

فد جبريل يده نحو العجل ، وقال : قم بإذن الله . فأشند خوف إبراهيم وقال :
 ﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ . قَالَ ابْشِرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنِّ
 مَسِّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبْشُرُونَ ﴿ إلى قوله : ﴿ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ .

قال : وكانت سارة واقفة هناك ، فقالت : « أوه » ﴿ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ
 عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ قال الله تعالى : ﴿ وَأَمْرًا تَقَامَةُ فَفَصَحَكَتْ ﴾ أى حاضت ﴿ فَبَشَّرَهَا
 بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ . قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا
 إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ غَيْبٌ ﴾ . قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ مِنِّ امْرَأَتِكَ رَحْمَةً إِنَّهُ وَبَرَكَاتُهُ طَبِّعَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ
 إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿ ولم تعلم أنهم ملائكة ؛ فقال لها جبريل : يا سارة ، ﴿ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ . قال إبراهيم : ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ
 قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ . لِئَرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِمَارًا مِنْ طِينٍ ﴿ ثم عاد جبريل
 إلى صورته ، فعرفه إبراهيم ، وعرفه أنهم يقصدون قوم لوط بالعذاب ؛ فأقم
 إبراهيم شفقة على لوط وأهله ، ثم قال : امضوا حيث تؤمرون .

وكان من أمر قوم لوط ما نذكره .

قال : وحملت سارة بإسحاق في الليلة التي خسف الله فيها بقوم لوط ، ووضعت
وعلى وجهه نور أضاء منه ما حولها ؛ فدخل إبراهيم وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ وربته سارة حتى بلغ سبع سنين .

ذكر خبر الذبيح وفدائه

- قال : وكان إسحاق يخرج مع أبيه إلى بيت المقدس ، فبينما إبراهيم في مصلاه .
إذ غلبته عينه فنام ، فأناه آت في منامه وقال : إن الله يأمرك أن تقرب قربانا .
فلما أصبح عمد إلى ثور فذبحه وفزق لحمه على المساكين ، فلما كان الليل رأى
في منامه الذي أتاه وهو يقول : يا إبراهيم ، إن الله يأمرك أن تقرب له قربانا أعظم
من الثور . فلما أنتبه ذبح جملًا وفزق لحمه على المساكين . ثم رآه في الليلة الثالثة وهو
يقول : إن الله يأمرك أن تقرب قربانا أعظم من الثور والجمل . قال إبراهيم :
وما هو ؟ فأشار إلى ولده إسحاق ؛ فأنته فزعا ، وأقبل على إسحاق وقال له : أأست
تطعني يا بني ؟ قال : بلى ، ولو كان في ذبح نفسي .

فأنصرف إبراهيم إلى منزله ، وأخذ الشفرة والحبل ، فوضعهما في مخلاته
وقال : يا إسحاق ، امض بنا إلى الجبل .

- فلما مضيا أقبل إبليس إلى سارة وقال لها : إن إبراهيم قد عزم على ذبح إسحاق
فالحق به وردّيه . قالت : ولم ينبجه ؟ قال : إنه زعم أن ربه أمره بذلك . قالت :
إن كان الأمر كذلك فإنه صواب إذا أراد رضى ربه . وقالت : اللهم أصرف
نزغ الشيطان . فوثق عنها حاربا ، وتبع إسحاق فداده : إن أبالك يريد أن يذبحك .
فقال إسحاق لأبيه : يا أبت ألا تسمع إلى هذا الهاتف ما يقول ؟ قال : يا بني
امض ولا تلتفت إليه ، فساخبرك .

فلما آتيا إلى رأس الجبل قال إبراهيم : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) .
 فحمد إبراهيم ربه على ذلك ؛ فنودي من السماء : أليس الله قد وصفك بالحلم فكيف لا ترحم هذا الطفل ؟ قال : إن الله قد أمرني بذلك . فقال إسحاق :
 يا أبت عجل أمر ربك قبل أن ينال منك الشيطان .

فترجع إبراهيم قبيصة وربطه بالحبل ، وكبه على جبينه وهو يقول : الحمد لله باسم الله الفاعل لما يريد . ووضع الشفرة على حلقه ، فلما هم بذبحه أعقبت الشفرة ، فارتعدت يد إبراهيم ، فقال له إسحاق : يا أبت ، حذّ الشفرة ، وأصرف وجهك عني حتى لا ترجعني . قال : يا بني ، قد فعلت حتى لو قطعْتُ بها المَجَنِّ لقطعته بحدّها .

ثم وضع إبراهيم الشفرة على حلقه ثانيا ، وهم بقطع أوداجه ؛ فاقبلت ؛ فقال إبراهيم : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال : أصبت في قولك يا أبت ولكن حدّ شفرتك لتذبحني ذبحا ، ولا تجزع . فحدّ إبراهيم المديّة حتى جعلها كالنار ووضعها على حلق إسحاق ، فسمع إبراهيم هدة عظيمة ^(١) ومتاديا يقول : يا إبراهيم خذ هذا الكباش فاذبحه عن أبنتك ، فهو قربان عنه ، وهذا اليوم جعل عيدا لك ولولدك من بعدك .

فالتفت إبراهيم إلى الجبل ، وإذا هو بكباش أملح أقرن ، قد أنحدر من الجبل وهو يقول : خذني يا إبراهيم فاذبحني عن أبنتك ، فانا أحق منه بالذبح ، فانا كبش هابيل بن آدم .

(١) الهدة : صوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو ناحية جبل . ويقال : الهدة صوت ما يقع من السماء .

لحمد إبراهيم ربّه على ذلك ، وذبح الكبش ؛ فأتت نار من السماء بنيران
فاكلته حتى لم يبق إلّا رأسه ؛ وأنصرف إبراهيم وإسحاق ورأس الكبش معهما
إلى منزل إبراهيم ، وأخبر سارة بما جرى .

قال : ثم توفيت سارة بعد ذلك ، وتزوج إبراهيم امرأة من الكنعانيين
وأولدها ستة أولاد في ثلاثة أبطن .

وإبراهيم أول من صاغ وطاق وفرق الشعر بالمشط وتنف الإبط وأستاك
وأكتحل وأختن بالقدم .

ذكر وفاة إبراهيم — عليه السلام —



قال : فيينا إبراهيم على باب داره ، وإذا هو بملاك الموت وقد وافته في أحسن
صورة ؛ فسلم عليه ؛ فأجابه وقال : من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، أمرني الله
بقبض رُوحك . ففكر إبراهيم الموت ؛ ثم تصوّر له في صورة شيخ كبير ، ودخل
على إبراهيم وقال : هل من طعام ؟ فقدم إليه طعام على طبق ، فجعل ملك الموت
يتناول الطعام ، ويخيل إلى إبراهيم أنه يلوّث وجهه وعقه ، وأنه لا يستقر في بطنه .
فقال له إبراهيم : أيها الشيخ ، ما بال هذا الطعام لا يستقر في بطنك ؟ قال : يا خليل
الله ، إني قد شئت ، ولست أتمكن منه إلّا على هذا الوجه . قال : فكم تمدّ من
السنين ؟ قال : قد جرت مائتي سنة . قال إبراهيم : وأنا في المائتين إلّا سنة ، وإذا
مضى على مائتين أصبح كذا ؟ [قال : نعم] .

فدعا إبراهيم ربّه أن يقبضه . بجاء ملك الموت ؛ فقال : يا ملك الموت
قد أشتقت إليك منذ رأيت ذلك الشيخ على تلك الصورة ، فأقبض رُوحى .
فقبض رُوحه صل الله عليه وسلم .

(١) هذه العبارة لم ترد في الأصول . وقد أثبتناها عن (قصص الأنبياء للكسائي) المنقول عنه هذا الكلام .

الباب الثاني من القسم الثاني من الفن الخامس

في قصة لوط — عليه السلام — وقلب المدائن

هو لوط بن هاران بن تارح ، وتارح هو آزر أبو إبراهيم — عليه السلام —
وكان لوط قد شخص مع عمه إبراهيم — عليهما السلام — من المدائن إلى أرض
الشام ، مؤمنا به ، مهاجرا معه ، ومع إبراهيم تارح وسارة بنت ماحور ؛ فلما آتوها
إلى حران هلك تارح بها وهو باق على كفره ؛ وسار إبراهيم ولوط وسارة إلى
الشام ؛ ثم مضوا إلى مصر وبها فرعون من الفراعنة يقال له : سينان بن علوان
ابن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ؛ ورجعوا إلى
أرض الشام فقتل إبراهيم فلسطين ، وأزل لوطا الأردن ، فكان هناك إلى أن
بعثه الله نبيا .

قال : وأوحى الله — عز وجل — إلى إبراهيم أن يرسل لوطا نبيا إلى
(سئوم) ، وكانت خمس مدائن ؛ وهي : (صامورا) (وصابورا) (وسئوم) (ودومة)
(وعامورا) ، وهي المؤنكات ، وكان أعظمها (سئوم) وعلى كل مدينة سور عظيم
مبنى بالججارة والبرصا ، وعليهم ملك يقال له : (سئوم) من بيت نمرود بن
كنعان ، وكان أهل هذه المدائن قد خُصّوا بخُصف الحصا والحق في المجالس
وعبادة الأصنام ، وكانوا حسان الوجوه ، فأصابهم قحط ، فأتاهم إبليس فقال :
إنما أصابكم القحط لأنكم منعتم الناس من دوركم ولم تمنعوه من بسائتكم . فقالوا :

(١) لم يذكر الآلوسى (صابورا) ولا (صامورا) ، وذكر مكانهما « مجة » « وصرة » ج ٣

ص ٥٩٤ . (٢) في تفسير الآلوسى ج ٣ ص ٥٩٤ طبع بولاق « دوى » مقصورة .

(٣) كما ورد هذا القحط مضبوطا بالباءة في تاج اللروس مادة « حقي » وهو الضراط .

كيف السبيل إلى المنع؟ قال : اجعلوا السنة بينكم إذا دخل بلدكم غريب سلبتموه ونكحتموه في دبره ، فإذا فعلتم ذلك لم تقطعوا .

فخرجوا إلى ظاهر البلد فتصوّر لهم إبليس في صورة غلام أحمرد ، فنكحوه وسلبوه ، فطالب لهم ذلك حتى صار فيهم عادة مع الغرباء ، وتعدّوا إلى أهل البلد ، وفشا بينهم ؛ فأرسل الله إليهم لوطا ، فبدأ بمدينة (سدّوم) وبها الملك ، فلما بلغ وسط السوق قال : يا قوم اتقوا الله وأطيعوا الله وأرجعوا عن هذه المعاصي التي لم تسبقوا إليها ، وأنتهوا عن عبادة الأصنام ، فأتى رسول الله إليكم .

فكان جوابهم أن قالوا : ﴿ أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ .

١٠ وبلغ الخبر الملك ، فقال : « آتُونِي بِهِ » فلما وقف بين يديه سأله : من أين أقبل ؟ ومن أرسله ؟ ولماذا جاء ؟ فأخبره أن الله أرسله . فوقع في قلبه انخوف والعب ، وقال : إنما أنا رجل من القوم ، فأدعهم فإن أجابوك فانا منهم . فدعاهم فقالوا : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْهَ يَا لُوطُ نَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ . فقال لهم : ﴿ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

١٥ فلبث فيهم عشرين سنة يدعوهم إلى الله وهم لا يحيونه .

ثم توفيت أمراته ، فزوج باهراة من قومه كانت قد آمنت به ، فأقام معها أعواما وهو يدعوهم حتى صار له فيهم أربعون سنة وهو يدعوهم بما أخبر الله به ويقول : ﴿ أَتَأْتُونَ الْقَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ الايات ، وهم لا يزدادون إلا كفرا وإصرارا وتماديا على أفعالهم الذميمة ، فضجّت الأرض منهم .

٥١

ذكر خبر نزول العذاب على قوم لوط وقلب المدائن

قد ذكرنا في قصة إبراهيم أن الله - عز وجل - أرسل الملائكة إليه وبشروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وأخبروه بما أمرهم الله به من إهلاك قوم لوط، وقال لهم : امضوا حيث تؤمرون .

- فاستووا على خيولهم ، وساروا إلى المدائن وهم على صفة البشر ، فاتوا المدائن وقت المساء ، فرائهم أبنة لوط - وهي الكبرى من بناته وهي تستقي الماء - فتكلمت إليهم وقالت : ما لكم تدخلون على قوم فاسقين ؟ ليس يضيفكم إلا ذلك الشيخ ، فدخلت الملائكة إلى لوط ، فلما رآهم أغم غمًا شديدًا غافًا عليهم من شر قومه ، ثم قال لهم : من أين أنتم ؟ قالوا : من موضع بعيد ، وقد حللنا بساحتك ، فهل لك أن تضيفنا الليلة ؟ قال : نعم ، ولكن أخاف عليكم من هؤلاء الفاسقين - عليهم لعنة الله - قال جبريل لإسرافيل : هذه واحدة - وكان الله قد أمرهم ألا يدمروا على قومه إلا بعد أربع شهادات من لوط ولعنته عليهم - ثم أقبلوا إليه وقالوا : يا لوط ، قد أقبل علينا الليل ، فأعمل على حسب ذلك . قال : قد أخبرتكم بأن قومي يأتون الرجال من العالمين - عليهم لعنة الله - فقال جبريل لإسرافيل : هذه ثانية . ثم قال لهم لوط : انزلوا عن دوابكم وأجلسوا ها هنا حتى يشتد الظلام ، وتدخلون ولا يشعر بكم أحد منهم - عليهم لعنة الله - قال جبريل : هذه ثالثة . ثم مضى لوط والملائكة وراءه ، فدخل المنزل ، وأغلق الباب ، وقال لأمرأته : إنك قد عصيت الله أربعين سنة وهؤلاء ضيفاني قد ملأوا قلبي خوفًا ، فأكتمى على أمرهم حتى يغفر الله لك ما مضى . قالت : نعم . ثم خرجت وببيها سراج كأنها تُشعل ، فطافت على عدة

من القوم ، فأخبرتهم بمجالهم وحسنهم ، فلم لوط بذلك ، فأطلق الباب وأومقه ؛ فأقبل الساق وقرعوا الباب ، فتأدهم لوط : ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَأَقْتَرُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حقٍّ وإنك لتعلم ما نريدُ ﴿ ثم كسروا الباب ، ودخلوا ، فقالوا له : ﴿ أَوَلَمْ تَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ .

فوقف لوط على الباب الذي دونه ضيفانه وقال : لا أُسلم ضيفاني إليكم دون أن تذهب نفسي .

- فتقدم بعضهم ولطم وجهه ، وأخذ بلحيته ، ودفعوه عن الباب ، فقال : أوه ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ثم قال : إلهي خذ لي بحقي من هؤلاء الفسقة والذين هم لنا أكبرا . فقال جبريل عند ذلك : هذه أربعة . وقام جبريل ١٠ ففتح الباب وقال للوط : ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ فهجم القوم . ودخلوا وبادروا نحو الملائكة ، فطمس الله أعينهم ، وأسودت وجوههم . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ فجاءت طائفة أخرى ونادوهم : اخرجوا لندخل . فتأدوا : يا قوم ، هؤلاء قوم محررة محرموا أعيننا فأخرجونا . فأخرجوهم ، وقالوا : يا لوط ، حتى نصبح نريك وبناتك . وخرجوا ١٥ فقال لوط للملائكة : بماذا أرسلتم ؟ فأخبروه ، فقال : متى ؟ قالوا : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ .

- ثم قال له جبريل : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيفُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ فجمع لوط أهله وبناته ومواشيه ، وأخرجهم جبريل من المدينة ، وقال له : ﴿ إِنَّ دَارَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصِيفِينَ ﴾ ومضى لوط ٢٠

بن معه ، وجبريل قد بسط جناح الغضب ، وإسرائيل قد جمع أطراف المدن
ودريائيل قد جعل جناحه تحت الأرض ، وملك الموت قد تهيأ لقبض أرواحهم
حتى إذا برز عمود الصبح صاح جبريل صيحة : يا بئس صباح قوم كافرين .
وقال ميكائيل : يا بئس صباح قوم فاسقين . وقال دريائيل : يا بئس صباح قوم
ظالمين . وقال إسرائيل : يا بئس صباح قوم مجرمين . وقال عزرائيل : يا بئس
صباح قوم غافلين .

فاقطع جبريل هذه المدن عن آخرها ، ثم رفعها حتى بلغ بها إلى البحر الأخضر
وقلبها ، فجعل عاليها سافلها . قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤَنَّفَكَةُ أَهْوَى * فَغَشَاهَا مَا غَشَى ﴾
يعنى رعى الملائكة لآثامهم بالمجاعة من فوقهم .

قال : وأستيقظ القوم ، وإذا هم بالأرض تهوى بهم ، واليران من تحتهم
والملائكة تخذلهم بالمجاعة .

قال : ومن كان من القوم بغير مدائنهم ممن كان على دينهم وفصلهم أناه
جبر فقتله .

قال : وبقي يخرج من تحت المدائن ^(١) دخان متين ، لا يقدر أحد يشمه
لنتنه ، وبقيت آثار المدائن . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

قال : ومضى لوط إلى إبراهيم — طيبهما السلام — فذلك قوله عز وجل :
﴿ وَلَوْلا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفُلُجَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا سَوِيًّا فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

(١) في إحدى نسخ الكسائي : « تلك » مكان قوله : « تحت » .

الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الخامس

في خبر إسحاق ويعقوب — عليهما السلام —

قال : ولما قبض الله تعالى إبراهيم الخليل — عليه السلام — سكن إسماعيل الحرم ، وإسحاق الشام ومدين ، وسكن معه سائر أولاد إبراهيم ، وبنيته الله إلى الأرض المقدسة نبياً ورسولاً ، فأقام بينهم نحواً من ثمانين سنة ، وكف بصره فبينما هو نائم إلى جنب أمهاته إذ تحركت شهوته ، فقالت : وفيك بقية يا إسحاق؟ فواقها مرة فحملت بذكرين : وهما يعقوب والعيس — على ما ذكرناه في الأنساب — وهو في الباب الرابع من القسم الأول من الفن الثاني ، وهو في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، وذكرنا أيضاً أولاد العيس فيه .

- قال : ثم قبض الله تعالى نبيه إسحاق ، فقسم ما كان له من بقر وخيل وغنم وغير ذلك بالسوية ، ومات في غلب العيس على مال يعقوب ، وأغتنصبه إياه وقصد قتله ، فقالت له أمه : الحق بخالك (لابان) وإخوته بخران ، فإنهم مؤمنون من آل إبراهيم .

- فتوجه يعقوب إلى حران ، فأكرمه خاله ، وزوجه أبنته ، وسلم إليه ما بيده من المال ، وكانت أبنته هذه الكبرى ، وأسمها (لِيا) ^(١) فزوّج منها روبيل ^(٢) وشمعون ^(٣) ثم ذكرين : لاوى ويهوذا ، وتوفيت في زوجه خاله أبنته الثانية وأسمها

(١) كذا ضبط هذا الاسم بكسر اللام في فهرست تاريخ الطبري المطبوع في أوربا . والذي في التوراة ص ٤٩ « لية » فتح اللام وبالحذف آخره . (٢) كذا في تاريخ العيني . والذي في التوراة « روبرين » فتح الراء . (٣) كذا ضبط هذا الاسم في القاموس بفتح اللين . وضبط في التوراة بكسرهما ، وهو شمعون الصفا . (٤) في التوراة : « لاوى » بكسر الواو .

(١) سرورية ، فولدت له ولدين : دانا ونفتالي ؛ ثم توفيت ، فزوجه الثالثة فأولدها ذكرين يساخر و زبولون ، وماتت ؛ فزوجه ابنته الرابعة ، وأسماها راحيل — وكانت أحسن بناته — وذلك بعد أن استكمل يعقوب من عمره أربعين سنة ، بقاء الوحي يومئذ وهو بمحزان وقد مات أمه .

ذكر مبعث يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام

قال : ولما أتاه الوحي أقبل على خاله لابان ، وشكره على فعله ، وقال : إن ربّي بعثني رسولا إلى أرض كنعان . فزوّده بخيل وغنم وبقر وغير ذلك ، وقال : امض لما أمرك به ربك . فخرج يعقوب ومعه أولاده العشرة وامرأته يريد أرض كنعان ، فبلغ خبر نبوّته أحباء العيص ، فغضب لذلك ، وعارضه في طريقه بجوعه ؛ فراسله يعقوب مع ابنه روبيل ، وذكره الأخوة والرحم ، فزبر روبيل وردّه ؛ ثم التفتا ، فظفّر الله يعقوب بالعيص بقوة النبوة ، فاحتمله وألقاه على الأرض وجلس على صدره ، وقال له : كيف رأيت صنع الله بك يا عيص ؟ ثم رقّ له وقام عن صدره وأعتقه ، فأعترف العيص بفضل عليه ، وسأله أن يعفو عمّا سلف منه في حقّه ؛ فاستغفر له يعقوب ودعا له ، وأنصرف العيص إلى بلده ، وأقبل يعقوب

(١) في تاريخ العيني وتفسير الأكوسي والتيسبوري وغيرها من الكتب أن دانا ونفتالي واثنين آخرين لم يذكرهما المؤلف هنا ، وهما جاد وأثر ، من سريتين ليعقوب ، إحداهما زلفة ، والثانية بلهة . وهذا هو ما يستفاد من التوراة أيضا . (٢) في تاريخ العيني وتفسير الأكوسي « نفتالي » بإيا . مكان التون . والذي في الأصل هو ما في التوراة . (٣) كذا في الأصول وتاريخ العيني . والذي في التوراة « يساكر » ففتح الباء . وتشدّد السين وكاف بعد الألف . (٤) يلاحظ أن المؤلف لم يذكر فيما سبق من أولاد يعقوب غير ثمانية ، ولم يذكر ولديه من راحيل وهما يوسف وبنيامين . فقله هنا : « العشرة » غير ظاهر . ويؤخذ مما يأتي في صفحة ١٣٠ سطر ١٧ أنه لم يرزق بولديه من راحيل إلا بعد خروجه إلى أرض كنعان وغزوه للكلها . (٥) زبره ، أي اتبره .

إلى أرض كنعان ، فبنت له دار متسعة ، سكنها بأهلها وأولاده ، وكان بارض كنعان ملك يقال له : صميم ، فدعاه يعقوب إلى الإيمان بالله ، فلم يكثر به قال : فأتى مجاهدك . قال : بن تجاهدني وليس معك أحد ؟ قال : أجاهدك بالله ولائكنه وهؤلاء أولادي .

- وأقبل يعقوب بأولاده والملك في حصنه ، فقال : يا بني ، جاهدوا في الله حق جهاده . فقال ابنه شمعون : أنا أكفيك هذا الحصن . وأقبل وضرب باب الحصن برجله فتساقطت حيطانه ، وصاح صبيحة عظيمة فأت الملك وأكثر من بالحصن . ودخل يعقوب الحصن ، وغم ما كان فيه ؛ فكانت هذه معجزة ليعقوب ، وبلغ ذلك أهل كنعان ، فوقع الرعب في قلوبهم ، فآمنوا بيعقوب — عليه السلام — .

الباب الرابع من القسم الثاني من الفن الخامس

في قصة يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام (٥٢)
وهذه القصة تدخل فيها بقية أخبار يعقوب وما كان من أمره ووفاته وخبر الأسباط أولاده .

١٥ ذكر خير ميلاد يوسف — عليه السلام —

قال : ولما رجع يعقوب من غزائه دخل على امرأته راحيل فواقها فحملت بيوسف وبنيامين أخيه ، فوضعتهما ، فجاء يوسف كالقمر ، فربته أمه حتى صار عمره ستين ، وماتت أمه ؛ فلما بلغ عمره عشرين أمر يعقوب بجذعة من غنمه ، فذبحت ، وصنعت طعاما ، وجمع أولاده على الطعام يأكلون ، فأقبل

مسكين وسأل وأكثر السؤال ، وأشتغل يعقوب عنه ولم يأمرهم بإطعامه ، حتى أنصرف السائل .

فلما فرغ يعقوب من أكله قال : أعطيت السائل شيئا ؟ فقالوا : إنك لم تأمرنا بشيء . بغاهم الوحى : يا يعقوب ، قد جاءك مؤمن فقير مريض شتم رائحة طعامك فلم تطعمه ، وأحرق قلبه ، فلا تحرق قلبك . فأغم يعقوب .

ذكر رؤيا يوسف — عليه السلام — وكيد إخوته له

قال : ولما بلغ أنتى عشرة سنة رأى رؤياه وقصها على أبيه . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَمْتَرِكُ رَبُّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قال : فسمع إخوته الرؤيا ، فدخلهم الحسد ، وقالوا ما أخبر الله به عنهم : ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةَ فِي غَيْبَتِ الْحُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ .

قال : فاتفقوا وجاءوا إلى أبيهم ، فقالوا : ﴿ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْهَبْ وَإِنَّا لَهُ لَنَحَافِظُونَ ﴾ . فقال لهم يعقوب : ﴿ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذْنَا لَخَاسِرُونَ ﴾ .

- قال : وأحب يوسف ذلك ، فدعا يعقوب بسلة فيها طعام وكوز ماء ، وقال :
- إذا جاع فأطعموه من هذا الطعام ، وإذا عطش فاسقوه ؛ وأخذ عليهم اليهود برته وشيئهم بنفسه ، وجلس على تل عال ينظر إليهم حتى غابوا عنه ؛ فنقدم على إرساله ثم رجع إلى منزله ؛ وجعل إخوة يوسف يُمتنون في السير ، وهو يمشي وراهم ولا يلحقهم ، ويناديهـم : « فقلوا لي » . فلم يبقوا . ويقول : « اسبقوني » . فلم يسبقوه ؛ وكسر شمعون الكوز وقال : قل لأحلامك الكاذبة حتى تسقيك . ورمى (لاوى) سلة الطعام في الوادي ؛ فلم يوسف أنهم قد عزموا على أمر ، فتأداهم وناشدهم الله والرحم ، وذكّرهم بعهود أبيه ، فطمه أحدهم فأكبه ؛ وساروا ويوسف يمدو وراهم حتى بلغوا موضع أغنامهم ، فأرادوا قتله ؛ فقال لهم يهوذا : إن قتلتموه حلّ بكم ما حلّ بقايل حين قتل أخاه . فأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الحب ٥ .
- وطلبوا له جأ عميقا فوجدوه ، فجزوه إليه وهو يبكي ، فقال لهم يهوذا : يا بني يعقوب لقد ذهبت الرحمة من قلوبكم . قالوا : فترده إلى أبيه فيحدثه بما فعلناه به ؟ قال :
- فإن طرحتموه في الحب لا يبلغ قعره حتى يموت ، ولكن دلوّه بجبل . ولم يكن معهم جبل ، فذبجوا شاة ، وقتلوا جلدها كالجلجل ، ودلوّه به ؛ فلما نزل إلى الحبّ أمثلاً نورا ، وأتاه جبريل وقال له : لا تخف فإن الله معك . وكان في الحبّ ١٥
- حجر عظيم ، فسقطه جبريل يمتاحه فصار كالطبق وأجلسه فيه ، وأتاه بطعام من الجنة فأكل ، وأتاه بقميص فلبسه . وبفراش من الجنة ، وآفسته الملائكة في الحبّ .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْحَبِّ وَأَوْحَيْنَا

إِلَيْهِ لَتُبَيِّنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ ﴾ .

قال : ثم قالوا : ماذا تقول لأبينا ؟ قال بعضهم : إنه كان يخاف عليه من الذئب ، فنقول : إن الذئب أكله . فعدوا إلى جدى فذبحوه على قبضه ، وألصقوا بالدم شيئا من شعر الجدى ، ورجعوا إلى أبيهم .

ذكر رجوع إخوة يوسف إلى يعقوب

قال : ولما قُربوا من عرش يعقوب أخذوا في البكاء والويل ، فرأىهم أبنة يعقوب ، فزلت إلى أبيها باكية ، وقالت : رأيت إخوتي متفرقين سيكون ، وروبيل يقول : « يا يوسف يا يوسف » . فصاح يعقوب ، ونحى عن وجهه ، فدخلوا عليه وقالوا : يا أبانا ، جلت المصيبة وعظمت الرزية (٥١) إنا ذهبنا نستقي وتركا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين (٥٢) قال الله تعالى : (وَجَاءُوا عَلَى قَبْضِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) وأخذ يعقوب القميص ، ونظر إليه فلم يرفه أثر خدش فقال : يا بني ، ما للذئب وأكل أولاد الأنبياء ؟ وأخذ يبيى ، ثم قال : أخرجوا في طلب هذا الذئب ، وإلا دعوت عليكم فتهلكوا . فخرجوا فأخذوا ذئبا عظيما وجعلوا يضر بونه ويحزونه ، حتى جاءوا به إلى أبيهم ، فقال : كيف عرفتموه ؟ قالوا : لأنه ذئب كبير ، وكان يتمرض لنا في غنمنا .

ذكر كلام الذئب بين يدي يعقوب

فقال يعقوب : سبحان من لو شاء لأنطقك بحجتك . فنطق الذئب وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يا بني الله ، إني ذئب غريب ، فقدت ولدا لي بغثت في طلبه حتى بلغت بلدك ، فأخذني هؤلاء وضربوني وكذبوا علي ، والذي أنطقني ما أكلت ولدك ، وكيف يأكل الذئب أولاد الأنبياء ؟ فاطلقه يعقوب .

ذكر خبر خروج يوسف من الحبّ وبيعه من مالك بن دُعر

قال : وأقبل قوم من بلاد اليمن يريدون أرض مصر، فخرج بعضهم في طلب الماء، فرأى نورا يسطع من البئر، فادلى دلوه، فتملّق به يوسف، فاجتذبه، فنظر إليه فرآه، فقال للذي كان معه : (يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) . فأنرجوه .

• قيل : وذلك في اليوم الرابع من إلقائه في الحبّ، وكان إخوته على رأس جبل فنظروا إلى أجتاع القافلة على الحبّ، فعلموا إليهم، وقالوا : هذا عبد لنا أبى منذ أيام، ونحن في طلبه، فإن أردتم بعثه منكم .

ثم قالوا ليوسف بالعبرانية : إن أنكرت العبوديّة أترعنّاك من أيديهم وقتلناك .
فسأله أهل القافلة فقال : « إني عبد »، أرادَ قه .

• وكان رئيس القافلة مالك بن دُعر . فاشتراه منهم بأقل من عشرين درهما .

• قيل : تنقص درهما . وقيل : تزيد درهين . وقيل : اشتراه بأربعين درهما والله أعلم . فاقسموها بينهم .

قال الله تعالى : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)

ثم قالوا لمالك : هذا عبد أبى سارق، قيده حتى لا يهرب منك ولا يسرق .

• فقيده وأركبه ناقه، وكتب يهوذا كتاب البيع، وساروا حتى بلغت القافلة قبر

آم يوسف، فلم يتمالك أن رمى بنفسه على القبر وبكى؛ فافقدوه فلم يروه، فبعثوا

في طلبه، فوجدوه وقد أتكأ على القبر؛ فقطعه واحد منهم، وقالوا : هلا كان هذا

البكاء قبل اليوم حتى تكأ لا تشتريك؟ وساروا به حتى دخلوا مصر، ففتر مالك

لباس يوسف، وعبر به، فاجتمع الناس على القافلة، ورأوا يوسف فعجبوا لحسنه

وجماله .

ذكر خبر بيع يوسف من عزيز مصر

قال : وواعدوا مالكا على بيعه ياب الملك ريان بن الوليد ، فزين يوسف بأحسن زينة ، وأقصده على كرسى^(١) ، وأقبل عزيز مصر وأسمه قِطْفِير^(٢) ، وأجتمع التجار وقام الدلال ونادى عليه ؛ فبكى يوسف ، وتزايد القوم حتى بلغ يوسف مالا لا يحصى كثرة ؛ وأستقر^(٣) بيعه من قِطْفِير^(٤) ، وأحضر الأموال .

وقد اختلف الرواة في كمية الثمن ، ففهم من لم يحده ، بل قال : مالا كثيرا .

ومنهم من قال : إن عزيز مصر تلقى القافلة ، وأشتراه من مالك بن دُعْر بشرين ديناراً ، وثلين ، وثوبين أبيضين . وقد عُرِى هذا القول إلى ابن عباس — رضى الله عنها — .

وروى عن وهب بن منبه أنه أقيم في السوق ، وتزايد الناس في ثمنه ، فبلغ ثمنه وزنه مسكاً وورقاً وحريراً ؛ فأبتاعه العزيز بهذا الثمن .

نرجع إلى سياق الكسائى :

قال : فوقف عليه رجل من بلاد كنعان على ناقه ، فبكت عتقا ، وجعلت تنتم يوسف ، فسأل يوسف صاحب الناقة بالبرانية : من هو ؟ فأخبره أنه من أرض كنعان ؛ فقال له : أقرئ يعقوب سلامى إذا رجعت ، وصف له صفى . فلما عاد الكنعانى أخبر يعقوب بذلك ؛ فقال يعقوب : سلتى حاجة بهذه البشارة . قال : أدع لى أن الله يُكثر ولدى ومالى . فقال : اللهم أكثر ولده وماله وأدخله الجنة .

(١) كذا وجدنا هذا الاسم مضبوطاً بالعبارة في هامش تاريخ المنى ورقة ٩٧ من الجزء الثانى قسم ١

عن النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .



قال : ثم دعا مالك من يوسف فقال له : أنا يوسف بن يعقوب بن إبراهيم الخليل ، وأخبره بخبر إخوته . فصاح مالك وقال : والله ما علمت فاستغفر لي فإني من أولاد مدين بن إبراهيم . فبكى يوسف ، وقال له مالك : أما لك أن تدعو الله برزقي ولدا . فلما الله فرزقه أربعة وعشرين ولداً ، وعاش مالك حتى رأى يوسف وهو عزيز مصر .

قال : ودخل قبطير منزله ويوسف معه ، فرأته زليخا — وكانت أحسن نساء زمانها — فقال لها زوجها قبطير : قد اشتريت هذا القلام لشعده ولداً فإنما لم نرزق ولداً . قال الله تعالى : (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) .

ذكر خبر يوسف وزليخا

قال : ولما رأت زليخا عجبته لحسنه ، ولاطفته ، وقالت : لا ينبغي لمثلك أن يباع عبداً . ويوسف ساكت ، وكان لا يأكل من ذبايحهم ، فقالت له : لم لا تأكل من ذبيحتنا وتقبل كرامتنا ولي هذا البستان أريد أن تحفظه . فقال يوسف : أفضل ذلك . فكان يوسف يتعامله حتى عمر يركته ، وهو يأكل من نباته ، فوقعت محبة في قلب زليخا ، فكنمت ذلك حتى كاد يظهر عليها ، فأتتها دأيتها ، وقالت : يا سيدة نساء مصر ، أخبريني بقصتك . فذكرت ما بها من حب يوسف ، فأمرتها أن تترين بأحسن زينتها ، ففعلت ، وجلست على سرير وأحضرت يوسف ، فوقف بين يديها وهو لا يعلم ما يراد منه ، وأغلقت البداية أبواب المجلس من خارج ، فلم عند ذلك مراد زليخا — وكان عمره ثمان عشرة سنة — ، قال

(١) لعل صواب العبارة « ثم دعا يوسف من مالك » عكس ما هنا ، كما يدل عليه سياق ما يأتي .

الله تعالى : ﴿ وَرَأَوْنَهُ الَّذِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَظَلَّتِ الْأَبْوَابُ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

قال : فرمت بتاجها وممت به . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَصَيَّرَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِثْمًا مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ .

قالوا : هم بضربها . وقيل : بردها . وقيل : لما حصل عنده من المم . ولا تمويل على ما نقله أهل التاريخ : أنه هم بها كما ممت به . قالوا : وكان البرهان الذي رآه أنه سمع صوتا من وراءه ، فألقت ، فرأى صورة يعقوب وهو عاض على يديه يقول : « الله الله يا يوسف » .

وقيل : خرجت كف من الحائط مكتوب عليها : ﴿ أَقْنِ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ ؛ ثم أنصرفت الكف وعادت زليخا لمراودته ، فخرجت الكف ثانية مكتوب عليها : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ ؛ ثم عادت فخرجت الكف ثالثة وعليها مكتوب : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ .

قال : فلما نظر يوسف إلى البرهان ، بادر إلى الباب ؛ فسلت زليخا خلفه فلحقته عند الباب ، فحذبت قميصه فقدمته من دُبُرٍ ؛ وإذا قطفير قد أقبل . قال الله تعالى : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَلَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ .

قال : فلما نظرت زليخا إليه لطمت وجهها ، وقالت : أيها العزيز ، هذا يوسف الذي اتخذناه ولدا دخل يراودني عن نفسي .

ثم قالت : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . قال هي راودتني عن نفسي ﴿ فهم قطفير أن يضرب يوسف بسيف ، فأنجاه الله منه ؛

- وكان في المجلس صغير ابن شهرين - وهو ابن داية زليخا - فحكّم بإذن الله وقال : لا تعجل يا قطفير ، أنا سمعت تخريق الثوب . قال الله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَبِيضُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ * وَإِنْ كَانَ قَبِيضُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ ثم لم ينطق الصبي بعد ذلك حتى بلغ حدّ النطق ، وهذا الصبي أحد من تكلم في المهد . ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَبِيضُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ ؛ وأقبل على يوسف وقال : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ الحديث لا يسمعه أحد . وقال زليخا : ﴿ وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ .

ونخرج قطفير من منزله ، وعادت زليخا لمرأودته ؛ فامتنع عليها .

١٠ ذكر خبر النسوة اللاتي قطعن أيديهن

قال : وفشا في المدينة ، وشاع عند نساء الأكابر خبرها ، ففتبها عليه ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ فلما بلغها ذلك من قولهن ﴿ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾ .

- ١٠ قال : استدعت امرأة الكاتب والوزير وصاحب الخراج وصاحب الديوان .
وقيل : إن النساء اللاتي تكلمن في أمر زليخا امرأة الساق وأمرأة الخباز وأمرأة صاحب الديوان وأمرأة صاحب السجن وأمرأة الحاجب ؛ والله أعلم .
قيل : إنما قدمت إليهن صوان الأترج ومخاف العسل : ﴿ وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ وزينت يوسف ، وقالت : إنك عصيتني فيما مضى ، فإذا دعوتك الآن فأخرج . فاجابها إلى ذلك ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ

إِلَيْهِنَّ وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مُتَكَاً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾

قال: كُنَّ يَأْكُلْنَ الْأَثَرُجَّ بِالسَّكَاكِينِ فَنَالَهُنَّ مِنَ الدَّهْشِ وَالْحَيْرَةِ مَا قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ^(١) وَتَلَوْتُ بِالْدَّمَاءِ وَلَمْ يَشْعُرْنَ؛ فَقَالَتْ لَهُنَّ زَيْلَخَا مَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿قَالَتْ قَدْ لِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَاقْدَرِ رَاوِدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْمَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِغِينَ﴾.

وقيل: إِنَّ النِّسَاءَ خَلَوْنَ بِهِ لِيَعَذِّلَنَّهُ لَهَا، فَرَاوِدَتْهُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهَا، ثُمَّ أَفْصَرَفْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ.

ثم دَعَتْهُ زَيْلَخَا وَرَاوِدَتْهُ، وَتَوَعَّدَتْهُ بِالسَّجْنِ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؛ فَقَالَ يُوسُفُ مَا أَخْبَرَ اللَّهَ بِهِ عَنْهُ: ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

قال: فَلَمَّا أَيْسَتْ زَيْلَخَا مِنْهُ مَضَتْ إِلَى الْمَلِكِ رِيَّانَ بْنِ الْوَلِيدِ—وَكَانَتْ لَا تُزْدِ عَنْهُ— فَقَالَتْ: إِنِّي أَشْتَرَيْتُ عَبْدًا، وَقَدْ اسْتَعْمَى عَلَيَّ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهِ الضَّرْبُ وَالتَّوْبِخُ، وَأُرِيدُ أَنْ أَحْبِسَهُ مَعَ الْعَصَاةِ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِمَحْبَسِهِ، وَأَنْ يُفْرَجَ عَنْهُ مَتَى اخْتَارَتْ؛ فَأَمَرَتْ السَّجَانَ أَنْ يَضَيِّقَ عَلَيْهِ فِي مَحْبَسِهِ وَمَا كُلَّهُ وَمَشْرَبَهُ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ؛ فَانْكَرَهُ الْعَزِيزُ، وَأَمَرَ أَنْ يُنْقَلَ إِلَى أَجُودَ أَمَا كُنِ السَّجْنُ، وَ يُفَقِّدْ قِيْدَهُ، وَقَالَ لَهُ: لَوْلَا أَنْ زَيْلَخَا تَسْتَوْحِشُ مِنْ إِخْرَاجِكَ لِأَخْرَجْتُكَ، وَلَكِنْ أَصْبِرْ حَتَّى تَرْضَى عَنْكَ وَيَطِيبَ قَلْبُهَا.

(١) يلاحظ أن المؤلف في هذه العبارة قد حذف عائد «ما» وهو قوله «بسيه» أو «به» مثلاً. ويستفاد من كتب القواعد أن حذف العائد المحرور بالحرف جائز إذا تعين الجائز هنا، ومن قول الشاعر: * وأى الدهر ذولم يمسدوني * أى فيه انظر حاشية الصبان ج ١ ص ١٦٨ طبع بولاق. (٢) يقال: «عله» بشديد اللام وتحقيقها، أى أقامه وسواه.

ذكر إلهام يوسف — عليه السلام — التعبير

ونزل جبريل على يوسف — عليه السلام — وبشره أن الله قد ألهمه تعبير الرؤيا
عرفه بإذن الله عز وجل، وأبنت الله له شجرة في محبه يخرج منها ما يشتهي .

ذكر خبر الخباز والساقى

- قال : وغضب الملك ريان بن الوليد على ساقيه شرهبا، وصاحب مطبخه^(١)
شرهبا، فأمر بحبسهما، فحسبا في السجن الذي فيه يوسف، فرأى الساقى رؤيا
فسأل أهل السجن عن تأويلها، فدلوه على يوسف، فأناه وقال : قد رأيت رؤيا .
فقال له يوسف : قصها . فقال : رأيت كأنى في بستان فيه كرمه حسنة ، وفيها
عناقيد سود؛ فقطعت منها ثلاث عناقيد وعصرتها في كأس الملك، ورأيت الملك
على سريره في بستانه، فتاولته الكأس فشربه، وأنتهت .

١٠

فقال صاحب المطبخ : وأنا رأيت مثل هذه الرؤيا، رأيت كأنى أخبز في ثلاثة
تناير : أحمر وأسود وأصفر، ورأيت كأنى أحمل ذلك الخبز في ثلاث سلال إلى دار
الملك، وإذا بطائر على رأسى يقول لى : قف فأنى طائر من طيور السماء . ثم سقط
على رأسى فجعل يأكل من ذلك الخبز، والناس ينظرون إليه وإلى، وانتهت فريضا .

- فقال يوسف : بشما رأيت . ثم قال للساقى : إنك تقيم في السجن ثلاثة أيام
ويخرجك الملك فيسلم إليك خزانته، وتكون ساقيه وصاحب خزانته . وأنت يا خباز
بعد ثلاثة أيام تُضرب رقبتك وتُصلب وتاكل الطير من رأسك . فقال الخباز : إنى
لم أَرِ شيئا، وإنما وضعت رؤياى هذه . فقال : (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتَانِ) .

(١) كذا ورد هذان الاسمان الدان تحت هذا الزم في الأصول . ولم نجد فيها راجعاه من الكتب

ما نعلمن إليه في تصحيحهما ، بل الكتب فيها وفي أمثالها من هذه الأسماء القديمة غلظة كل الاختلاف .

٢٠

ثم قال يوسف الساق : (أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) وَأَعْلِيهِ أَنِّي مَحْبُوسٌ ظُلْمًا .
فقال له : ما أُنْبِئُ جَهْدًا .

فلما كان بعد ثلاثة أيام كان من أمر الساق والنجار ما قلناه لهما يوسف .

ثم هبط جبريل على يوسف وقال : إن الله يقول لك : نَسِيتَ نَهْأِي عَلَيْكَ
فقلتُ للساق يذكرك عند ربه ، وهما كافران ، فأزلت حاجتك بمن كفر بنعمتي
وعبد الأصنام دوني .

قال الله تعالى : (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ
الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) .

قيل : الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الساق ، (فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ
يُضَمَّ سَيْنٌ) وهو يسكى ويستغفر ويتضرع إلى الله ؛ فأوحى الله إليه : أنى قد غفرت
لك ذنبك ، وأنه سيخرجك من السجن ، ويجمع بينك وبين أبيك وإخوتك
وتصدق رؤياك . فخر ساجدا لله تعالى .

ذكر رؤيا الملك وتعبيرها وما كان من أمر يوسف وولايته

قال : وقد رآه عز وجل أن الملك — وهو الريان بن الوليد بن ثروان بن
أواسة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن نوح عليه السلام — رأى في تلك
الليلة رؤيا حالته ؛ فدعا بالمعبرين ، فقالوا : إن هذه (أَمْضَاتُ أَحْلَامٍ وَمَا تُحْنُ
يَتَأَوَّلُ الْأَحْلَامَ بِمَالِيَيْنِ) . فغضب الملك وقطع أرزاقهم ؛ وذكر الله الساق ؛
قال الله تعالى : (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)
فتقدم إلى الملك وذكر له خبر يوسف — وكان بين المذنبين سبع سنين وسبعة

- أشهر — فأرسله الملك إليه وقال : أخبره برؤياى وأخنى بتأويلها . فأقبل الساقى إلى السجن وأجتمع بيوسف ، واعتذره ، وأخبره برؤيا الملك ، وقال : هل عندك تعبير ذلك ؟ قال : لا أفصل حتى ترجع إلى الملك وتسأله (مَا بَالُ النِّسْوَةِ الْآلِيَّاتِ قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) ؛ فرجع الساقى إلى الملك وأخبره ، فأستدعى النسوة ، فأتى بمن كان يعيش منهن ، فقال الملك : (مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) . فلما قلن ذلك قال الملك : (أَتُؤْنِنُ يَهُ أَتَخْلِفُهُ لِنَفْسِي) ؛ فلما دخل عليه أجلسه معه على السرير ، وسأله عن أممه ونسبه ، فأنتسب له ، وذكر قصته مع إخوته ؛ فقال له الملك : قد سمعت ما رأيت فى منامى . ثم قصها عليه ، فقال : رأيت سبع بقرات سمان فى نهاية الحسن ، ولكل بقرة قرون كبيرة ، فحملتنى واحدة على قرنيتها ، فجعلت أصير من بقرة إلى بقرة حتى طفت على الجميع ؛ فبينما أنا كذلك وإذا بسبع بقرات عجاف مهازيل ، فعمدت فاكلت كل واحدة من المهازيل واحدة من السمان ، وبقيت أتي أنا على قرنيتها فلما تقدمت المهزولة لاكلها ، رمى عن قرنيتها ، فاكلتها المهزولة ؛ ثم صار للمهازيل أجنته ، فطاررت ثلاث نحو المشرق وثلاث نحو المغرب ، وبقيت هناك واحدة ؛ فبينما أنا كذلك وإذا أنا بسبع سبلات فى نهاية الخضره خرجن من ذلك الوادى ، ثم لاحت فبين سبع سبلات يابسات ، فالتفتن على الخضر حتى غلبن على خضرتهن ، وإذا بملك قد أقبل وقال : ياربان ، خذ هذا الرجل فأقعه على صريك ، فإنه لا يصلح ما رأيت إلا على يديه ؛ فهذا ما رأيت .
- ١٠ فقال يوسف : أما السبع بقرات السمان فهي سبع سنين يكون فيها زرع وخصب (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ) فإنه أبقى له .
- ٢٠

وأما البقرات العجاف، فأتها سبع سنين فيها حط وضيق، فأكل ما حصدم
في سنين الخصب (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) في بيوتكم .

وأما السبايل الخضراء، فهي سنو الخصب، واليابسة سنو الجوع، والرجل الذي
قال لك؛ أقمده على سريرك، فيكون صلاح ذلك على يده فأنا هو؛ وقد أمرك
ربي بهذا؛ فهذا تأويل رؤياك .

قال : فقال له ريان : أشر على الآن بمن أقدمه في هذا الأمر . فقال
يوسف : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) .

قال : كيف يتبأ لك وأنت رجل عبراني لا تعرف لغة أهل مصر؟ فقال :
إن الله ألهمني جميع هذه الألسنة يوم دخلت مصر . فترع الملك خائمه، وجعله
في أصبح يوسف، وقال لأصحابه : هذا عزيز مصر وخليفتي، فأصبحوا له وأطيعوا .

قال الشعبي : قال أهل الكتاب : لما تمت ليوسف في الأرض ثلاثون سنة
استوزره فرعون مصر . وكان مرادهم — والله أعلم — أنه لما استكمل ثلاثين سنة
من عمره .

وحكى الشعبي أن الملك عزل العزيز وولى يوسف، ثم هلك العزيز عن قريب
وكان يوسف يوم قضائه تُضرب له قبة من الديباج يحلّس فيها للحكومة بين الناس
وبقية الأيام يدور في عمله ويأمر بالزراعة والحراث وعمر البيوت لخزن الحبوب
بساتيلها، حتى ملأها، وخرن الأتبان حتى آتقت سنو الخصب ودخلت سنو
القصط، فنهى عن الزراعة فيها لئلا يعلمه أن الأرض لا تثمر فيها شيئاً؛ فأكلوا ما عندهم
حتى نفد؛ فالتجأوا إلى الملك، فقال الملك : عليكم بالعزيز فإن في يده خزائن
الطعام . فقاموه، فباعهم في السنة الأولى بالدنانير والدرهم، وفي السنة الثانية بالحلّ .

والجواهر ، وفي الثالثة بالأراضي والقار ، وفي الرابعة بالإماء والعبيد ، وفي الخامسة بأولادهم ، وفي السنة السادسة بأنفسهم ، حتى صاروا يملكوا له وعبيدا ، وأطعمهم في السنة السابعة لأنهم صاروا عبيده وإماءه ، والله أعلم .

ذكر حاجة زليخا إلى الطعام وزواج يوسف بها

- يقال : إن زليخا أصابها من الحاجة ما أصاب غيرها ، وأبتاعت الطعام بجميع مالها ، وبقيت منفردة ، فلم تجد بدا من التعرض ليوسف ، فقعدت على طريقه وإذا هو قد أقبل في مواكب عظيمة ، فقامت وقالت : يا يوسف ، سبحان من أعز العبيد بالطاعة ، وأذل السادات بالمعصية ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت من أولاد النبيين .

- ١٠ فسألها يوسف . من أنت ؟ فقالت : زليخا ، وبكت وذكرت حاجتها إلى الطعام ، فصرفها إلى منزلها ، ورد عليها أملاكها وأموالها ، وبعث لها بمال جزيل وطعام كثير ، ثم أستاذن الله تعالى في زواجها ، فأذن له ، فتروجها ، ورد الله عليها حسنها وجمالها ، فلما دخل عليها وجدها بكرا ، فعجب من ذلك ، فقالت : يا نبي الله « والذي هداني إلى دينك ما مسني ذكر قط ، وما قدر عليّ العزيز » .

- ١٥ فيقال : إنه رزق منها عشرة أولاد في خمسة أبطن .

وقد حكى الثعلبي أن العزيز قطعير لما هلك بعد عزله زوج الملك يوسف بأمراته زليخا ، وسماها الثعلبي في كتابه : « راعيل » .

قال : وآنشتر الفحط حتى بلغ أرض كتمان ، فقال يعقوب لبنيه : يا بني ، إنكم ترون ما نحن فيه من الضر ، وقد بلغني أن عزيز مصر تقصده الناس فيمتارون منه

ويعسن إليهم ، وأنه مؤمن بالله إبراهيم ، فاحلوا ما عندكم من البضاعة وتوجهوا إليه .
ففعلوا ذلك وساروا .

قال : وأقبل مالك بن دُعر على يوسف ومعه أولاده ، وهم أربعة وعشرون ولدا ، كلهم ذكور ، فوقف بين يديه وحيّاه بتحية الملك ، وقال : آيها العزيز أتعرفني ؟ قال : إني أشبهك برجل حملني إلى هنا . قال : أنا هو .

فقرّبه وسأله عن الفتية ، فقال : هم أولادي رزقهم يركة دعائك . فكساهم وكفاهم من الطعام ؛ وسأله : هل مرّ بارض كنعان ؟ قال : نعم وأنتم لفي جهد ، وقد رأيت الذين باعوك مني مقبلين عليك يريدون أن يبتاعوا .
ففرح يوسف .

١٠ ذكر دخول إخوة يوسف — عليه السلام — في المرة الأولى

قال : وأقبل إخوة يوسف فدخلوا مصر ليلا ، وأناخوا وراحلهم بباب قصر أخيم ، فأشرف عليهم وقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن أولاد يعقوب النبي ، قدمنا من أرض كنعان لنشتري القوت . فسكت ، وأمر بترين قصره ؛ وبات إخوته على الباب .
وأصبح يوسف بفلس على السرير ، وتزوج وتمنطق وتطوّق ؛ ثم امر بإخوته ؛ فدخلوا عليه — وهم عشرة ، وتأخر عنهم بنيامين عند أبيه — .

قال الله تعالى : ((وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ)) .
فسلموا عليه ، وحيّوه بتحية الملوك ؛ فردّ عليهم وقال لهم : إنكم أولاد يعقوب النبي ، فكيف لي بصدقكم ؟ فقال له روبيل : نحن نأتيك بأخيّن الذي عند أبينا يخبرك بمثل ما أخبرناك به .

فأمر بأخذ بضاعتهم ، وأن يكال لهم الطعام بقدر كفايتهم .

ثم قال لأصوانه : أَجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ . قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَنَّهُمْ بِمِجَالِحِهِمْ قَالَ أَتُسْأَلُنِي أَنْ أُخْبِرَ لَكُمْ مِنْ أَيْمِكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا يَكِلْ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَرَّادُودُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَنَقَامِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

فوضعت في رحل يهوذا ؛ ثم سار القوم حتى أتوا الى أرض كنعان ، فدخلوا على أبيهم ؛ فسألهم عن حالهم وما كان من أمرهم ؛ فقصحوا رحالهم ، فوجدوا بضاعتهم ردت إليهم ؛ فدخلوا على أبيهم وقالوا : يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا . فقال : إِنَّ هَذَا الطعام حرام عليكم إِلَّا أَنْ تَوَدُّوا ثَمَنَهُ .

فقالوا : كيف نرجع إليه وقد ضمتنا له أَنْ ثَابِتُهُ بَاخِنًا بِنَامِيهِ ؟

﴿ ٢٩ ﴾

ثم قالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم : ﴿ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ * قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْسَكْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَافْهَمْ خَيْرَ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

فقال له يهوذا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَغَيْرُ أَهْلِنَا وَنَحْفِظُ آخَنَانَا وَزَادَ كُلُّ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ بَسِيرٌ * قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ .

ودعا يعقوب بقميص يوسف الذي وردوا به عليه بالدم ، فالبسه بنيامين وودعهم وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لَهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ؛ ثم ساروا .

ذكر خبر دخولهم عليه في المرة الثانية

قال : فلما بلغوا مصر ودخلوا على يوسف قتر بهم ، ونظر إلى أخيه بنيامين وأدناه وأجلسه بين يديه .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ .

ثم قال له : أرى كل واحد من هؤلاء مع أخيه ، فما بالك منفردا ؟ فقال : أيها العزيز ، كان لي أخ ، ولا أدري ما أصابه ، غير أنه خرج مع هؤلاء الإخوة إلى الغنم ، فذكروا أن الذئب أكله ، وردوا قميصه هذا الذي عليّ وهو ملطخ بالدم .

فقال لم يوسف : يا أولاد يعقوب ، إن فيكم من يصبح بالأسد فيختر ميتا ومن يأخذ رجل الذئب فيشقه آتنين ، وفيكم من يقطع الشجرة من أصلها ، وفيكم من يمدو مع الفرس فيسبقه .

قالوا : نعم أيها العزيز . فقال : سوءة لكم ولقوتكم إذ يمدو الذئب على أخيكم فيأكله . فقالوا : إذا جاء القضاء ذهبت القوى .

فسكت يوسف ، ثم أمر لم بخمس موائد ، وأمر كل آتنين منهم أن يجلسا على مائدة ، ثم وضعت أخرى بين يدي بنيامين ، فبكى ؛ فقال له : ما يبكيك ؟ قال : أيها العزيز ، إخوتي يا بلون كل واحد مع أخيه ، وأنا وحدي ، ولو كان أخى يوسف باقيا أكل معي .

فقال يوسف : يا فتى ، أنا لك كالأخ . ثم نزل عن السرير وأكل معه .

فلما فرغوا من الأكل جعل يوسف يسألهم عن أرض كنعان وهم يخبرونه .

ثم خرج صبي من القصر يتتبعه ، فنظر إليه بنيامين وبكى ؛ فقال له يوسف : ثم بكيت ؟ قال : هذا الصبي يشبه أخى يوسف ، فبكيت لأجله .

فقال يوسف : هل فيكم من حزن على يوسف ؟ قالوا : نعم ، كلنا حزنا عليه
وبنيامين أشد منا حزنا .

ثم قال : فما الذي حلمت من البضاعة ؟ قالوا : لم نحلم شيئا ، لأنه لم يكن لنا
شيء ، غير أننا رددنا عليك البضاعة التي وجدناها في رحلتنا ، لأنها عن الطعام الذي
حملناه من عندك .

فأمر أن يُعطوا من الطعام ما تحمله إبلهم ، وأمر غلمانه أن يحملوا الصواع
في رحل بنيامين ، فكانوا يكيلون وإخوة يوسف يخيطون الأعدال ، حتى فرغوا .
ورحل إخوة يوسف وهم لا يشعرون بالصواع .

وقال النعلى : كانت السقاية مشربة يشرب فيها الملك ، وكانت كأسا من
ذهب مكدلة بالجواهر ، جعلها يوسف مكيلا يكال بها .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ
مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْمِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْنِهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ * قَالُوا فَقَدْ صَوَّاعَ
الْمَلِكِ وَلَمَنَ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ * قَالُوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنُفْسِدَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَا بَرَأؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا بَرَأؤُهُ مِنْ
وُجْدِ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ بَرَأؤُهُ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

فعند ذلك أمر يوسف أن تفتش رحلهم . قال الله تعالى ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ
قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الآية .

قال : فلما نظروا ذلك ضربوا بأيديهم على جباههم ، وقالوا : ثكلتك أمك
فضحنتا يا بنيامين . قال : إني لم أفعل ذلك . قالوا : من وضعه في رحلك ؟

قال : الذي جعل البضاعة في رحالكم . فسكتوا ، ثم قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأمروا يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أتم شرمكنا والله أعلم بما تصفون .

قال التلحي : وأختلف العلماء في السرقة التي وصف بها يوسف ، فقال سعيد وقناة : سرق يوسف صنما لجنه أبي أنه وكان من ذهب ، فكسره وألقاه في الطريق .

وقال ابن جريج : أمرته أمه — وكانت مسلمة — أن يسرق صنما لخاله كان يعبده .

وقال مجاهد : جاء سائل يوما ، فسرق يوسف بيضة من البيت .

وقال ابن عينة : دجاجة ، فتناولها السائل ، فعبّره .

وقال وهب : كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء .

وقال الضحاك وغيره : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء أن عمته بنت إسماعيل كانت أكبر ولد إسماعيل ، وكانت لها منطقة إسماعيل ، وكانوا يتوارثونها بالكبر ، وكانت راحيل أم يوسف قد ماتت ، فحضرته عمته وأحبته حباً شديداً فكانت لا تصبر عنه ، فلما ترعرع وبلغ سنات وقع حبه في قلب يعقوب ، فأتاها وقال : يا أختاه سلمى إلى يوسف ، فوافقه ما أصبر عنه ساعة واحدة . فقالت : ما أنا بتاركته .

فلما غلبها يعقوب قالت : فدعه عندي أياما أنظر إليه ، لعل ذلك يسليني عنه . ففعل ذلك يعقوب ، فلما خرج يعقوب من عندها عمدت إلى منطقة إسماعيل فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وهو صغير ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسماعيل .

فانظروا من أخذها . فالتفت فلم توجد ؛ فقالت : اكشفوا أهل البيت . فكشفوهم ، فوجدوها مع يوسف ؛ فقالت : والله إنه ليُسَلَّم لي أصنع فيه ما شئت — وكان ذلك حكم آل إبراهيم في السارق — فأتاها يعقوب ، فأخبرته بذلك ؛ فقال : إن كان فعل ذلك فهو يُسَلَّم إليك ، ما أستطيع غير ذلك .

- فأمسكته بعلّة المنطقه ، فا قدر يعقوب عليه حتى مات ، فهو الذى قال له
 ٥ إخوته : إن يَتَبَرَّقَ قَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ . قَالُوا يَا أَبَا الْعَرِيزِ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْعًا كَثِيرًا خَفَدَ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَفَاطِمُونَ * فَلَمَّا أَسْتَيْسُّوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا أَى يَتَنَاجَوْنَ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِى أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لى وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ *
 ١٠ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَاتَا إِنَّ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا لِلْقَيْبِ حَافِظِينَ .

قال : ثم تشاوروا فقالوا : إن هذا الملك وأهل مصر كفرة يبدون الأصنام فتعالوا نتظاهر عليهم .

- قال روبيل : أنا أكفيكم الملك وأعوانه .
 ١٥ وقال شمعون : أنا أكفيكم أمر العزيز وأعوانه .
 وقال يهوذا : أنا أكفيكم الأسواق .

- فعلم يوسف بذلك ، فأحضرهم وقال : يا بنى يعقوب ، ما الذى غرركم منى ؟ أحسنتُ إليكم مرة بعد مرة ، وتفضلت عليكم ، وجنى أخوكم جناية فتشاورتم في هلاك المدينة وأهلها ، أظنون أن هذه القوة لكم دون غيركم ؟ ثم ضرب برجله
 ٢٠

السُّدَّةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فَطْحُطَحَهَا وَكَسَرَ صَفَاحَ رِخَامِهَا ؛ ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنْكُمْ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ لَصَحَّتْ بِكُمْ صِيعَةٌ تَخْزُونَ عَلَى أَذْقَانِكُمْ .

قَالَ : وَكَانَ يَهُوذَا قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا ، وَكَانَ عَلَى كَتْفِهِ شَعْرَةٌ إِذَا غَضِبَ نَجَرَتْ مِنْ جَبْتِهِ فَيَقْطُرُ مِنْهَا الدَّمُ ، ثُمَّ يَصْبِغُ صِيعَةً فَلَا يَسْمَعُهَا أَحَدٌ إِلَّا سَقَطَ مَشْيًا عَلَيْهِ ، وَكَانَ لَا يَسْكُنُ غَضَبَهُ إِلَّا أَنْ يَمْسَهُ أَحَدٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ؛ فَدَمَا يُوسُفَ بِابْنِهِ مَنَسًا وَقَالَ : أَذْهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْكَهْلِ فَسَّهَ بِيَدِكَ ، وَتَنَحَّ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِكَ . فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَسَكَنَ غَضَبَهُ ؛ فَقَالَ يَهُوذَا لِإِخْوَتِهِ : مِنَ الَّذِي مَنَسَ مِنْكُمْ فَقَدْ سَكَنَ غَضَبِي . قَالُوا : لَمْ يَمْسَكَ غَيْرُ ذَاكَ الْعَبْدِ . فَقَالَ : وَاقِلَهُ لَقَدْ مَسَّتْنِي يَدُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ .

فَلَمَّا عَسَرَ عَلَيْهِمْ مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ ، عَزَمُوا عَلَى الْعُودِ إِلَى آبِهِمْ ، وَرَكَوْا رُوبِيلَ عِنْدَ بَنِيَامِينَ .

قَالَ : فَلَمَّا أَنْصَرَفُوا دَخَلَ يُوسُفُ إِلَى مَتْلَهْ وَأَحْضَرَ بَنِيَامِينَ ، وَقَالَ : أَعْرِفْنِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَنْتَ الْعَزِيزُ ، وَاللَّهِ مَا سَرَقْتُ ، فَلَا تَجْعَلْ عَلَيَّ ، فَإِنَّكَ مَوْصُوفٌ بِالْإِحْسَانِ . فَضَمَّهُ يُوسُفُ إِلَى صَدْرِهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَنَا أَخُوكَ يُوسُفَ . ثُمَّ كَسَاهُ وَسَالَهُ عَنْ أَبِيهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا يَقَاسِيهِ مِنْ أَجْلِهِ .

قَالَ : وَرَجِعْ لِأَخَوَةِ يُوسُفَ إِلَى آبِهِمْ فَذَكِّرُوا مَا كَانَ مِنْ خَبَرِ بَنِيَامِينَ ، وَأَنْ رُوبِيلَ أَقَامَ عِنْدَهُ .

قَالَ : وَكَيْفَ يَسْرِقُ وَلَدِي وَهُوَ مِنَ الذَّرِّيَةِ الطَّيِّبَةِ ؟ فَقَالُوا لَهُ : وَآسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَبْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَمُصَادِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّيْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبِرُوا جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ إِلَى قَوْلِهِ : مَا لَا تَعْلَمُونَ .

قال : وأخذ في البكاء حتى خجرج منه جيرانه ، فأوحى الله إليه : أن كف عن بكائك فإني سأرد عليك بصرك ، وأجمع بينك وبين ولدك . فسكن وهذا ، ثم قال لبنيه : احملوا كتابي إلى العزيز . ودعا بأبنته (دينه) وقال لها : اكتبني باسم الله إبراهيم ، من يعقوب إلى عزيز مصر ، إن الله أكرمني بولد كان أحب أولادي إلى وقد فقدته وبكى عليه حتى عمت ، وكنت آنس بأخيه بنيامين الذي حبسته عندك ؛ وعجبت من أمر الصواع ؛ فإن أولاد الأنبياء لا يفعلون ذلك ، وإياه مكذوب عليه ؛ فإذا أتاك كتابي هذا تفضل علي بولدي وردّه علي فإني أدعو الله أن يزيدك فضلا وكرامة .

وسلم الكتاب إليهم ، وقال : يَا بَنِيَّ انْعَبُوا فَتَحَسُّوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ الْآيَةِ .

ذكر خبر دخولهم عليه في الدفعة الثالثة

قال : وساروا حتى دخلوا مصر ، فاستقبلهم روبيل ودخل معهم ، فلما دخلوا عليه قالوا يَا أَبَا الْعَزِيزُ سَنَا وَأَهْلَنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعٍ مُزْجَجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَلِّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَمْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ؛ وناولوه الكتاب ؛ فقبله وقراه ، ثم قال لهم : لو كنتم حلم إلى هذا الكتاب قبل اليوم دفعته لكم ، ولكنني قد ألقيت حديثه إلى الملك ، وأنا أكله فيه .

ذكر خبر حديث الصاع

قال : ثم أمر يوسف بإحضار الصاع بين يديه وقال : اجتمعوا حتى أسأل هذا الصاع عنكم . ففقر الصاع فطلق ، فقال : يا بني يعقوب ، إن هذا الصاع يقول : إنكم تشهدون بالزور ؛ وإنكم كذبت في قولكم : إن الذئب أكل أحاكم .

قالوا : ما شهدنا بالزور قط ، وما قلنا في يوسف إلا الحق . فنقر الصاع وقال :
أندرون ما يقول ؟ إنه يقول : إنكم حسدتم أخاكم ، وأخرجتموه من عند أبيه
وأردتم قتله ، ثم ألقبتموه في الحب المظلم البعيد القعر . ثم تفرثا وقال : إنه
يقول ، ما كذبتك فيما أقول ، ولقد أخرجوا أخاهم من الحب فباعوه بعشرين درهما
عددا تنقص درهما ، وأوصوا مشتريه أن يقيده حتى يبلغ أرض مصر . فتغيرت
وجوه القوم ، وقالوا : ما نعرف شيئا من هذا . ثم نقره رابعا وقال : إنه يقول :
وكتبوا كتاب البيع بخط يهوذا . فقال : أيها العزيز ، إني لم أكتب شيئا وأنكره .
فقال : مكانكم حتى أعود إليكم . ودخل على زليخا وقال : هاتي تلك الصحيفة .
فأخرجتها له ، فأخرجها إلى يهوذا وقال : أتعرف خطك ؟ قال : نعم . فالتفتا إليه
فراها وهي خطه ، فقال : هي خطي ، «غير أنني لم أكتبه باختياري ، وإنما كتبه
على عبد أبي منّا» .

•

١٠

فغضب يوسف وقال : أستم زعمون أنكم من أولاد الأنبياء ، ثم تفعلوا مثل هذا .
ثم قال لأعوانه : انصبوا عشرة أشجار على باب المدينة حتى أضرب أعناق هؤلاء
وأصلبهم ، وأجعلهم حديثا لأهل مصر . فبكوا وقالوا : اقلنا كيف شئت ولا تصلبنا .
وأقبل بعضهم على بعض وقالوا : هذا جزاؤنا بما عاملنا به أخانا . فلما أقروا
كلهم بالذنب ، رضع التاج عن رأسه ، وقال : هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه
إذ أنتم جاهلون ، وكان في رأسه شامة مثلها في رأس يعقوب ؟ فلما نظروا إلى
الشامة عرفوها وقالوا : «إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَيْنَا إِلَى قَوْلِهِ : وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

١٥

(١) يلاحظ أن وجه القابضة غير ظاهر بين قوله : «لم أكتبه باختياري» وقوله : «وإنما كتبه
على عبد أبي منّا» .

٢٠

فعمد يوسف إلى قميصه ، وجعله في قفصة من فضة ؛ ودفعه إلى يهوذا وخلع عليهم وطيهم ، وقال : اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا وَأَشُوْنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ . فخرجوا ، وسبقهم يهوذا بالقميص . قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَ الْعَبْدُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ .

قال : لما فصلت العبد من أرض مصر حملت الريح رائحة القميص فشما يعقوب ، فقال ذلك . ومعنى (تفنّدون) ، أى تكذبون . فقال له أهله : — وقيل : بنو بنيه — تَأْتِيهِ إِنَّكَ لَتَنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ، معناه فى حبك القديم ليوسف .

فلما وصل يهوذا بالقميص ودخل على يعقوب ألقاه على وجهه وقال : ١٠ خذها بشارة . فماد بصره من ساعته ، ونثر ساجدا لله . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ الآية .

وجاء بنوه وقالوا : يا نبي الله ، نحن الذين غيبنا يوسف عنك ، ونحن الذين ١٥ تبنّاك بنجره وهو عزيز مصر . ثم قالوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

قال : وجاء جبريل بناقفة من نوق الجنة ، فاستوى عليها ، وخرج من أرض كنعان يريد مصر ومعه أولاده وأهله ، وهم ثمانية وسبعون إنسانا ، فلما لم يعقوب فما دخل أولاده مصر إلّا وقد غفر لهم ؛ وخرج يوسف للثقى أبيه ومعه خلق كثير فلما رآه يوسف ترجّل عن فرسه وأبرك يعقوب فاقسه ، واعتنقا وبكيا ، وقال يوسف : اَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ .

قال الله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ مُجْتَعِدًا) بنى الأب والخال ، (وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدَنِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) .

قال : وكان بين مفارقه ووقت الاجتماع أربع وثلاثون سنة .

وقال الحسن : كان بين خروج يوسف إلى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه .

وأقام يعقوب بمصر أربعين سنة . وقيل : أربعاً وعشرين سنة ؛ ثم أمره الله أن يرحل إلى أرض كنعان لأقتراب أجله ؛ فارتحل ومات هناك ، ودفن إلى جانب أبيه إسحاق .

وحكى التلمبي — رحمه الله — أن يعقوب مات بمصر ، وأوصى يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه إسحاق وجده إبراهيم ؛ ففعل ذلك ، ونقله في تابوت من ساج إلى البيت المقدس ، ونرج معه في عسكره وإخوته وعظماؤه أهل مصر ، ووافق ذلك اليوم وفاة عيصو ، فدفنا في يوم واحد ، وكان عمرهما جميعاً مائة سنة وسبعا وأربعين سنة ، لأنهما ولدا في بطن واحد ، وقبرا في قبر واحد .

ذكر دعوة يوسف — عليه السلام — وأرنحاله عن بلد الريان

قال : ثم أت يوسف — عليه السلام — دعا أهل مصر إلى الإيمان سرّاً وعلانية ، فأمن به كثير منهم ، وكسروا الأصنام ، وصارت الغلبة للسلبيين ؛ فاستدعاه ريان بن الوليد وقال له : أيها العزيز ، إن أهل مصر كانوا يحبونك وقد كرهوك بسبب أديانهم ، فإلك وأديانهم ؟ فقال يوسف : قد بلغني ذلك

وأنا رآد عليك ما خولتنيه ، ومتحول عنك وعن قومك بأهل ملتي ، فإني لا أحب أن أكون من عبدة الأوثان .

- ونخرج يوسف هو وأولاده وإخوته وقومه الذين آمنوا حتى نزل الموضع الذي استقبل أباه يعقوب عنده ؛ بجاءه جبريل ونحرق له نهرا من النيل إلى هناك ، وهو نهر الفيوم ، ولحق به كثير من الناس ، وآمنوا ، وأبقي مدينتين وسمّاهما بالحرمين • وكان لا يدخلهما أحد إلا يلقي يقول : « ليك يا مفضل إبراهيم بالنبوة ليك » • ولم يكن بأرض مصر أعمار منهم ، وسار يوسف في قومه سيرة الأنبياء حتى مات •

ذكر خبر وفاة يوسف — عليه السلام —

- قال : ولما أدركته الوفاة أوصى إلى ابنه (أفرايم) أن يسوس قومه بالواجب وأن يكون معاندا لأهل مصر الذين يعبدون الأوثان ، ويجاهدهم في الله حق جهاده ؛ ثم توفى ، وكانت زليخا قد ماتت قبله ، وما تزوج بعدها .

قال التلمبي : قال أهل التاريخ : عاش يوسف بعد يعقوب ثلاثا وعشرين سنة ، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة .

- قالوا : ودفن في بلده فعمّر الجانب الذي يليها وأخصب ، وقحط الجانب الآخر ، فشكا أهله إلى الملك ، فبعث إلى أفرايم أن ينقله فيدفنه في الجانب الآخر • وإن لم يفعل قاتله ؛ فدفنه هناك ، فخصب ذلك الجانب ، وقحط الآخر ، فكان يدفن سنة في هذا الجانب ، وسنة في الآخر ؛ ثم اجتمعت الآراء أن يدفن في وسط النهر ؛ ففعلوا ذلك ، فخصب الجانبان ببركته ، ولم يزل في نهر النيل حتى بعث الله موسى — عليه السلام — فأمره الله أن يحمل تابوت يوسف ؛ فأخبره ونقله إلى بيت المقدس ، فدفنه هناك ، وموضع قبره معروف .

الباب الخامس من القسم الثاني من الفن الخامس

في قصة أيوب — عليه السلام — وأبنتائه وعافيته

عن وهب بن منبه أنه لم يكن بعد يوسف نبي إلا أيوب، وهو أيوب بن أموص
ابن عيص بن إسحاق بن إبراهيم .

وكان أموص كثير المال والماشية، لم يكن في أرض الشام أغنى منه؛ فلما
مات صار ذلك جميعه لأيوب؛ وكان أيوب يومئذ ابن ثلاثين سنة، فأحب الزواج
فخطب رحمة بنت أفرايم بن يوسف؛ فترجها، وكانت أشبه الخلق بيوسف
وكانت كثيرة العبادة، فرزقه الله منها اثني عشر بطناً، في كل بطن ذكر وأنثى؛ ثم بعته
الله تعالى إلى قومه رسولا — وهم أهل حوران والبثينة — ورزقه الله حسن الخلق
والرفق، فشرع لقومه الشرائع، وبني المساجد، ووضع موائده للفقراء والأضياف؛
وأمر وكلامه ألا يمتنعوا أحداً من زراعته وثماره، فكان الطير والوحش وجميع الأنعام
تأكل من زرعه وبركة الله تزداد صباحاً ومساءً؛ وكانت كل مواشيه تميل في كل
سنة بتوهم .

وكان أيوب إذا أقبل الليل جمع من يلوذه في مسجده، ويصلون بصلاته
ويستجيبون بتسبيحه حتى يصبح، فحسده إبليس؛ وكان لا يمر شيء من ماله
وماشيته إلا رآه وهو مختوم بخاتم الشكر؛ وكان إذ ذاك يصعد إلى السموات
ويقف في أي مكان أحبّ منها، حتى رفع الله عيسى بن مريم، فحُجب عن أربع
سموات منها؛ حتى بعث الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، فحُجب عن جميعها
فصعد إبليس في زمن أيوب — عليه السلام — وقال: يارب إني طفت الأرض
ففتنت من أطاعني إلا عبادك منهم المخلصين . فنودي: يا ملعون، هل علمت

بعبدى أيوب ؟ وهل نلت منه مع طول عبادته ؟ وهل تستطيع أن تغيره عن عبادتي ؟ فقال إبليس : إلهي إنك ذكرته بالخير ، وقد نظرتُ في أمره فإذا هو عبد طافته بوافيتك ، ورزقته شكرك ، ولم تختبره بالبلاء ؛ فلو ابتليته بالمصائب لوجدته بخلاف ما هو عليه ، فلو سلطتني على ماله لرأيتَه كيف ينسلك .

- ٥ . فسَلطه الله على ماله ؛ فأَقْبَضَ وجمع الغفائير ، وأخبرهم أنه سَلَطَ على مال أيوب ، وحضهم على زرعهِ وأشجاره ومواشيه ، فأحرقوا الأشجار ، وصاحوا بالمواشي صيحة فماتت برعاتها .

- ١٠ . قيل : وكان له ألف فرس وألف رَمَكَة وألف بغل وبغلة ، وثلاثة آلاف بصير ، وألف وخمسمائة ناقة ، وألف ثور ، وألف بقرة ، وعشرة آلاف شاة وخمسمائة فدان ، وثلاثمائة أتان ، مع ما يتبع ذلك من التَّاج ؛ فهلك جميع ذلك ؛ ثم أقبل إبليس إلى أيوب في صورة راعٍ من رعاياه ، وخيَّل له أن طيه وبجَّ الحريق وقد أسودَّ وجهه ، وهو ينادى : يا أيوب ، أدركني فانا الناجي دون غيره ما رأيتُ قطُّ مثل هذا اليوم ، رأيتُ نارا أقبلت من السماء فأحرقَت أموالك ، وسمعت نداء من السماء : هذا جزاء من كان مراثيا في عمله يريد به الناس دون الله .
- ١٥ . وسمعتُ النار تقول : أنا نار الغضب . فأقبل أيوب على صلاته ، ولم يكثر به حتى فرغ منها ، وقال : يا هذا ، لقد كثرت على ، ليست الأموال لي ، بل هي لربي ففعل فيها ما يشاء . فقال إبليس : صدقت .

وماج الناس بعضهم في بعض ، وقالوا : هلا قبضها قبضا جميلا .

- فشقَّ ذلك على أيوب من قولهم ، ولم يحبهم ، خير أنه قال : الحمد لله على فضائه وقدره . وأنصرف إبليس عنه ، وصعد إلى السماء ، فنودى : يا ملعون
- ٢٠

كيف وجدت جدى أيوب وصبره على ذهاب أمواله؟ فقال إبليس: إلهي إنك قد منّته بالأولاد، فلو سلّطني عليهم لوجدته غير صابر. فنودى: يا ملعون اذهب فقد سلّطتك عليهم. فأقضّ إبليس على باب قصر أيوب الذي فيه أولاده فزلّله حتى سقط عليهم، وشدّخهم بالخشب، ومثّل بهم كلّ مُثْلَةً؛ فأوحى الله إلى الأرض: احفظي أولاد أيوب فأني بالغ فيهم مشيتي.

وأقبل إبليس إلى أيوب وقال له: لو رأيت قصورك كيف تهتمت، وأولادك وماحلّ بهم. ولم يزل يعدّ له ما حلّ بهم حتى أبكاه؛ ثم ندم على بكائه، فاستغفر وخرّ ساجداً وأقبل على إبليس وقال: يا ملعون، انصرف عني خائباً؛ فإن أولادى كانوا طارية عندى لله.

فانصرف وصعد إلى السماء، ووقف موقفه، فنودى: يا ملعون، كيف رأيت جدى أيوب واستغفاره عند بكائه؟ فقال: إلهي إنك قد منّته بغاية نفسه، وفيها عوض عن المال، فلو سلّطني على بدنه لكان لا يصبر. فنودى: يا ملعون اذهب فقد سلّطتك على جسده إلا عيذه ولسانه وقلبه وسمعه. فأقضّ إبليس عليه وهو في مسجده يتضرّع إلى الله ويشكره على جميع بلائه؛ فلما سمع إبليس ذلك منه أفاض، ولم يتركه يرفع رأسه من السجود حتى نفخ في منّخريه كالنار المتّية؛ فأسوّد وجهه، ومرت النخعة في سائر جسده؛ فتمعّط منها شعره، وتقرّح جميع بدنه، وورم في اليوم الثانی، وعظم في الثالث، وأسودّ في الرابع، وأمتلأ قبحاً في الخامس، ووقع فيه الدود في السادس، وسال منه الصديد في اليوم السابع ووقع فيه الحُكَاك، فجعل يحكّه حتى سقطت أظافيره؛ فحكّ بدنه بالخرق والمُسُوح والجمّارة، وكان إذا سقطت دودة من بدنه رماها إلى موضعها، ويقول: كلى إلى

فقال له رحمة : يا أيوب، ذهب المال والولد، وبدء الضر في الجسد .

فقال لها : يا رحمة ، إن الله أبلى الأنبياء من قبل فصبروا ، وإن الله وعد الصابرين خيرا ، ونحو ساجدا لله تعالى ، وقال : ألمى لو جعلت ثوب البلاء سرمدا وحرمتني العافية ، ومرتقني كل ممزق ، ما أزددت إلا شكرا ، ألمى لا تشمت بي عدوى إبليس .

ثم قال لرحمة : اقليني إلى موضع غير مسجدي ، فأني لا أحب أن يتلوث المسجد .

فأطلقت إلى قوم كان أيوب يحسن إليهم ، فالتفت منهم أن يمينوها على إخراجهم من المسجد ، فقالوا : إنه قد غضب عليه ربُّه بما كان فيه من الرياء ، فلبت كان بيننا وبينه بعد المشريقين . فرجعت رحمة واحتملته إلى الموضع الذي كان يضع فيه الموائد للناس بالقضاء .

ثم قال لها : يا رحمة ، إن الصدقة لا تحل علينا ، فأحتال في خدمة الناس . وبكى وبكت ، فكانت تخدم أهل البلد في سقى الماء وكس البيوت وإخراج الكسافات إلى المزابل ، وتكسب من ذلك ما تنفقه على أيوب ، فأقبل إبليس في صورة شيخ ، فوقف على أهل القرية وقال : كيف تطيب نفوسكم بمخالطة امرأة تعالج من زوجها هذا القبح والصدية وتدخل بيوتكم ، وتدخل يدها في طعامكم وشرا بكم ؟ ! فوقع ذلك في قلوبهم ومنعوا أن تدخل بيوتهم .

قال : وأشدت بأيوب البلاء ، وتتن حتى لم يقدر أحد من أهل القرية أن يستقر في بيته لشدة رائحته ، فاجتمعوا على أن يرسلوا عليه الكلاب لتأكله ، فأرسلوها فعلت حتى قربت منه وولت هاربة ولم ترجع إلى القرية .

ثم قال لرحمة : إنَّ القوم قد كرهوني ، فأحتال في قتل عنهم .

فتوجهت واتخذت له عريشا ، وأستعانت بمن يحمله ، فأعانها الله بأربعة من الملائكة ، حملوه بأطراف النعل إلى العريش ، وعزَّوه في مصيبتهم ودعَّوه له بالعافية ، واتخذت له رحمة في العريش رمادا ، فألقى نفسه عليه ، ثم توجهت في طلب القوت ، فرقعا أهل القرية ، وقالوا : إنَّ أيوب سيخط عليه ربه .

فأضدت إليه باكية ، وقالت : إنَّ أهل القرية غفلوا أبوابهم دوني . فقال : إن الله لا يُنليق أباه دوننا . فحملته إلى قرية أخرى ، وصممت له عريشا ودخلت القرية ، فقزبوا وأكروها ، وحلَّت في ذلك اليوم عشرة أقراس من خمسة بيوت ؛ ثم تمَّ أهل القرية رائحة أيوب بعد ذلك ، ففتوا رحمة أن تدخل إليهم ، وقالوا : نحن نواميك من طعامنا بشيء . فرضيت بذلك ؛ فبينما هي تتردد

إلى أيوب إذ عرض لها إبليس في صورة طيب وقال : إني أقبلت من أرض فلسطين لما سمعت خبر زوجك ، وقد جئت لأدأويه ، وأنا صائر إليه غدا فيجب أن تخبريه ، وقول له : يحتمل في عصفور أو طائر فيذبجه ولا يذكر اسم الله عليه ، ويأكله ويشرب عليه قلحا من نمر ، ففرجه في ذلك . بلخات رحمة إلى أيوب وأخبرته بذلك ، فتبين النصب على وجهه ، وأخبرها أنه إبليس

وحذَّرها أن تعود لمنزل ذلك ؛ ثم أقبلت بعد ذلك إلى أيوب بشيء من الطعام فرض لها إبليس في صورة رجل بهيٍّ على حمار ، فقال : كآني أعرفك ، أليس رحمة امرأة أيوب ؟ قالت : بلى . قال : إني أعرفكم وأتم أهل غناء ويسار فما الذي غير حالكم ؟ فذكرت ما أصاب أيوب من البلاء في المال والولد والنفس قال : وفي أي شيء أصابكم هذه المصائب ؟ قالت : لأنَّ الله أراد أن يعظم لنا الأجر على قدر بلائه .

قال إبليس : بئس ما قلت ، ولكن السماء لله والأرض لله ؛ فأتانا لله السماء فهو الله ، وأتانا لله الأرض فأتانا ، فأردتكم لنمسي فبسدتم لله السماء ولم تعبدوني ففعلت بكم ما فعلت ، وسلبتكم نعمكم ، وكل ذلك عندي ، فأتبعني حتى تنظروا إلى ذلك ، فإنه عندي في وادي كذا وكذا .

فلما سمعت (رحمة) ذلك منه عجبت ، وأتبعته غير بعيد حتى وقفها على ذلك الوادي ، وسحر عينها حتى رأت ما كانت قد دته من أموالهم . فقال : أنا صادق أم لا ؟ فقالت : لا أدري حتى أرجع إلى أيوب . فرجعت وأخبرته بذلك ، فأنام وانكر طيبا وغضب ؛ فسأله أن يبقو عنها ولا تعود ؛ فقال : قد نيتك مرة وهذه أخرى ، وأقسم إن عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة على كلامها لإبليس .

قال : ولبت أيوب في بلائه ثماني عشرة سنة حتى لم يبق إلا عيناه تدوران في رأسه ، ولسانه ينطق به ، وقلبه على حاله ، وأذناه يسمع بهما .

قال : وعجزت (رحمة) في بعض الأيام عن تحصيل القوت ، وطاقات القرية حتى أتت إلى امرأة عجوز فشكت لها ذلك ؛ فقالت العجوز : يا رحمة ، قد زوجت أيتي ، فهل لك أن تعطيني صغيرين من صفائك لأزين بهما أيتي ، وأعطيك رغيفين . فاجابتها رحمة إلى ذلك ، وأخذت الرغيفين ، وجاءت بهما إلى أيوب ؛ فانكرهما أيوب وقال : من أين لك هذين ؟ فأخبرته بالقصة ؛ فصاح أيوب وقال ما أخبر الله تعالى : (أَيْ مَسِيَّ الْأَرْضِ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

فأوحى الله إليه : يا أيوب ، قد سمعت كلامك ، وسأجزيك على قدر صبرك ؛ وأما رحمة فلا أرضيها بالجنة .

ذكر كشف البلاء عن أيوب — عليه السلام —

قال : فلما كان يوم الجمعة عند زوال الشمس ، هبط عليه جبريل فسلم عليه فردّ عليه وقال : من أنت ؟ قال : أنا جبريل ؛ وبشره بالشفاء ، وأن الله قد وهب له أهله وماله وولده ومثلهم معهم لتكون آية ، فبكى أيوب من شدة الفرح وقال :

الحمد لله الذي لم يشمت بي عدوّى إبليس . فقال له جبريل : قم يا أيوب . فلم يستطع ؛ فاخذ بيده وقال : قم بإذن الله . فقام على قدميه ، فقال له جبريل :

أركض برجلك هذه الأرض . فركضها ، فنبعت عين من الماء تحت قدميه أشدّ بياضا من الثلج وأحلى من العسل وأذكى من المسك ؛ فشرب منه شربة فسقط

ما فى بدنه من الدود ، ثم أمره جبريل فأغتسل من تلك العين ، فخرج ووجهه كالقمر وعاد إليه حسنه وجماله ؛ ثم ناوله جبريل خلعين ، فأترز بواحدة وأرتدى بالآخرى ؛

وناوله نعلين من الذهب شراكهما من الياقوت ؛ وناوله سفرجلة من الجنة ؛ ثم قام إلى الصلاة ، فأقبلت رحمة وقد طردها الناس من كل الأبواب ؛ فلما صارت إلى

ذلك المكان رآته وقد تغيّر ، فظننت أنها قد أخطأت الطريق ؛ فقالت : أيها المصلّى كئسى . فلم يكلمها ، وثبت فى صلاته ؛ فقال له جبريل : كلمها . فقال :

ما حاجتك ؟ قالت : هل عندك علم بأيوب المبتلى فأنى خلّفته هاهنا ولست أراه . فتبسّم أيوب وقال : إن رأيته عرفته ؟ فقالت : والله إنك لأشبهه الناس به

قبل بلائه . فضحك وقال : أنا أيوب . فبادرت إليه وأحسنته ، وبشرهما جبريل بأولادهما وما فقدها من الأموال وغيرها ومثلهم معهم ، وأمطر الله عليهم جرادا من

ذهب ؛ وكان له بيدران ، فأرسل الله محابتين قافرتا فى أحدهما ذهباً وفى الآخر فضة حتى فاض أحدهما على الآخر .

قيل : إنه كان له بعد العافية أربعة آلاف وكيل ، رزق كل واحد في الشهر مائة مثقال من الذهب ، وبين يديه أشا عشر من البين ، ومظهرهم من البنات وملكه الله جميع بلاد الشام ، وأعطاه مثل عمره الذي عمره في الماضي .

فلما أدركته الوفاة أوصى أولاده أن يحرقوه في ماله كما كان يفعل مع الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ؛ ثم مات ، وتوفيت امرأته قبله .

وقيل : بعده بقليل ؛ فدفن إلى جانب العين التي أذهب الله بلاءه فيها .

قال الثعلبي - رحمه الله تعالى - : وكانت مدة ابتلائه ثمان عشرة سنة .

الباب السادس من القسم الثاني من الفن الخامس في خبر (ذى الكفل)

١٠ - اختلف العلماء في (ذى الكفل) من هو ؟ فقال الكسائي : هو ابن أيوب - عليهما السلام - وذكر قصته فقال :

لما قبض الله - عز وجل - أيوب عليه السلام مارأبته حوميل - وهو أكبر أولاده - في الناس سيرة أبيه ، حتى خرج عليهم ملك من ملوك الشام يقال له : لام بن دطام ، فطلب على بلاد الشام ، وبعث إلى حوميل يقول : إنكم ضيقتم علينا بلاد الشام ، وأريد منكم نصف أموالكم وتزوجوني أختكم حتى أقركم على ما أتم عليه ، وإلا سرت إليكم بخيل ورجل وجعلتكم غنيمة .

فأرسل إليه حوميل يقول : إن هذه الأموال التي في أيدينا ليس لأحد فيها حق إلا الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ؛ وأما أختنا فأتك من غير ديننا ، فلا تزوجها لك ؛ وأما تخويفك لنا بخيلك ورجلك ، فنحن نتوكل على الله ربنا ، وهو حسبنا .

بجمع الملك جنوده وقصدهم ، فالتقوا وأقتلوا قتالا شديدا ، فكانت الكسرة على أولاد أيوب ، وأسير بشير بن أيوب وجماعة معه ؛ وأقلب حوميل بنفسه وجمع مالا عظيما ليحملة إلى الملك ويخلص أخاه منه ؛ فبينما هو في ذلك إذ أتاه آت في منامه فقال : لا تحمل هذا المال ، ولا تخف على أخيك ، فإن هذا الملك يؤمن ، وتكون عاقبة أمره خيرا .

❦

فلما أصبح قص رؤياه على إخوته ، ففرحوا ؛ فبلغ الملك توقيفه في حمل المال فأرسل إليه يقول : احمل ما تكفل به أخاك من المال وإلا أحرقتك بالنار . فبث إليه : إني قد أضرت ألا أحمل لك شيئا ، فأصنع ما أنت صانع . فنضب الملك وأمر أن يجمع الأحطاب ؛ فجمعت وألقي فيها النار والنقط ، وأمر بشير فألقي فيها فلم تحرقه ؛ فعجب الملك من ذلك ، وآمن بالله ، واختلط بعضهم ببعض ، وزوجوه أختهم ، وسمى بشير ذا الكفل ، وأرسله الله إلى الشام ؛ وكان الملك يقاتل بين يديه الكفار ، فلم يزل كذلك حتى مات أولاد أيوب ؛ ثم مات الملك وغلِبَ الهالقة على الشام ، إلى أن بعث الله - عز وجل - شعبيا رسولا .

١٠

وحكى الثعلبي في تفسيره وقصصه في قصة ذي الكفل غير ما تقدم ، وساق القصة تلوقصة اليسع ، فقال : قال مجاهد : لما كبر اليسع قال : لو أني استخلفت رجلا على الناس فعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل . فجمع الناس وقال : من يتكفل لي بثلاثة استخلفه : يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب .

١٥

فقام رجل شاب تزديه العين قال : أنا . فردّه ذلك اليوم ؛ وقال مثل ذلك في اليوم الآخر ؛ فسكت الناس ، وقام ذلك الرجل فقال : أنا . فاستخلفه ؛ فحمل إبليس يقول للشياطين : عليكم بغلان . فأعيامهم ؛ فقال : دعوني وإياه . فبغاه

٢٠

- في صورة شيخ فقير حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليل إلا تلك النومة؛
فدق الباب؛ فقال: من هذا؟ فقال: شيخ مظلوم. ففتح الباب، بفعل يقص
عليه قصته، فقال: إن بني وبين قوم خصومة، وإنهم ظلموني وفعلوا وفعلوا
وفعلوا؛ وجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة؛ فقال له: إذا رحمتُ
فأتني قد أخذ بحمقك. فأنطلق وراح، فكان في مجلسه، فجعل ينظر هل يرى الشيخ؟
فلم يره؛ فلما رجع وأخذ مضجعه أتاه ودق الباب، فقال: من هذا؟ قال: أنا
الشيخ المظلوم. فقال: ألم أقل لك: إذا قعدتُ فأتني. قال: إنهم أخبث قوم
إذا عرفوا أنك قاعد قالوا: نحن نطعك ونطيعك حقك، وإذا قتتُ بمحمدوني.

- قال: فأنطلق، فإذا رحمتُ فأتني، ففانته القائلة، فراح بفعل ينظر فلا يراه
وشق عليه الناس، فقال لبعض أهله: لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام.
فأتني قد شق علي الناس. فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل، فنظر
فراى كوة في البيت، ففسورها فإذا هو في البيت، وإذا هو يدق الباب من داخل؛
فاستيقظ ذو الكفل، وقال: يا فلان، ألم أمرك ألا تأذن لأحد علي؟ فقال:
أما من قبلي فما أتيت، فأنظر من أين أتيت.

- فقام إلى الباب فإذا هو معلق والرجل معه في البيت، فقال له: أشتام والخصوم
ببابك؟ فقال: فعلتها يا عدو الله. قال: نعم، أعيتني في كل شيء فعلت ما ترى
لأغضبك، فعصمتك الله مني، فسمي ذا الكفل، لأنه متكفل بأمر فوق به.

وروى التلميح أيضا بسند رفعه إلى ابن عمر - رضي الله عنهما - قال:

سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحدث حديثا لو لم أسمعته إلا مرة
أو مرتين لم أحدث به، سمعته منه أكثر من سبع مرات.

قال : كان في بني إسرائيل رجل يقال له : ذو الكفل ، لا يترع عن فنيبه عمله ، فأتبع امرأة فاعطاهما ستين ديناراً على أن تعطيه نفسها ؛ فلما قد منها مقدم الرجل من المرأة أرعبت وبكت ؛ فقال : ما يبكيك ؟ قالت : من هذا البهل بما عملته قط . قال : أكرهتك ؟ قالت : لا ، ولكن حلتني عليه الحاجة . قال : اذهبي فهي لك . ثم قال : والله لا أعمى الله أبدا . فأت من ليلته . فقيل : مات ذو الكفل ، فوجدوا على باب داره مكتوباً : إن الله قد عقر إني الكفل . وقال أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - إن ذا الكفل لم يكن نبياً ولكنه كان عبداً صالحاً ، تكفل بعمل رجل صالح عند موته ، فكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة ، فأحسن الله - عز وجل - عليه الثناء .

وقيل : كان رجلاً عفيفاً ، تكفل بشان رجل وقع في بلاء ، فأنجاه الله تعالى .
وقيل : ذو الكفل ، هو إلياس النبي عليه السلام .
وقيل : هو زكريا النبي عليه السلام ؛ والله تعالى أعلم .

الباب السابع من القسم الثاني من الفن الخامس

في خبر شعيب النبي عليه السلام

هو شعيب بن صغون بن عفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم عليه السلام .

(١٧)

قال : وعاش مدين عمراً طويلاً ، وكان قد تزوج امرأة من العاقبة فولدت له أربعة بنين ، ونسواوا فكثر صدهم في حياة مدين ، فلما رأى كثرة عقبه جمعهم وأشاور عليهم أن يتنوا مدينة ويحصنوها من العاقبة ؛ ففعلوا ذلك ، وجعلوا أبوابها من الحديد ، وسموها مدين بآسم أبيهم ، وجعلوها محالاً لقبائلهم ، فرغبت العاقبة

في مجاورتهم ، وأمتلأت المدينة من العالقة ومن أهلها حتى ضاقت بهم ، فخرجت العالقة من مدين وزلوا بالأيكة ، — وكانت غِيضَةً عن عَيْن مدين — فبنوا هناك الدُّور لأنفسهم ، واختلطوا بأهل مدين ، وكان أهل مدين يبدون الله ، وأصحاب الأيكة يبدون الأصنام ، ولا يدنو بعضهم على بعض ؛ وكان صنعون والد شعيب من العباد والعلماء بمدين ، وتحنه امرأة من العالقة ، فولدت له شعيباً في نهاية الجمال ؛ فلما كبر أعطاه الله فهما وعلما ؛ وكان قليل الكلام دائم الفكر ؛ وكان أبوه إذا تأمل ضعفه ونحافته يقول : اللهم إنك كثرت الشعوب والقبائل في أرض مدين ، فبارك لي في شعبي هذا . يعني ولده . فرأى في مثله أن الله تعالى قد بارك لك في شعبي هذا ، وقد جعله نبيا إلى أهل مدين . فسعى شعيباً لملك .

١٠ وتوفى والده فقام شعيب مقامه ، وبرز بالزهد على أهل زمانه ، وأشتهر بالعبادة .

قال : وكان ملك الأيكة — وأسمه أبو جاد — قد أخذ لقومه أصناما ، وهي ثلاثون صنما ، عشرة من الذهب حلالها بالجوهر خاصة به وبأولاده ، والبقية من الفضة والنحاس والحجارة والحديد والخشب لبقية الناس .

قال كعب في تفسير (أيجد) : إنها أسماء ملوك مدين .

١١ وقيل : بل ملوك الأيكة ، وهم أبو جاد وهوز وحطى وكلبن وسعفص وقرشت .

قال : وكان أهل مدين أصحاب تجارات يشترون الحنطة والشعير وبيعهما من الحبوب ، ويحبون ذلك من سائر البلدان يترقبون به الغلاء ، وهم أول من ترصص ؛ وكان لهم ميكالان : وافي يكالون به لأنفسهم عند الشراء ، وناقص يكون به للإعطاء ، وكذلك في وزنهم ؛ فكانوا على ذلك وشعيب بين أظهرهم وهو لا يخاطبهم ، وله غنم ورنثا من أبيه يأكل من مناقمها ، وهو عظيم المحل عندهم .

٢٠

فبينما هو ذات يوم على باب منزله مشغل بالذكر ، إذ جاءه رجل غريب فقال : إن هؤلاء القوم يظلمون الناس ، وإنى أشرت منهم مائة مكيال بمائة دينار وقبضوا الثمن وزيادة ، والذي كآله منهم قصّ عشرين مكيالا . فقال له شعيب : ارجع إليهم فاعلمهم قد غلطوا عليك . قال : قد راجعهم فضربوني وسبوني ، وقالوا : هذه سنتنا في بلدنا . وآتمس الرجل من شعيب أن يساعده عليهم ، فخرج شعيب معه حتى صار إلى سوقهم ، وسألم عن قصته فلم ينكروها ، وقالوا : ألم تعلم يا شعيب أن هذه سنة آبائنا في بلدنا ؟ قال ليس هذا من السنة . فعلمهم ، فلم يرجعوا إلى قوله وضربوا الرجل حتى أدموه ، وأنصرف شعيب إلى منزله .

ذكر مبعث شعيب — عليه السلام —

قال : فأنه جبريل في الحال ، وأخبره أن الله قد بعثه رسولا إلى أهل مدين وأصحاب الأيكة وغيرهم ممن يبدون الأصنام ، وأمره أن يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته ، وآلا يخسوا الناس أشياءهم .

قال : وأقبل شعيب إلى أهل مدين وقال لهم ما أخبر الله تعالى به في كتابه : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّقُوا الْمَكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بَخِيلٌ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ • وَيَا قَوْمِ اتَّقُوا الْمَكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَلْقَيْتُ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَمْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ يَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرَ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ • ﴾

فلما سمعوا ذلك منه أجابوه بما أخبر الله به عنهم : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأُنُفُسُ فِئَاتِنَا مَا تَنَاصَاهُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ • قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ يَدَيْنِهِ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ

مَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ .

ثم أنصرف عنهم ، وعاد إليهم من الغد وقد اجتمعوا مع ملكهم أبي جاد ؛
فوقف عليهم ونهاهم عن عبادة الأصنام وبخس المِيزان ؛ فقالوا له :
(يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِتْنًا ضَعِيفًا وَلَا رَهْطًا لِرَبِّكَ)
وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ
ظَهْرًا وَإِنِّي لَأَبْلُغُ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ خَبْرًا .

فاستزرا القوم به ، فقال : وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ
تَعْلَمُونَ مِنْ بَأْسِهِ عَذَابٌ يُحْزِنُهُ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ .

فكف به سفاه قومه ، كما أخبر الله عنهم : (كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ *
إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تُتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا *
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا
مِنَ الْمُخْلِفِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولَى *)
قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَئِنْ الْكَافِرِينَ *
فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ .

ثم قال له الملك : قد بلغت رسالتك بزعمك ، وقد سمعتها وأيتها ، فلا تعد
إليها فترى ما لا طاقة لك به . فقال : أنا رسول الله إليكم ، وإني أعود أذوكم حتى
ترجعوا إلى طاعة الله . فغضب الملك ، وأنصرف عنهم شعيب ؛ وآمن به رجل من
وزراء الملك ، وأستكتمه إيمانه ، فكتمه شعيب ؛ ثم عاد من الغد وقد يخرج الملك

ومن معه إلى سوقهم ، وأخرجوا أصنامهم ونصبوها ؛ وأمر الملك في أهل مدين والأيكّة : من سجد لأصنامنا فهو ميتا ، ومن أبى عذّبناه عذابا شديدا . فسجد القوم بأجمعهم للأصنام ؛ فتأداهم شعيب : إن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع ، فتركوا عبادتها . وحذرهم عذاب الله . فقالوا : إنك تدعونا بغير حجة ، فهل لك حجة على دعواك النبوة ؟ قال لهم شعيب : إن نطق هذه الأصنام بصدق مقالتي أتؤمنون ؟

قالوا : نعم . ورضى الملك بذلك ؛ فتقدم شعيب إلى الأصنام وقال لها : أيتها الأصنام ، من ربك ؟ ومن أنا ؟ تكلمي بإذن الله . فنطقت بإذن الله وقالت : ربنا الله وخالفنا وخالف كل شيء ، وأنت رسول الله ونبيّه . وتكلمت عن كراميتها ولم يبق منها صنم صحيح ؛ وأرسل الله على قوم شعيب ريحا كادت تنسفهم نسفا فأسرع الملك ومن معه إلى منازلهم ، وآمن بشعيب خلق كثير ؛ ثم أصبح الملك ومن معه يخرجوا إلى سوقهم ، ونصبوا ما كان قد بقي عندهم من الأصنام ، وأمرهم بالسجود لها ؛ فأتاهم شعيب ونهاهم وحذرهم فلم يرجعوا إليه ، وأمر الملك أصحابه أن يفعلوا لشعيب ولئن معه كل مرصد ، ويؤذوهم أشد الأذى ؛ ثم قال الملك وقومه : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُولُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبَّنَا اقْضِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ .

قال : وإذا بريخ قد هاجت عليهم فيها من الحز والكره ما لا طاقة لهم به حتى رموا أنفسهم في الآبار والبراديب ، واشتد الحز ودام عليهم مدة وهم لا يزدادون إلا عتوا وتمزدا ، وشعيب يدعوهم ويحذرهم العذاب ؛ فيقولون : لستنا نرى من عذاب ربك إلا هذا الحز ، ونحن نصبر عليه .

وأقاموا كذلك أعواما كثيرة وهم لا يؤمنون ؛ فأرسل الله عليهم الذباب الأزرق ، فكان يلدغهم كالعقارب ، وربما قتل أولادهم ؛ ثم تضاعف الحز عليهم

فَحَوَّلُوا مِنْ مَدِينٍ إِلَى الْأَيْكَةِ ، فَتَضَاعَفَ الْحَزْرُ عَلَيْهِمْ ، وَتَقَلَّوْا مِنَ الْأَوْدِيَةِ إِلَى الْفِيضِ وَالْحَزْرُ يَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى أَسْوَدَتْ وَجُوهُهُمْ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ شُعَيْبٌ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ ؛ فَادَّعَاهُ : يَا شُعَيْبُ ، إِنْ كَانَ مَا نَقَّاهُ لَكُفْرًا بِكَ وَبِرَبِّكَ فَزِدْنَا مِنْهُ فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَهْلِكُهُمْ ، فَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ .

ذِكْرُ خَيْرِ الظُّلَّةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

قَالَ : وَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدِ يَوْمِ مَقَاتِلِهِمْ مَا قَالُوهُ لِشُعَيْبٍ وَهُوَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ وَإِذَا بِسُحَابَةٍ سَوْدَاءٍ قَدْ أَرْتَفَعَتْ فَأُظْلِمَتْهَا فَاجْتَمَعُوا تَحْتَهَا يَسْتَظِلُّونَ بِهَا مِنَ الْحَزْرِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْصُرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَشْتَدَّ الْحَزْرُ ؛ ثُمَّ دَمَتْ بُوْهُجَهَا وَحَرَّمَا حَتَّى انْضَجَّتْ أَجْبَادُهُمْ وَأَحْرَقَتْهُمْ وَجَمِيعَ مَا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَشُعَيْبُ وَالْمُؤْمِنُونَ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا تَزِلُّ بِهِمْ ، وَيَتَأْتِلُونَ مِصْرَاعَهُمْ ، وَلَمْ يَنْلَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَكْرَهُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ بِمَعْنَى صَيْحَةِ جِبْرِيلَ ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ *

كَانَ لَمْ يَفْتَنُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَدَتْ ثَمُودُ ﴾ ثُمَّ أَقْبَلَ شُعَيْبُ وَالْمُؤْمِنُونَ يَنْظُرُونَ إِلَى مِصْرَاعِ الْقَوْمِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ مَعْنَاهَا ، كَيْفَ أَحْزَنَ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ قَسَمَ شُعَيْبُ أَمْوَالَ الْكُفَرَاءِ عَلَى قَوْمِهِ ، وَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ مِنْ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَزَقَهُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَلَمْ يَزَلْ بِأَرْضِ مَدِينٍ حَتَّى كَفَّ بِصَرِهِ ، وَجَاءَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ — عَلَى مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى — .



القسم الثالث من الفن الخامس

يشتمل على قصة موسى بن عمران عليه السلام وخبره مع فرعون ؛
 وخبر يوشع بن نون وإلياس واليسع وغيل واشمويل وداود وطلوت
 وجالوت وسليمان بن داود ويونس بن متى وجرجيس وبلوقيا وزكريا
 وعمران ومريم وعيسى ، عليهم السلام ، وأخبار الخواريين ؛
 وفيه ستة أبواب ؛ والله أعلم بالصواب

الباب الأول من القسم الثالث من الفن الخامس

في قصة موسى بن عمران وهارون — عليهما السلام — وخبر فرعون وإبتداء
 أمره وغرقه ، وأخبار بني إسرائيل ، وخبر قارون ، وخروج موسى عليه السلام .
 ولنبداً بخبر فرعون وإبتداء أمره ، وكيف توصل إلى الملك ، ثم نذكر قصة
 موسى عليه السلام معه ، ليكون الكلام في ذلك على سياقه .

فأما فرعون ، فهو الوليد بن مصعب .

قال وهب : كان مصعب بن ^(١)نسيم بمصر يرعى البقر لقومه ، وله امرأة يقال
 لها : راعونة ، وهما من العالقة ؛ فأتت عليه مائة وسبعون سنة لم يرزق ولداً ، فبينما
 هو في بركة مصر إذا ببقرة قد ولدت عجلاً ؛ فتأوه وحسد البقرة ؛ فنادته : يا مصعب
 لا تمجل ، فسيولد لك ولد مشوم يكون من أهل جهنم . فرجع وذكر ذلك
 لأمراءه ، وواقعها فحملت بفرعون ، ومات أبوه قبل ولادتها ؛ ثم ولده أمته وسمته
 الوليد ، وأخذت في إرضاعه وتربيته حتى كبر ، فأسلمته إلى التجارين ؛ فأتقن
 صناعة التجارة ؛ ثم ولع بالفار ، فعاتبته أمته ؛ فقال : كفى عني فأنا عون نفسي .

(١) كذا ورد هذا الاسم مضبوطاً بضم النون وفتح السين في « ب » المنسوب خطها إلى المؤلف .

فلزمه هذا اللقب ، فكان يُعرف بعون نفسه ، فقامر في بعض الأيام ، فقمروه في قبضه ، وبق في خلق لا يستره ؛ فاستحيا من الناس أن يروه كذلك ؛ فهرب حتى صار إلى قرية من قرى مصر ؛ فعرض نفسه على بقال ، فغدمه ، وكان يضرب المشتريين ويؤذيهم حتى نفروا من البقال ؛ فطردوه فعاد إلى مصر ؛ وكانوا يقولون : (قَرَّ عَوْن) .

قال : ورجع إليها وهو لا يملك إلا درهما واحدا ، فاشتري به بقالا وبطيخا وقعد يبيعه ، فجاءه عريف الطريق وطالبه بحق الطريق ؛ قال : وما هو ؟ قال : درهم . فتلاحيا ؛ فترك فرعون رحله ومضى ، وجعل يسرق وينقب ، فهرب مرة ويؤخذ أخرى .

- ١٠ فاتفق أن رجلا من العالقة جمع به فرسه فحجز عن ضبطه ، فوثب فرعون إلى الفرس وضبطه بلجامه ؛ فقال له العمليقي : أراك جلدا قويا . فأتخذه سائسا ؛ فجعل يخدمه حتى مات الرجل وليس له وارث ؛ فاحتوى فرعون على جميع ماله وحمله إلى أمه ، وأكل ذلك المال حتى فنى ، وضاق به الأمر ، فوقع في قلبه أن يجلس على باب مقابر مصر ويطلب أرباب الجنائز بشيء ، ويظهر أنه بإذن الملك ؛ ففعل ذلك مدة حتى أجمع له مال عظيم ؛ وأتخذ له أعوانا وحفدا^(١) يعينونه على ذلك ؛ وكان
- ١٥ الملك بعد أن أهلك الله الريان بن الوليد ثنوارته الفراعة ؛ واستقر في منجأ بن الوليد ، وكان مكرما لبني إسرائيل ، وكانوا يعبدون الله علانية ويتلون الصحف جهرا .
- قال : فماتت أبنسة لالك ؛ فحملت إلى المقبرة ، فتعلق بها أعوان فرعون على العادة لأخذ القطيعة ؛ فاتصل الخبر بالملك ؛ فأمر بإحضاره وأراد قتله ؛ فقص

عليه قصته، وفدى نفسه بما جمعه من المال، فمظم عند الملك وأقره على عمله؛
فقرر فرعون عند ذلك على جناز الملوك ألف درهم، وعلى جناز الوزراء سبعمائة.
والقواد جسمائة، ثم إلى المائة، إلى الخمسين، إلى عشرة، إلى ثلاثة؛ فأجتمع
الناس إلى الملك. وجرؤوا رآيه عن هذه الحالة وقبحوها عليه؛ فصرفه الملك عنها
وإبطها؛ وحل إليه فرعون أموالاً جمّة، وقال له: أيها الملك، إن جدى كان على
جرحى أبيك، فأجعل ذلك إلى... فؤاده الحرس وأمره أن يشدد فيه، ويقتل كل
من لقيه بالليل كائناً من كان؛ وجعل الملك معه عتة من الرجال والأعوان؛ فخرج
فرعون واتخذ لنفسه قبة في وسط البلد، وكان يوجه أعوانه، فمن أتوه به في الليل
أمر بقتله؛ فتقدم عند الملك بذلك، لأنه أخاف أعداء الملك، وأمن الملك جانبيه
بسيده، وخافه الناس، وجعل لنفسه حاجباً، وتقدت كلمته.

ذكر خبر قتل الملك وأسبلاء فرعون على ملكه وما كان من أمره

قال: وأعفق مرض بعض وزراء الملك — وكان الملك يأنس إليه ويقتدى
برأيه — فأحب أن يزوره بالليل؛ فخرج متفرداً وليس معه أحد من خدمه؛ فأخذه
أعوان فرعون وأتوه به وهو يقول: ويلكم، أنا الملك استجاب، وهم يظنون أنه
يقتلهم بذلك. حتى أتوا به إلى فرعون، فأمر بقتله، فقتل؛ وبأمر فرعون بمن
منعه، وكان فيهم كفرة — ودخل القصر، وكان لا يمنع منه؛ فأستوى على سرير
الملك ووضع التاج على رأسه، وفتح الخزائن، وأحضر الوزراء ووزق فيهم الأموال
فرضوا به، وصاروا أولياء له.

قال: وأما إلياس ومحمد بن يديه، وسماء إلها ورباً؛ ثم مجدله هانئ —
وكان غلاماً لاستجاب — ومحمد الوزراء والملوك والأعوان وغيرهم؛ وبنيت

إلى أسباط بنى إسرائيل، فقدمهم إلى الطاعة والسجود له ؛ فسجدوا وقصدوا
بالسجود الله تعالى .

ثم أقبل فرعون بعد ذلك على إبليس وقال : أيها الشيخ ، إنك كنت مباركاً
وأنت أزل من سجد لي ، ثم جرى القوم بعنك على سقك ، فمن أنت ؟ قال : أنا رجل
من أهل مصر أشير على الملوك بمصالحهم . ثم قال لفرعون : اتخذ لقومك أصناماً
وأحلمهم على عبادتها ، واتخذ لك صنماً أفرد به أنت ، وأجعل له إلهاً ورباً . فوافقه
فرعون على ذلك ، واتخذ له ثوراً من ذهب يعبده ، وأمر الناس بعبادة الأصنام ؛
فعبدوها ؛ فكان فرعون يعبد الثور ، والقبط يعبدون الأصنام ، وبنو إسرائيل
يعبدون الله ؛ فبلغه ذلك ، فأحضر عبّادهم وقال : قد بلغني أنكم مطيعون لي
في الظاهر ، مخالفون لي في الباطن ، فاسجدوا لي . فأبوا ذلك ، وكان فيهم جماعة من
أولاد يوسف ويهوذا ، فقتلهم ، ثم قتل خلقاً كثيراً ، وتبعه الباقون وأسروا الإيمان ؛
ثم إن فرعون استعبد الناس ووضع عليهم الخراج الكثير ، وشقّ عليهم في الأعمال .
هذا ما حكاه الكسائي - رحمه الله - في خبر فرعون وأبتداء أمره وسبب ملكه .

وحكى أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله - في كتابه المترجم (بيواقيت البيان

- في قصص القرآن) : أن فرعون موسى هو أبو العباس الوليد بن مصعب بن الريان
ابن أراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه
السلام ، ونكّاه هذه الكنية .

قال : وملك بعد أخيه قابوس بن مصعب ؛ وذلك أنه لما مات الريان بن
الوليد فرعونُ يوسف - عليه السلام - وذكر أنه قد آمن بيوسف ومات قبل

- وفاة يوسف - عليه السلام - ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف

الثاني؛ فعداه يوسف إلى الإسلام، فأبى، وكان جباراً، وقبض الله تعالى يوسف في ملكه، وطالت أيام ملكه، ثم هلك؛ وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس الوليد ابن مصعب، ولم يذكر خلاف ذلك .

وقد قيل في اسمه ونسبه وسبب ملكه غير ذلك، وسيرد — إن شاء الله تعالى — في أخبار ملوك مصر القراعة ما ستقف عليه هناك — إن شاء الله تعالى — والله أعلم .

ذكر خبر آسية بنت مزاحم وزواج فرعون بها

قال : وكانت آسية بنت مزاحم من الصديقات، وهى غنقت في نبوتها ولا خلاف أنها صديقة؛ وكانت بارعة الجمال؛ فبلغ فرعون خبرها وجمالها، فأرسل إلى أبيها مزاحم (أن أبعث إلى آسية فإنها أمتى) . فدخل على فرعون وقال : إن ابنتى صغيرة لا تصلح . فكذب فرعون وقال : قد عرفت وقت ولادتها . فقال : أيها الملك، فأجعل لها مهراً . فغضب فرعون وقال : احملها إلى ، فإن رضىتها أكرمتها ، وإلا رددتها إليك . فقال له عمران : أيها الملك، لا تفضحنى فى أبنة أنسى، ولكن أكرمها بخلعة ومهر . فأجاب به إلى ذلك؛ فانصرف مزاحم وأخبر آسية بذلك وقال : إن أمنتى يكون ذلك هلاكى وهلاكك . قالت فكيف تكون مؤمنة عند كافر ؟ فلم يزل بها حتى أجابت على كره منها ؛ وحمل إليها فرعون عشرة آلاف أوقية من الذهب، ومثل ذلك من الفضة، وجملة من أنواع الثياب والطرف؛ وحملت إلى فرعون، فلما الله منه حتى رضى منها بالنظر . وكان فرعون قد رأى قبل ذلك من الآيات ما دلّه على أن زوال ملكه يكون على يد قى من بنى إسرائيل ؛ فقال : استوى بعمران لأنه كبير فيهم لأصطنع إليه واليهم معروف . فأبى به، فخلع عليه وتوجه، وجمعه سيد وزرائه، حتى كان هامان وغيره يحسدونه .



ذكر شيء من الآيات التي رآها فرعون قبل مولد موسى عليه السلام
فمن ذلك أنه هفت به الموافق تقول : ويلك يا فرعون ، قد قرب زوال
ملكك على يد قتي من بني إسرائيل .

- ثم رأى الرُّؤى التي أزعجته وأفرعته ؛ فكان منها أنه رأى شاباً وقد دخل عليه
وبيده عصا ، فضربه بها على رأسه وقال : ويلك يا فرعون ، ما أقل حيائك من
خالق السموات ، كتباً رأيت آية أزددت كفراً . ونظر إلى آسية في المنام ولها
جناحان تطير بهما بين السماء والأرض حتى دخلت السماء ؛ ورأى الأرض قد
أنفجرت وأدخلته في جوفها ؛ فأنابه فرعاً ، وقص رؤياه على أهل العبارة ، فقالوا :
إنها تدلّ على مولود يولد يلبك ملكك ، ويزعم أنه رسول الله السماء والأرض
ويكون هلاكك وقومك على يديه .

١٠

وكان فرعون قبل ذلك إذا عبر عليهم رؤيا يقولون : هذه أضغاث أحلام
ويكتمونه ما تدلّ عليه .

ذكر خبر قتل الأطفال

- قال : فاستشار فرعون وزراره وأهل مملكته ؛ فأشاروا عليه بقتل من يولد
من الذكور ؛ فقتل اثنتي عشرة ألف امرأة وسبعين ألف طفل ؛ وكان يستنب
الحوامل حتى يسقطن ، حتى ضجت الملائكة إلى ربها ؛ فأوحى الله إليهم بأن له أجلا
وبشرهم بموسى ؛ وكان فرعون قد منع وزراره وكبار أهل مملكته من الاجتماع
بأهاليهم وانخلوة بهم ، لأنه كان قد بلغه أن المولود يكون من أقرب الناس إليه ؛
وكان عمران ممن منع ؛ وكان فرعون إذا نام لا يفارقه حتى يستيقظ ؛ فبينما عمران ذات
ليلة على كرسيه عند رأس فرعون إذا هو بأمراءه وقد حُملت إليه على جناح ملك من

٢٠

الملائكة؛ فلما نظر عمران إليها فرح وقال : ما حاجتك ها هنا ؟ فسكتت ؛ فقال له الملك : إن الله يأمرك يا عمران أن تأتي زوجتك على فراش فرعون ليكون ذلك هوأنا له . فواقمها فحملت بموسى ؛ ثم آغتسلا في الحوض الذى فى دار فرعون ؛ ثم حملها الملك ورتها إلى مزلما ؛ وكان على باب فرعون ألف حاجب ، والأبواب مغلقة ، فلم يفس عنه ذلك ؛ ولما أصبح فرعون دخل عليه المنجمون وقالوا : إن الذى تخافه قد حملت به أمه وقد طلع نجمه . فأمر فرعون القوابل والحواض أن يلدن على نساء بنى إسرائيل ؛ ففعلن ذلك ، ولم يعبرن بيت عمران لعلهن يملازمنه لفرعون ليلا ونهارا ؛ فلما تمت أيامها جاءها الطلق نصف الليل ، وليس عندها إلا آبتها ، فوضعت وجهه يتلألأ نورا .

١٠ ذكر خبر ميلاد موسى وما كان من أمره وإلقائه فى التابوت

قال : وأصبحت أم موسى وهى شديدة الفرح به وانخوف عليه ؛ وسمع فرعون فى تلك الليلة هاخا يقول : ولد موسى وهلك يا فرعون وتنكست الأصنام . فشدد فرعون فى طلب المولود ، فكانت أمه ترضعه ، وإذا خرجت فى حاجة ألقته فى التور بمهده وغطته ؛ ففعلت ذلك فى بعض الأيام ، وكانت أخيه قد عجن وأرادت أن تحبز ، فسجرت التور وهى لا تعلم أن موسى فيه ؛ وجاء هامان والدايات فدخلا دار عمران فلم يجدوا شيئا ، ونظروا إلى التور والنار تلمو منه ، فأنصرفوا ؛ وجاءت أم موسى فرأت الأعوان والحرس قد خرجوا من مزلما ، فكاد روحها يزحف من الغم ؛ فدخلت المنزل بسرعة نحو التور ، فرأت النار فيه ؛ فطلمت وجهها وقالت : ما معنى الحذر ، أحرقت ولدى . وأنطلقت إلى التور فرأت موسى ولم تمسه النار ؛ فأخرجته ؛ ولما تم له أربعون يوما فزع عليه ، فاتخذت له تابوتا

١٠

١٥

٢٠

ووضعت فيه، وألقته في اليم؛ وكان أبوه قد مات قبل ذلك ودفن، فلذلك أشتد خوف أم موسى .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَاتِلِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ .

- قال : فلما أتت به لتلقيه في النيل تصوره لها إبليس في صورة حبة سوداء وقال : إن ألقته في اليم ابتلته . فعلمت أنه إبليس؛ فسمعت النداء : ﴿ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا يَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

قال : فطرحته في النيل . قليل : إنه بقي في الماء أربعين ليلة .
وقيل : ثلاثا .

وقيل : ليلة واحدة .

ذكر دخول التابوت في دار فرعون ورجوع موسى إلى أمه

- قال : وأصبح فرعون في اليوم الذي دخل فيه التابوت إلى قصره ، فصعد أصل القصر وأشرف فرأى التابوت والموج يلعب به؛ وكان لفرعون سبع بنات من غير آسية ، بكل واحدة منهن نوع من البلاء والمرض ؛ وكان الأطباء قالوا له : إن دواهن أن يقتلن في النيل . فصنع لمن نهر من النيل وأجراه في وسط القصر ١٥ يصب في حوض عظيم ؛ فكانت بناته يقتلن فيه ؛ فأمر الله الرمح أن تلقى التابوت في ذلك النهر وبنات فرعون فيه ؛ فبادرت الكبرى وفتحته فإذا فيه موسى وله شعاع ونور ؛ فلما لمسته أذهب الله ما بها من البلاء والمرض ؛ فلمسته بنات فرعون واحدة بعد أخرى ، فذهب ما بهن من الأمراض ؛ وأقبلن بالتابوت إلى آسية ؛ فلما ٢٠ رآته قبلته ولم تعلم أنه ابن عمها ؛ ثم أعادته إلى التابوت ؛ وحنّته جارية معها

ومضت به إلى فرعون ؛ فلما نظر إليه أرعد منه وقال : يا آسية ، إني أخاف أن يكون هذا عدوى ، ولا بد لي من قتله . فقالت له : قُرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَفَعَهُ وَلَدًا .

وحكى التلميذ أنها لما قالت : قُرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ، قال فرعون : قُرَّةٌ عَيْنٍ لَكَ ، أما أنا فلا حاجة لي فيه .

قال أبو إسحاق : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”والذى يُحَلِّفُ بِهِ لَوْ أَقْرَبُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ كَمَا أَقْرَبْتُ بِهِ لَهْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا هَدَى بِهِ أَمْرَانَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَمَهُ ذَلِكَ“ .

قال الكسائي : ولم تزل تُلطِّفُ بفرعون حتى تركه ، وأحضرت له المراضع فلم يرضعن . قال الله تعالى : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ) .

وأرسلت أم موسى أبتها كلِّم^(١) ، قال الله تعالى : (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) .

قال : فدخلت قصر فرعون فرأته في حجر آسية وقد أمتنع أن يرضع ، فتقدمت إليها ، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون .

قال : ولم تعلم آسية أنها أبنة عمها لثلاثة ثيابها ، لأنها دخلت في حلبة المراضع ، فالتفت إليها فرعون وقال : مَنْ هؤلاء القوم الذين يكفلونه ؟ قالت : قوم من آل إبراهيم . قال : ادعني وائتني بهم . فرجعت إلى أمها وأخبرتها ؛ فدخلت على فرعون وموسى بين يديه ، فمرقتها آسية وقالت : خذني هذا الصبي وأرضعني . فلما أخذته ألتقم ثديها ورضع منه ، وفرعون لا يعلم أنها امرأة عمران ؛ فقالت لما

(١) كما ورد هذا الاسم في الأصول وتاريخ النبي .

آسية : أحب أن تكونين عندي إلى أن يستغنى هذا الغلام عن الرضاع . فأقامت عند آسية ستين حتى فطمته وفارقه مستبشرة فرحة .

وحكى التعليق أنها لم تُقم عند آسية ، بل أخذته وصارت إلى موطأ فأرضعته إلى أن تم رضاعه ، وأعادته إلى آسية ، والله أعلم .

ذكر شيء من عجائب موسى — عليه السلام — وآياته

قال : فلما صار موسى من أبناء ثلاث سنين ، استدعاه فرعون وأجلسه في حجره وجعل يلعبه ، فقبض على لحية فرعون ، فألم لذلك وقال : لا شك أن هذا عدوى . وهم بقتله ، فقالت له آسية : إن الصبيان لهم جرأة ولعب من غير معرفة ولا عقل ، وأنا أريك أنه لا يعقل ، وأمرت بإحضار طست وطرحته فيه دقة وجمرة ، وقلمته إلى موسى ، فأراد أن يأخذ الدقة ، فصرف جبريل يده عنها إلى الجمرة ، فأخذها ورفعها إلى فيه ، فاحترق لسانه ، ففقدوها من فيه وبكى بكاء شديدا ، فقالت آسية لفرعون : علمت أنه لا يميز بين الدقة والجمرة ؟ فسكن عند ذلك .

قال : فلما تم لموسى سبع سنين ، جلس في بعض الأيام مع فرعون على سريره ففرسه فرعون ، فغضب موسى وزل عن السرير وضرب قوائم برجله ، فكسر قائمتين منه ، فسقط فرعون عنه ، وأنشتم أنفه وسال الدم على لحية ، فبادر موسى ودخل على آسية وأعلمها بالخبر ، وتبعه فرعون إليها وأراد قتله ، فقالت : ألا يسرك أن يكون ولدك بهذه القوة يدفع أعدائك عنك ؟ ولا طفته حتى سكن غضبه .

ثم ظهر له من المعجزات والآيات ما لا يظهر إلا للأنبياء وفرعون يكرمه ،

والله الموفق .

ذكر خبر القبطى ونحروج موسى من مصر

قال : ولما كبر موسى صار يركب من مراكب فرعون ويلبس من ملابسه ؛ وكان يدعى : موسى بن فرعون ؛ فاستمع بسببه الظلم عن بنى إسرائيل ، ولم يعلم إلا أن ذلك من قبل الرضاة ؛ وأتفق ركوب فرعون ، فركب موسى في أثره والمدينة مغلقة الأسواق ، وليس بها أحد ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ فكان الذى من شيعته فنى من بنى إسرائيل ، والذى من عدوه رجل من القبط ، وهو طبّاخ لفرعون ، وقد أخذ حطباً للطعام ، وهو يريد الإسرائيلى على حمله وقد استمتع ؛ فلما مرّ بهما استغاثه الإسرائيلى ؛ فقال للطباخ : اتركه . فأمتنع من تركه ؛ فوكزه موسى في صدره فمات ؛ فندم موسى على قتله ؛ قال الله تعالى ﴿ فَاسْتَفَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ الآيات .

قال : فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ .

وجاء القبط وشكوا إلى فرعون أن بنى إسرائيل قتلوا رجالاً منهم ؛ فأمرهم أن يطوفوا على قاتله ؛ ونحرج موسى في اليوم الثانى ، فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ عَلَى قَبْطَى آخَرَ ، والقبطى يقول : هذا الذى قتل ابن عمى بالأمس . فقال الإسرائيلى : أعنى يا موسى على هذا ، فإنه يريد أن يحملى إلى دار فرعون قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَنَوَى مُيْنٌ .

قال : ثم لم يجد موسى بداً من نصرة الإسرائيلى ، فحسر عن ذراعيه ، ودنا من القبطى ؛ فظن الإسرائيلى أن موسى يريد أن يبطش به ، فقال ما أخبر الله به عنه :

(فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لِمَا قَالِ يَمْوَسَىٰ أُتْرِيدُ أَنْ تَحْتَلِّيَ كَمَا قَلَّتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) .

فلما سمع القبطى - كلام الإسرائيلى - لموسى تحقق أن موسى قاتل ابن عمه ؛ فدخل إلى دار فرعون وأخبره أن موسى هو الذى قتل القبطى ؛ قال : ومن أعلمك ؟
فقص عليه القصة ؛ فأذن فرعون لأولياء المقتول فى قتل موسى حيث وجدوه ؛
بغاء حزقيل - وكان مؤمنا من آل فرعون - وأعلم موسى بالخبر .

قال الله تعالى : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْتَسِي قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ ذَٰلِكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * تَخْرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) .

ومضى يغير زاد ولا راحلة ؛ فزج براح فى طريقه ، فأعطاه موسى ثيابه ، وأخذ جبة الراعى وكساه ، وسار فوصل إلى مدين فى اليوم السابع وقد أجهدته الجوع .
قال : وكان موسى يسير بالليل ودليله النجم ، فإذا جاء الصبح جاءه أسدان يدلانه على الطريق ؛ فكان هذا دأبه وهما كذلك حتى ورد مدين ؛
والله الهادى .

ذكر خبر ورود موسى مدين وما كان بينه وبين شعيب وزواجه ابنته
قال الله تعالى : (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) وكانتا أبقي شعيب عليه السلام .

قال : وكان الزواء إذا سقوا غطوا البئر بصخرة لا يرفعها إلا جماعة ؛ فلما أنصرفوا تقدم موسى إلى الصخرة فوكها برجله ، فدحاها أربعين ذراعا على ضعفه من الجوع وسق غنمهما .

قال الله تعالى : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ .

قال : فتمنى موسى في ذلك الوقت شعبة من خبز الشعير؛ وأنصرفت المراتان إلى أبيهما وأخبرناه بالخبر، فأرسل أحدهما إليه وقال : اتبني به . قال الله تعالى : ﴿ فَجَاءَهُ أَحَدُهُمَا نَمِيحًا عَلَى أَسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ .

فقام موسى ، وكانت تمزيين يديه فكشف الریح عن ساقيهما ، فقال لهما : تأخرى ورأى ودلّني على الطريق . فتأخرت وكانت تقول : عن يمينك وعن شمالك . حتى دخلا مدين؛ وجاء إلى شبيب — وهو شيخ كبير وقد كف بصره — فسلم عليه؛ فردّ عليه ورحّب به وسأله عن خبره . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

ثم دعا شبيب بالطعام فأكل ؛ فقالت أخته : يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ أرادت بالقسوة رفع الحجر عن رأس البئر وأستقاءه بالدلو العظيمة، وأمانته أنه أخرجها إلى خلفه .

فرغب فيه وقال : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَى هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَنِي وَيَتَكَ أَيُّهَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ .

(١١) فترج موسى صفورا — وهى الصغرى منهما — وطلب عصا؛ فقالت له :
ادخل بيت أبى الذى يأوى فيه نخذ عصاك . وكان فيه عصى كثيرة — فدخل
موسى البيت وأخذ من العصى عصا حراء؛ فقال له شبيب : هذه من أشجار الجنة ﴿٧٨﴾
أهداها الله إلى آدم ، ثم صارت إلى شيث وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم
وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وكلهم توكأوا عليها ، فلا تخرجنها من يدك .
ثم أوصاه وحذره من أهل مدين ، وقال : لئنهم قوم حسدة ، وإذا رأوك
قد كفيقتى أمر غنى حسدنى عليك ، فدلوك على وادى كذا وكذا ، وهو كثير
المرى ، وإنما فيه حبة عظيمة تبطل الغنم ، فإن دلوك عليه فلا تمز به ، فأتى أخاف
عليك وعلى غنى .

١٠ فخرج موسى بالغنم — وكانت يومئذ أربعين رأساً — وقال فى نفسه : إن
من أعظم الجهاد قتل هذه الحية . وتوجه بالغنم إلى ذلك الوادى ؛ فلما قاربته أقبلت
الحية إلى الغنم ، فقتلها موسى ورعى غنمه إلى آخر النهار ، وعاد إلى شبيب وأعلمه
الخبر ؛ ففرح بقتلها ، وفرح أهل مدين وعظّموا موسى وأجلّوه ؛ وقام موسى بغنم
شبيب يرباها ويسقيها ، حتى أقضت المدة التى بينهما ، وبلغت أربعين رأساً
وعزم موسى على المسير .

١٠

ذكر خبر خروج موسى — عليه السلام — من أرض مدين

ومناجاته ومبعثه إلى فرعون

قال : ولما أراد موسى الانصراف بكى شبيب وقال : يا موسى ، إني قد
كبرت وضمعت ، فلا تضيقنى مع كبر سنّى وكثرة حسادى ، وترك غنى شاردة
لا راعى لها . قال موسى : لئن لا تحتاج إلى راع ، وقد طال غيبتى عن أمى

٢٠

(١) كما ورد هذا الاسم فى التوراة وتاريخ العبي .

وخالتي وهارونَ أخى وأختى . فقال شعيب : إني أكره أن أمتك . وأوصاه بأبنته وأوصاها ألا تخالفه ؛ وصار موسى — عليه السلام — بأهله يريد أرض مصر حتى بلغ جانب وادى طُوًى فى عشية شديدة البرد ؛ وجاء الليل وهبت الرياح وضيئت السماء ؛ فأنزل موسى أهله وضرب خيمته على شفير الوادى ، وأدخل أهله فيها ؛ وهطلت السماء بالمطر ؛ وكانت امرأته حاملا ، فجاءها الطلق ، فجمع حطباً وقدهح الزنَاد فلم يور ، فرماه وخرج من البيت ، فرأى نارا .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلَّ آيَةً مِنْهَا يُخْبِرُ أَوْ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِى الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ولم يكن هناك نار بل نور .

قال التعلّى : واختطفوا فى الشجرة ما كانت ، فقيل : الموصبة . وقيل : العناب .

قال الكسائى : وأمر موسى بخلع نعليه ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِى الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ﴾ قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غيى ولّى فيها ما رُبُّ آخرى .

قال : لأنه كان يركها فى الأرض ويمسك عليها كسائه وإداوته ونعليه ، ويخالل بها السباع ، ويستظل بها من الشمس .

قال الله تعالى : ﴿ أَقْبَهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تُنسَى ﴾ على مثال

الثعبان العظيم . ٢٠

قال : فَلَمَّا رَأَوْا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْرِياً وَلَمْ يُعَقِّبْ .

فلما أؤمن في الحرب قال له جبريل : أنترب من ربك وهو يكلمك ؟ قال : ما فررت إلا من الموت . ورجع وهى بحالها ؛ قال الله تعالى : (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) .

- فادخل يده فيها فإذا هى عصا ؛ ثم قال الله له : (وَأَضْمِ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى) فذهب الخوف عن موسى ؛ ثم أمره الله تعالى أن يذهب إلى فرعون ، فقال : (أَذْعَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) . قال موسى : رَبِّ أَمْحِ لِي صَدْرِي • وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي • وَأَحْلِلْ غُفْلَةً مِنْ لِسَانِي • يَقْبَلُونَهَا قَوْلِي • وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي • هَارُونَ أَخِي • اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي • وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي • كَيْ تُصَبِّحَ كَثِيرًا • وَتَذْكَرَ كَثِيرًا • إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا .
- قال الله تعالى : (قَدْ أَوْتَيْتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) .

- قال : ثم تذكر موسى ما كان منه فقال : رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ . فنودى : يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلِينَ . ثم ذكره الله عليه فقال : (وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى) الآيات ؛ ثم قال الله تعالى : (أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى • فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَئْلًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى • قَالََا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى • قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى • فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَنْتَعِ الْهُدَى) .

قال : وكان الخطاب لموسى وحده ، والرسالة له وهارون .

- قال : وأما أبنه شعيب فأشتد بها الطلق ، وسمع سكان الوادى من الجن أنيها ، فأقواها وأوقدوا النار عندها ، وقيلوها ؛ وقبض الله تعالى لها من ردها إلى أبيها ؛ والله المعين .

ذكر خبر مسير موسى إلى مصر وأجتماعه بأخيه هارون وأمه
قال الكسائي : وسار موسى من الطور حتى بلغ العمران ؛ وكان هارون يومئذ
وزيرا لفرعون على عادة أبيه لا يفارقه ليلا ولا نهارا ؛ فبينما هونانم إلى جنب سرير
فرعون إذ أتاه آت في منامه ومعه شراب في كأس من الياقوت ، وقال : يا هارون
اشرب هذه الشرية فهي بشارة بقدوم أخيك من أرض مدين ، وأنت شريكه
في الرسالة إلى فرعون .

فأنبه هارون فيزما وظن ذلك من الشيطان ، وعاد إلى النوم ، فعاوده القائل
ثلاث مرّات ؛ ثم قال له : قم إلى أخيك — وكانت الأبواب مغلقة — فأحمله
الملك إلى قاعة الطريق وقال له : امض وأستقبل أخاك . ثم أتاه جبريل بوحى
الله وبشّره بالرسالة ، وحمله إلى شاطئ النيل ، وموسى إلى الجانب الآخر ؛ فكان
يكلّمه والريح تحمل كلامه إلى هارون ؛ ثم أذن الله لهما أن يلتقيا ؛ فبهاء موسى إلى
الجانب الآخر ، فالتقيا ؛ وبشّره بشركته في الرسالة ؛ ثم أقبلا إلى أمتهم وجبريل
معهما ، فطرق هارون الباب وأمه في صلاتها ، فقامت من محرابها وقالت : من
بالباب ؟ فقال موسى : أنا وللك موسى وأنى هارون . ففتحت الباب ، ووقعت
مفتشيا عليها من الفرج ؛ ثم أفأقت ؛ وذكر لها موسى ما كان من أمره ؛ فسجدت لله
تعالى ؛ ثم حمل جبريل هارون وأعاده عند رأس فرعون ؛ وأقام موسى بقية ليلته
عند أمه ، ونخرج من القد متنكرا ، فنظر إلى ما أحدثه فرعون في أرض مصر
ورجع حتى أقبلت الليلة الثانية ، فخرج وجاء إلى قصر فرعون وبه الحجاب والحرس
والجنود ، فقرع الباب بعصاه ، فافتتح ودخل حتى بلغ القبة الأرجوانية ، فأفتحت
وعبرها وفرعون نائم بها ، وهارون عند رأسه ؛ فقام إليه هارون وقال : لقد عجّلت
يا أنى . وأخرجه ؛ فأنصرف ، وغلّقت الأبواب كما كانت .

٥

١٠

١٥

٢٠

فلما كان من الند جاء إلى فرعون فعرفه بعضهم، وأنكره البعض، وجاء بعض الوزراء إلى فرعون وأخبره به، فأرعدت فرائصه، وأمر هامان أن يخرج إليه؛ فخرج وسأله عن اسمه، فأخبره أنه موسى؛ فعاد هامان إلى فرعون وأعلمه أنه هو؛ فنظر إلى هارون وقال: أيقدم أخوك ولم تعلمني به؟ فقال: أردت ذلك وإنما خشيت غضبك.

ذكر خبر دخول موسى - عليه السلام -

إلى فرعون وما كان من أمره معه

- قال: وأمر فرعون أن يزين قصره، وجلس والتاج على رأسه، ووقف الوزراء عن يمينه وشماله، وأحضر موسى؛ فلما رآه عرفه، ثم قال له: من أنت؟ قال: ١٠ أنا عبد الله ورسوله وكليمه. قال: أنت عبد فرعون. قال: إن الله أعز من أن يكون له نذ. قال له فرعون: إلى من أرسلت؟ قال: إليك وإلى جميع أهل مصر. قال: فبماذا؟ قال: أن يقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنى موسى عبده ورسوله. قال: فما حجتك؟ فإن لكل مدع بينة. قال: إن أتيتك بينة تؤمن؟ قال: نعم. قال موسى: يا هارون، انزل عن الكرمي وبلغ فرعون الرسالة. ١٥ فترل وقال: يا فرعون. إنا رُسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْبُدْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. فقال فرعون: قن ربك يا موسى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، الآيات.

- فغضب فرعون على هارون، وأمر هامان بترع ما عليه من اللباس؛ فترعه حتى بقي بالسرَّويل، فألبسه موسى مدرعة الصوف؛ فاقشمت جلده؛ فترل جبريل ٢٠ بقميص كونه الله تعالى فكان وألبسه إياه؛ فقال فرعون لهامان: احمل موسى

وأخاه إلى مترك ودارهما ، فإن أطاعاني مكنتهما من نزائتي ، ولا أقطع أمرا دونهما . ففعل ذلك ؛ فقال له : يا هامان أشتر فesk من ربك . فضحك من قولها ، ثم أحضرهما من الفد إلى فرعون ؛ فأقبل على موسى وقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ . وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْبِي فَفَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ .
 ٥ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿ أَيْ عَنْ النَّبُوءَةِ ﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿
 ثم قال : تذبح أبناءهم وتستحي نساءهم ، فشكوك إلى رب العالمين . وكان فرعون متكئا ، فاستوى جالسا وقال : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿ فَأَلْتَفَتَ فِرْعَوْنُ لِمَنْ حَوْلَهُ وَقَالَ : ﴿ أَلَا أَسْتَمِعُونَ ﴾ .
 ١٠ قَالَ مُوسَى : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُجْنُونٌ ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴾ . قَالَ فِرْعَوْنُ : ﴿ لَنْ أَمْلَأَنَّ لَهَا فِئْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ ﴾ . قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

ذكر خبر العصا حين صارت ثعبانا واليد البيضاء

١٥ قال : وبينما هما في المخاطبة وإنا بالعصا أضطربت في كف موسى ؛ فناداه جبريل : أطلقها يا نبي الله . فالتقاها موسى ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ كأعظم ما يكون ؛ ثم تمثل مثال الجمل البحتى وقام على رجله حتى أشرف برأسه على حيطان القصر وتنفس نارا ودخانا ، وعطف على قبة فرعون فضر بها فطحطحها ، وجعلت لا تميز بشيء إلا أبتلته ، وهاجت كالجلل المقتم ولما صوت كالرعد ؛ وأقبلت إلى قبة فرعون وهو فيها ، فوضعت لحياها الأسفل تحت القبة ، ولحياها الأعلى فوقها ، ورفعت القبة

- ثمّ اثنين ذراعا في الهواء ، وقالت : يا فرعون ، وعزة ربّي لو أذن لي لأبتلعك بقصورك وأموالك . فلما نظر فرعون إلى ذلك وثب عن سريره — وهو أصرج — وجعل يعلو ويقول : يا موسى بحق التربة والرضاع ، وبحقّ آسية كفها هنا . فتأدّاها ، فأقبلت ، فأدخل يده في فيها ، وقبض على لسانها فإذا هي عصا كما كانت ؛ فعاد فرعون إلى مكانه وقال : يا موسى ، لقد تعلّمتَ بعدى صحرا عظيما . قال : يا فرعون ، (أَيْحَرُّ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) . قال فرعون : هل عندك صحر غير هذا ؟ قال : نعم ؛ فأدخل يده في جيبه ، ثم أخرجها وعليها نور وشماخ ؛ قال الله تعالى : (فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ • وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ • قَالَ لِللَّهِ حَوْلُهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ • يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فإِذَا تَأْمُرُونَ • قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • يَا تُوكَ بِكُلِّ صَحَّارٍ عَلِيمٍ) .

ذكر خبر السحرة واجتماعهم وما كان من أمرهم وإيمانهم

- قال : فأمر فرعون يجمع السحرة ؛ فاجتمع إليه سبعون ألف سحر؛ فاختر منهم سبعين سحرا — وهم أحذق الخلق — . وحكى الثعلبي عن عطاء قال : كان رئيسا السحرة بأقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين ؛ فلما جاءهما رسول فرعون قالا لأتبعهما : دلّينا على قبر أيتنا . فدلّتهما عليه ؛ فأتياه فصاحا بأسمه ، فأجابهما ؛ فقالا له : إن الملك قد وجه إلينا أن نهدم إليه ، لأنه أتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح ، ولهما عزّ ومنعة ، وقد ضاق الملك ذرما بهما ، ومعهما عصا إذا ألقياها لا يقوم لها شيء حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة . فأجابهما أبوهما : أنظرا إذا هما تاما ، فإن قدرتما أن تسلا العصا فسلاها ، فإن الساحر لا يعمل سحره وهو نائم ، فإن عملت العصا وهما نائمان فذلك

أمر ربّ المسالين فلا طاعة لكما به ولا لك ولا لجميع أهل الدنيا . فأثابهما خفية
وهما فائمان بإخذاها، فصلتهما .

قال الكسائي : وبث فرعون إلى موسى فاحضره وقال ما أخبر الله تعالى به
عنه : (قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ
فَأَجْعَلْ يَدَيْنَا وَيَدَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ
يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ مِثْلِي) .

قال : ويوم الزينة هو أول يوم من السنة ؛ فلما كان في ذلك اليوم اجتمع
الناس من أطراف أرض مصر في صعيد واحد، فأخذ فرعون يقول للسحرة :
اجتهدوا أن تغلبوا موسى . قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قال فرعون :
نعم وإنكم لمن المقربين . ١٠

وأقبل موسى وهارون وقد أحذقت بهما الملائكة ، فرأى موسى الوادي وقد
أمتلأ من الجبال والمعصى ؛ فقال موسى : وَيَلَكُمْ لَا تَهْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ أَقْبَرَى .

قال : وكان في السحرة ساحران عظيمان — وهما رأس السحرة — فقالا :
يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى . فهم موسى أنت يلقي، فنهض
جبريل ، وأجرى الله على لسانه فقال : بَلْ أَقُوا ؛ فَالْقُوا وَتَحَرَّوْا أَعْيُنَ النَّاسِ
وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ . قال الله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَعَصِمَهُمْ بِجُلُودِهِمْ
إِلَهُ مِنْ بِحُورِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى) . فأمتلأ الوادي من الحيات ، وجعلت يركب بعضها
بعضا ؛ وَقَالُوا مِزَّةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ؛ قال الله تعالى : (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ
خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا

صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿ فَعِنْدَهَا زَالٌ خَوْفُهُ وَقَالَ : مَا يَجْتُمُّ
 بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطِئُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ . ثم أتى عصاه
 في وسط الوادي ، فانكشف صحر السحرة ، وبطل ما أظهروه من التخييل ، فإذا
 هي جبال وعصي ، وصارت عصا موسى ثعبانا له سبعة أرؤس ، وعلى ظهره مثل
 الأريجة ، فأتبعت الجبال والعصي وجميع ما كان في الوادي من الزينة ، فقام فرعون
 ووزراؤه فوقوا على تل ينظرون فعل الحية وهم خائفون ، ثم حملت على السبعين
 رجلا فولوا هارين على وجوههم ، ثم اجتمعوا بأجمعهم وقالوا : ما هذا بسحر . ونحروا
 سجداً ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَتَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ السَّالِمِينَ *
 رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ .

قال : فأغم فرعون لنك وقال للسحرة : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
 لَكَبِيرٌ الَّذِي عَلَيْهِ السَّحَرُ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . لَا تَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ
 وَلَا صَلْبِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

وأمر أن يفعل بهم ذلك ، فقالوا ما أخبر الله به تعالى عنهم : ﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ
 عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحَرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَاتَّقِ ﴾ .
 ثم صلبوا على سبعين جذعا بعد أن قطع فرعون أيديهم وأرجلهم .

ذكر خبر حزقيل مؤمن آل فرعون

قد قيل : إن خبر مؤمن آل فرعون كان قبل خبر السحرة ، وسباق الآيات
 يدل على أن خطابه لفرعون كان بعد خبرهم ، وذلك أنه لما كان من أمر السحرة

(١) زاد الكسافي بعد هذه الكلمة : « والأستة » .

ما ذكرناه، قال الملائكة من قوم فرعون ما أخبر الله تعالى به عنهم ؛ قال الله تعالى :
 ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَقْرَكَ
 وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ . وقال الله
 تعالى إخبارا عن فرعون : ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ
 دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ .

قال : فلما عزم فرعون على قتل موسى ، أقبل حزقيل على القوم — وكان
 خازن فرعون وزوج ماضطة بناته — فقال ما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ
 مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبُ فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي
 يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ
 فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ .

ففرع فرعون من قوله وقال : مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ
 الرَّشَادِ .

نخوفهم المؤمن وقال ما أخبر الله تعالى به عنه : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ
 بَيْنِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ *
 يَوْمَ تُقَالُ لِلْمُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ حَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ .

فلما سمع فرعون كلامه غضب وقال : كأنك ممن اتبع موسى ، فأرجع عن
 ذلك وإلا عاقبتك بأنواع العذاب . فقال له حزقيل : يَا قَوْمِ أَتَتَّبِعُونَ أَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ
 الرَّشَادِ ، الآيات .

ثم قال : وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ • تَدْعُونَنِي
لَا تُكْفِرُ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ • لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَالْأَنفُسُ
الْمُضِرَّةِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ • فَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ؛ ولحق بموسى وهارون ، وفارق فرعون وقومه ؛ قال الله تعالى :
(فَوَقَّاهُ اللَّهُ سَبْثَاتٍ مَا مَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) .

وحكى التلمی أن فرعون قتله مع السحرة صلبا ؛ ثم ذكر بعد ذلك أنه كان مع
موسى عليه السلام لما فرق الله له البحر؛ والله تعالى أعلم .

ذكر خبر بناء الصرح وما قيل فيه

قال : ولما أفضى أمر السحرة أقبل فرعون على هامان وقال : (يَا هَامَانُ
ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلَّ أَبْلَغُ الْأَسْبَابِ • أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطْلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي
لَأُظَنُّ كَاذِبًا) .

قال : بجمع هامان خمسين ألف صانع وصنع القريميد — وهو الآجر ، وهامان
أول من صنعه — فكانوا يبنون فيه ليلا ونهارا لَا يَفْتَرُونَ ؛ فلما تكامل الصرح
وَأَرْفَعَ أَرْفَاعًا عَظِيمًا ، أمر الله عز وجل جبريل فهدمه وجعل عاليه سافله
ومات كل من كان فيه على دين فرعون ، والمؤمنون يزبدون ويحتمعون إلى موسى
عليه السلام .

وحكى أبو إسحاق التلمی — رحمه الله — أن الصرح أجمع فيه لبنائه
خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء ممن يطبخ الآجر والحصص وينجز الخشب
والأبواب ويضرب المسامير ؛ فلم يزل يبنى ذلك الصرح ؛ ويسر الله تعالى له أمره .

استدراجاً منه ، فأتى الأمر فيه على ما يريد ، إلى أن فرغ في سبع سنين ، فارتفع أرضها لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض ؛ فشق ذلك على موسى ، فأوحى الله تعالى إليه : أن دعه وما يريد فأتى مستدرجه ومبطل كل ما عمله في ساعة واحدة .

قال : فلذا تم بنيانه بعث الله عز وجل جبريل فضرب يميناه الصرح ، فقتل به على عسكر فرعون ، فقتل منهم ألف رجل .

قالوا : ولم يبق أحد ممن عمل فيه إلا أصابه موت أو حريق أو عاهة .

قال : وكان تدمير الله تعالى الصرح فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

قال : فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله ، وعلم أن حيلته لم تكن عنه شيئاً عزم على قتال موسى ومن معه ، وأمر أصحابه فنصبوا له الحرب ؛ فلما رأى الله تعالى ذلك من فعل فرعون وقومه ، وأنه حقت عليهم كلمة العذاب ، ابتلاه الله تعالى بالعذاب والآيات .

ذكر خبر الآيات التسع

قال الكسائي : ثم أخذ الله تعالى قوم فرعون بالآيات التسع ، فكان أول ما جاءهم الطوفان ، فدام عليهم ثمانية أيام لا يرون فيها شمساً ، حتى أمتلت الأسواق والدور ، وأخذت في الخراب ؛ فالتجأوا إلى فرعون ، فقال : ما كشف ذلك عنكم . ودعا موسى وسأله أن يدعو برفع الطوفان ليؤمن به ؛ فقطع موسى في ذلك ، فسأل الله تعالى ، فرفع ذلك عنهم ، فأزدادوا كفراً ، فبعث الله تعالى عليهم الجراد فأكل أشجارهم وزرعهم ، ودام ثمانية أيام ، ففزعوا إلى فرعون ، فوصلهم بصرفه عنهم وضمن لموسى إن صرفه عنهم آمن به ؛ فدعا ربّه ، فأرسل الله على الجراد ريحاً باردة

٥

١٠

١٥

٢٠

- نفتته ، فلم يؤمنوا؛ فبعث الله عليهم القمل فاكل جميع ما في بيوتهم ، وقرض ثيابهم وأبدانهم وشعورهم ؛ فضجوا إلى فرعون ، فقال موسى ووعده الإيمان ؛ فقال الله تعالى ، فصرفه عنهم بعد ثمانية أيام وأماته ، فازدادوا كفرا؛ فأرسل الله تعالى عليهم الضفادع ، فكانت تدخل في طعامهم وشرايهم ، وكانت لها رائحة منتنة . فدامت ثمانية أيام ؛ فقال موسى ؛ فلما كشفها الله عنهم لم يؤمنوا وأزدادوا كفرا ؛ فامر الله تعالى موسى ؛ أن أضرب بعصاك النيل . فضربه فتحول دما عيطا ، فاشتد بهم العطش ، فكان الإسرائيلي والفرعوني يأتیان إلى موضع واحد ، فإذا أخذه الإسرائيلي يكون ماء ، وإذا أخذه الفرعوني كان دما ، فدام ذلك ثمانية أيام حتى أجهدهم العطش وأشرفوا على الهلاك ؛ فلما كشفه الله عنهم بدعوة موسى أزدادوا كفرا .

١٠ ذكر خبر مسخ قوم فرعون

قال : ولما لم يؤمنوا بهذه الآيات ، قال موسى : رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ؛ وكان الدعاء من موسى ، والتأمين لهارون ؛ فأوحى الله إليهما : ﴿ قَدْ أَجِيبْتَ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيَا إِلَى الْآيَةِ .

- ١٥ قال : فطمس الله تعالى على كثير منهم ، حتى أصبح الرجال والنساء والصبيان والأموال كلها حجارة ، فلم يؤمنوا ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ .

قال عمر بن عبد العزيز في تفسيره : كان أول الآيات العصا ، واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والبحر حتى صار يَمَسُّ .

- ٢٠ هذا ملخص ما حكاه الكشاف .

وحكى أبو إسحاق الثعلبي في قصصه عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقناة
ومحمد بن إسحاق وغيرهم من أصحاب الأخبار — دخل حديث بعضهم في حديث
بعض — قالوا : لما آمنت السحرة وصلبهم فرعون ، وأنصرف موسى وهارون إلى
عسكر بنى إسرائيل ، أمر فرعون أن يكلفوا بنى إسرائيل ما لا يطيقونه ، فكان
الرجل من القبط يجرى إلى الرجل من بنى إسرائيل فيقول له : انطلق معي فأكذب
حتى^(١) واعلف دوابي وأستق لي . وتجيء القبطية إلى الكريمة من بنى إسرائيل
فتكلفها ما لا تطيق ، ولا يعلمونهم في ذلك كله خبزا ، وإذا انتصف النهار يقولون
لهم : اذهبوا فاكسبوا لأنفسكم . فشكوا ذلك إلى موسى ، فقال لهم : اسْتَعِينُوا بِاللهِ
وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لله يَوْمُهَا مِنْ نِسَاءِ مَنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . قالوا :
يا موسى : أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ، كَمَا نَطْعَمُ إِذَا اسْتَعْمَلْنَا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَجِئَنَا ، فَلَمَّا جِئْنَا اسْتَعْمَلْنَا وَلَا يُطْعِمُونَا . فقال لهم موسى : عَسَى
رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ يَعْنِي فرعون والقبط ، وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ .

قالوا : فلما أبى فرعون وقومه إلا الإقامة على الكفر ، والتنادى في الشر
والظلم ، دعا موسى ربه وقال : رب إن عبدك فرعون طغى في الأرض وبغى وعتا
وإن قومه تقضوا عهده وأخلفوا وعده ، رب نخذهم بمقوبة تجعلها عليهم رقعة
ولقوى عظة ، ولئن بدتهم من الأمم مرة . فتأج الله عليهم الآيات المفصلات
بعضها في إثر بعض ، فأخذهم بالسنين وقص من الثمرات ، ثم بعث عليهم الطوفان
(وهو الماء) أرسل عليهم السماء حتى كادوا يهلكون ، وبيوت بنى إسرائيل وبيوت
القبط مشبكة غنظلة بعضها في بعض ، فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء

(١) الحش : يكنى به عن بيت الخلاء ، وهو ملك الماء .

إلى تراقيهم، فن جلس منهم غرق، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة وقاض الماء على وجه أراضيهم كذلك، فلم يقدرُوا على أن يمرثوا ولا يعملوا شيئاً؛ ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت؛ فقالوا لموسى : ادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء وتؤمن بك وترسل معك بني إسرائيل . فلدنا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، وعادوا أشتر بما كانوا عليه .

وآختلف العلماء في الطوفان ماهو؛ فقال ابن عباس - رضى الله عنهما - : هو الماء أرسله الله تعالى عليهم .

وقال مقاتل : هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكها .

وقال الضمك : هو الفرق .

وقال مجاهد وعطاء : هو الموت التدرج .

وقال وهب : هو الطاعون بلغة أهل اليمن ، أرسل الله الطوفان على أبكار آل فرعون فقبضن في ليلة واحدة، فلم يبقَ منهن واحدة ولا دابة .
وقال أبو قلابة : الطوفان هو الجُدري، والله تعالى أعلم .

قالوا : وأبنت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلا والزروع ما لم ينبت قبل ذلك ، فأعصبت بلادهم وأخصبت ، فقالوا : هذا ما كنا نتناه ، وما كان هذا الماء إلا نعمة لنا وخصبا . فاقاموا شهرا في طافية ؛ ثم بعث عليهم الجراد فأكل زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم والزهر، حتى إن كان لا يأكل الأبواب والنياب والأمتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير حتى سقطت دورهم ، والجراد لا يدخل بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء؛ فمَجَّوا ومَجَّجُوا، وقالوا :

يَا مُوسَى اذْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْلَ نُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ
مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ فاعطوه عهد الله وميثاقه ؛ فدعا موسى ربه ، فكشف الله
تعالى عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت .

ويقال : إن موسى برز إلى الفضاء ، فأشار إلى المشرق بالعصا فذهب الجراد
من حيث جاء كأن لم يكن قط .

قالوا : فأقاموا شهرا في طافية ؛ ثم بعث الله عليهم القمل ، وذلك أن موسى
أمر أن يمشي إلى كتيب أغبر بقرية من قرى مصر تدعى : (عين شمس) فمشى
موسى إلى ذلك الكتيب — وكان عظيما — فضربه بعصاه ، فأنتال عليهم القمل
فتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فاكله ولحس الأرض كلها ، وكان يدخل
بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه ، وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملا ، حتى
إن أحدهم لبني الأسطوانة بالحص فبرلقها حتى لا يرتقي فوقها شيء ، ثم رفع فوقها
طعامه ، فإذا صعد إليه لياكله وجده ملآن قملا ، فما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم
من القمل ؛ وأخذ القمل شعورهم وأشفاز عيونهم وحواجهم ، ولعق يملودهم
كالجُدرى ، ومنعهم النوم والقرار ، ولم يستطيعوا له حيلة .

وقد اختلفوا في القمل ما هو ؟ فروى عن أبي طلحة أنه الذباب لا أجنحة له .
وروى معمر عن قتادة قال : القمل أولاد الجراد .

وعن عبد الرحمن بن أسلم قال : هو البراغيث .

وقال عطاء : هو القمل ؛ دليله قراءة الحسن : « والقمل » بفتح القاف
وسكون الميم .

وقال أبو عبيدة : هو الحمتان ، وهو ضرب من القردان .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله عنهم - : القُمَّل ؛ هو السوس الذى يخرج من الحنطة والحبوب ، فكان الرجل يُخرج عشرة أفغزة فلا يردّ منها إلّا ثلاثة أفغزة؛ فلما رأوا ذلك شكوا إلى موسى وصاحوا وقالوا : يا أيها الساحر أى أيها العالم إنا نتوب إلى الله ولا نعود ، فأدع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء .

فدعا موسى ربه ، ورفع الله تعالى عنهم القُمَّل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ، ثم نكثوا العهد ، وعادوا إلى خبث أعمالهم ، وقالوا : ما كنا قطّ أحقّ أن نستيقن أن موسى ساحر إلّا اليوم ، فيجعل الرمل والرماد دوابّ ، فعل ما إذا تؤمن به وترسل معه بنى إسرائيل ؟ فقد أهلك زرعنا وحروشنا ، وأذهب أموالنا ، فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل ، وعزّة فرعون لا نصّده أبدا ولا تتبعه .

١٠ فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرا فى عافية - وقيل أربعين يوما - فأوحى الله تعالى إليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل فيفرز عصاه فيه ، ويشير بالعصا إلى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ؛ ففعل موسى ذلك ، فداعت إليه الضفادع بالحق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضا . وأسمع أدناها أقصاها ؛ ثم خرجت من النيل مثل البحر تدب سراجا نحو باب المدينة ، فدخلت عليهم فى بيوتهم بقة ، وأمتلأت

١٥ منها أفنيئهم وأبنيئهم وأطعمتهم ؛ وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا إناء ولا طعاما ولا شرابا إلّا وجد فيه ضفادع ؛ وكان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع ، ويهمّ أن يتكلّم فينب الضفدع فى فيه ؛ وكان أحدهم ينام على فراشه وسريه فيسقيظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض ، وصارت عليه حتى لا يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر ؛ وكان أحدهم يفتح فاه لأكله تستبق الضفادع إلى فيه ؛ وكانوا لا يعجزون إلّا أشدخت فيه ، ولا يطبخون إلّا أمتلأت القدر بالضفادع ؛

٢٠ وكانت تثب فى نيرانهم فتطفئها ، وفى طعامهم فتفسده ؛ فلغوا منها أدنى شديدا .

وروى عن عكرمة عن ابن عباس - رضى الله عنهم - قال : كانت الضفادع برية ، فلما أرسلها الله على فرعون سمعت وأطاعت ، بفعلت تقذف أنفسها فى القدر وهى تفور ، وفى التناير وهى مسجورة ، فأناها الله بحسن طاعتها برء الماء .

- قال : فضجوا إلى فرعون من أمر الضفادع ، وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون ، وصارت المدينة وطرقها مملوءة جيفا من كثرة ما يطاؤونها بأقدامهم ، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا ذلك إلى موسى ، وقالوا : اكشف عنا هذا البلاء فإننا نتوب هذه المزة ولا نعود . فأخذ بذلك عهودهم ومواثيقهم ، ثم دعا الله تعالى فكشف عنهم الضفادع ، فإكان منها حيا لحق بالنيل ، وأرسل الله تعالى ريحا على الميت منها ففتحته عن مدينتهم بعد ما قامت عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ١٠ فأقاموا شهرا فى عافية ؛ وقيل : أربعين يوما . ثم تقضوا العهود وعادوا إلى كفرهم وتكذيبهم ؛ فدعا عليهم موسى ، فأرسل الله تعالى عليهم الدم ، وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب إلى شاطئ النيل ويضربه بعصاه ؛ ففعل ذلك ، فسال النيل عليهم دما ، وصارت مياههم كلها دما عيطا ، فإ يشربون من الأنهار والآبار إلا وجدوا دما أحمر عيطا ؛ فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا ؛ إنا قد أبئلتنا بهذا ١٥ الدم ، وليس لنا شراب . فقال : إنه قد سحركم . فكان يُجَح بين الرجلين على الإناء : القبطى والإسرائيلى فيسقيان من ماء واحد ، فيخرج ماء القبطى دما ، وماء الإسرائيلى عذبا ؛ وكأنا يقومان إلى الجزة فيها الماء ، فتُخرج للإسرائيلى ماء وللقبطى دما ، حتى إن المرأة من آل فرعون كانت تأتى المرأة من بنى إسرائيل حين جهنم العطش فتقول : اسقنى من مائِكَ . فتعرف لها من جرثمتها ، وتصب لها من قربتها ، فيعود فى الإناء دما ، حتى إن كانت المرأة تقول لها : اجعليه فى فيك ٢٠

ثم نجَّيه في في . فتأخذ في فيها ماء ، فإذا تجَّته في فيها صار دما ، والنيل على ذلك يسقى
الزرع والشجر ؛ فإذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عيطا .

(٨١)

قالوا : وإن فرعون أعتراه العطش في تلك الأيام ، حتى إنه أضطر إلى مضغ
الأشجار الرطبة ، فكان إذا مضغها يصير ماءً في فيه ملحا ألباجا ومرّا زُقا ؛
فكثروا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون إلّا الدم ؛ فقالوا لموسى : ادع
لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فتؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل . فدعا موسى
ربه فكشف عنهم ذلك ، وأمر أن يضرب بمصاه النيل ضربة أخرى ؛ ففعل
فتحول صافيا كما كان ، فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه ، وذلك قوله تعالى :
(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ) .

وقال نُوْفُ الْبِكَايَلِيّ — وهو ابن امرأة كعب الأخبار — : مكث موسى
في آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب على السحرة برهم الآيات : الجراد والقُمَّل
والضفادع والدم .

وقال الضمّاك : لما يئس موسى من إيمان فرعون وقومه ، ورأى أنهم
لا يزدادون إلّا الطغيان والكفر والتمادي ، دعا عليهم موسى وأمن هارون . ربَّنَا
إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا
أَطِمْسِ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ .
فاجاب الله دعاءه ، كما قال تعالى : (قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقْبَا الْآيَةَ) .

قال : وكان لفرعون وأصحابه من زهرة الدنيا وزينتها من الذهب والفضة
والياقوت وأنواع الجواهر والخليّ ما لا يحصى إلا الله تعالى ؛ وكان أصل ذلك
المال مما جمعه يوسف — عليه السلام — في زمانه أيام القحط ، فبقي ذلك

في أيدي انقيط، فأوحى الله تعالى إلى موسى : أتى مورث بنى إسرائيل ما في أيدي
 آل فرعون من العُروض والخلى ، وجاعله لم جَهازا وعتادا إلى الأرض المقدسة
 فأجعل لذلك عيدا تتكف عليه أنت وقومك تشكرونى وتذكرونى فيه وتعظمونى
 ذلك اليوم ، وتعبدونى فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الأولياء وهلاك الأعداء
 واستعبروا لعيدكم من آل فرعون الخلى وأنواع الزينة، فإنهم لا يمتنعون عليكم للبلاء
 الحال بهم في ذلك الوقت، ولما قذفت لكم في قلوبهم من الرعب . ففعل موسى
 ذلك كما أمره الله تعالى ، فأمر فرعونُ بزينة أهله وولده وما كان في خزائنه من
 أنواع الخلى ، فأعيرت بنى إسرائيل لما أراد الله تعالى بذلك أن يخىء على موسى
 وقومه أفضل أموال أعدائه بنير قتال ولا ليخاف خيل ولا رجل ؛ فلما دعا موسى
 عليهم مسخ الله تعالى الأموال التي بقيت في أيديهم حجارة حتى النخل والرفيق .

وقال محمد بن كعب : سألنى عمر بن عبد العزيز عن الآيات التي أراهن الله
 تعالى فرعون وقومه ؛ فقلت : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا
 واليد البيضاء والطمس وقلق البحر .

قال عمر : كيف يكون الفقه إلا هكنا . ثم دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب
 لعبد العزيز بن مروان لما كان على مصر من بقايا آل فرعون ، فأخرج البيضة
 مقسومة نصفين كأنها الحجر، والجوزة مشقوفة نصفين وكأنها الحجر، والجصصة والعدة.
 وروى ابن إسحاق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال : ورأيت نخلة
 مصروعة كأنها الحجر .

قال : ورأيت إنسانا وما شككت أنه إنسان وإته لحجر؛ وكان المسخ في أرقانهم
 دون أحرارهم ، إذ العبيد من جملة أموالهم ؛ فلم يبق لهم مال إلا مسخه الله تعالى
 ما خلا الذي في أيدي بنى إسرائيل من الخلى والجواهر وأنواع الزينة .

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : أول الايات المعصا ، وآخرها الطمس ؛ وبلغنا أن الدنانير والدرهم صارت حجارة منقوشة كهيتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا ، وجعل سكرهم حجارة ، وبعض المسخ من الآدميين باقى مشاهد إلى وقتنا هذا ، وقد شاهدتُ أنا منه شخصا شكل خادم وهو جالس على كرسي بقرب البيت الأخضر ببلاد الجزيرة ، وذلك في شهر سنة سبع عشرة وسبعائة ، ولعله من ذلك المسخ ؛ والله أعلم .

ذكر خبر قتل الماشطة

قال : وكانت لبنات فرعون ماشطة - وهى امرأة حزقيل المؤمن - فبينما هى تمشط إحدى بناته إذ سقط المُشط من يدها ، فقالت : نَمَسَ من كُفْرِ بالله . فقالت لما أبنة فرعون : إنما تريدن من كُفْرِ أبى . فقالت : إنما عَيَّبَ من كُفْرِ بالله موسى . فقامت إلى أبيها وأخبرته ؛ فغضب وأحضرها وقال : ما الذى بلبنى عنك ؟ قالت : صدقوا ، أنا مؤمنة بالله موسى ، فَأَقِصْ مَا أَنْتَ قَاصِصٌ . فشدتها إلى أوتاد من حديد ، وأحضر أولادها الثلاثة ، وعرض عليها أن تؤمن به ؛ فابت ، فذبحهم على صدرها وهى تُمجِّد الله تعالى ؛ ثم طرحها في تنور من نحاس وأحرقها فيه وأحرق أولادها .

ذكر خبر قتل آسية بنت مزاحم امرأة فرعون

قال : لما قتل فرعون الماشطة ، سمعت آسية الملائكة تمدحها بالجنة ، فقامت من مجلسها وهى تقول : يا إله موسى البسنى الصبر وأرزقنى الشهادة وأبني لى عندك بيتا فى الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ، ونرجت على فرعون وهى حاسرة عن وجهها ، وقالت له : يا ملعون ، الى كم تقتل أولياء الله

وتأكل رزق الله وتكفر نعمته ولا تشكره، وترى آياته ولا تعتبر بها؟ فقال لوزرائه:
قد أفسد على موسى حتى آسية، واستشارهم في أمرها، فأشاروا عليه بقتلها، فأمر
بترع ما عليها، وشدها إلى أوتاد في الأرض، وضرب وتدّين في صدرها فماتت
- رضى الله عنها - .

ذكر خبر أنقطاع النيل وكيف أجراه الله عز وجل لفرعون

قال الكسائي: ثم بعث الله تعالى الظلمة على أهل مصر ثلاثة أيام، فلم يعرفوا
الليل من النهار، وأقطع عنهم النيل حتى أضربهم العطش، فشكوا ذلك إلى فرعون
فأمر بجمع الجنود ونهرج ليُجرّيه، فلما قرب من مكانه أنفرد عن القوم ونزل عن
فرسه وقال: إلهي إني لا إله إلا أنت، وحملك الذي يحملني
أن أسألك ما ليس لي بحق، وإلهي خلّقك، وقد علمت ما هم فيه من العطش
وأنت المتكفل بأرزاقهم، اللهم أجّرهم النيل. فإفرغ من كلامه حتى أنصب
النيل، وركب فرسه والنيل يجري معه إن سار سار وإن وقف وقف، حتى
دخل مصر، فسجد القوم له، وازدادوا كفرا، وعجب موسى وهارون لذلك .

ذكر خبر غرق فرعون وقومه

قال الكسائي: ولما رجع فرعون يمجّوده وقد أجرى لهم النيل بزعمهم، دخل
عليه جبريل في صورة آدمي حسن الهيئة، فقال له: من أنت؟ قال: عبد من
عبد الملك جئتكم مستعديا على عبد من عبيدي مكّته من نعمتي، وأحسنّت إليه
كثيرا، فأستكبر وبني وحمدني حتى وتسمّى بأسمي، وأدعى في جميع ما أنعمت
عليه به أنه له، وأنه لا منعم عليه به. قال فرعون: بشئ ذلك من العبيد. قال
جبريل: فما جزاؤه عندك؟ قال: يُترَق في هذا البحر. فقال له جبريل: أسألك

أن تكتب لى خطك بذلك . فكتب له فرعون خطاً ، وأخذ جبريل وجاء به إلى موسى ، وأمره عن الله عز وجل أن يتحل بقومه عن مصر ؛ فنادى موسى فى بنى إسرائيل وأمرهم بالرحيل ؛ فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف .

قال التلمبى : ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يحد فيهم ابن سبعين سنة ولا ابن عشرين سنة ؛ ولكن هؤلاء المقاتلة سوى النرية . وأهل التوراة يقولون : إنه لا يحد فيهم ابن خمسين سنة ولا ابن عشرين سنة ، لا خلاف عندهم فى هذا ويرعون أنه نص التوراة .

قال الكسانى : فلما سمع فرعون بارتحالم أمر باجتماع جنوده ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ . فاجتمعوا وهم لا يحصون كثرة .

قيل : إن هامان كان على مقدمة فرعون بألف ألف وستمائة ألف .

وقال التلمبى : ألف ألف وسبعمائة ألف رجل على ألف ألف وسبعمائة ألف حصان .

قال : وقال ابن جريج : أرسل فرعون فى أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور ، مع كل ملك ألف رجل ؛ ثم خرج فرعون خلفهم فى الدُّم ، وكان فى عسكره مائة ألف حصان أدم سوى سائر الشيات ، وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ .

قال الكسانى : وساروا حتى قربوا من موسى ومن معه ، فقالوا : يا موسى ، قد لحقنا فرعونُ يجنوده ، والبحر أمامنا والسيف وراءنا . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ .

فاوحى الله تعالى إلى موسى : ﴿ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ فضر به (فأتفق) ٢٠ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وصار فيه اثنا عشر طريقاً للأسياط الإثني عشر

بفعلوا يسرون وموسى أمامهم وهارون وراحم ، وجعل الله بينهم فتحا ليرى بعضهم بعضا ، وجاء فرعون ومن معه إلى البحر ورأى تلك الطرق فيه ، فقال له امان : هذه تفرقت من هيبتي . وقصد الاقتحام فلم يطاوعه فرسه — وكان حصانا — وقرر من العبور ؛ فأتاه جبريل على رمكة في صورة آدمي ، فدنا من فرعون وقال : ما يمنعك من العبور ؟ وتقدم إلى جنبه ، فأشتم فرعون رائحة الرمكة تبعها ودخل فرعون وجنوده وجبريل أمامهم وميكائيل يسوق الناس ، حتى لم يبق من جنود فرعون أحد على الساحل ، بغاه جبريل بخطه ؛ فلما رآه فرعون علم أنه هالك وأنضمت الطرق ، وأغرق الناس ، وفرعون ينظر إليهم ؛ قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَدْرَكُهُ أَفْرَقُوا قَالَ أَتَسْتَأْذِنُ لَّاهِلًا لِّدُنِّي لِيَفْجُرْجَنَ يَأْتِي الشَّوْبَكَ حَقِيقًا لَّئِن لَّمْ يَهِتُمْ فَلَاحِقُوا لَكُمُ النَّارُ فَسَوْفَ عَاثِرِينَ ﴾ . فقال له جبريل : الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين .

ثم غرق فرعون وجميع من معه وبنو إسرائيل ينظرون إليهم ؛ ثم قال بنو إسرائيل : إن فرعون لم يفرق . فأمر الله تعالى البحر فالتقاء على الساحل . قال الله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْجِبُكَ يَدُنَا إِنَّا فَاعِلُونَ ﴾ .

قال : فلما عبر موسى البحر بنى إسرائيل إلى الطور ، إذا هم في طريقهم بقوم يبعدون الأصنام ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْجَهُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ثم قال أغير الله أنبياءكم إنما وهو فضلكم على العالمين ، وذكرم بنم الله تعالى عليهم ، وأمرهم بالتوبة والاستغفار ؛ ثم ساروا وفي قلوبهم حب الأصنام حتى قربوا من الطور .

ذكر خبر ذهاب موسى — عليه السلام — لميقات ربه
وطلبه الرؤية وخبر الصاعقة والإفافة

حكى أبو إسحاق الثعلبي في تفسير قوله تعالى : (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) .

قال : كان ذلك في شهر ذى القعدة وعشر من ذى الحجة .

قال : وذلك أن موسى — عليه السلام — كان قد وعد بنى إسرائيل وهو بمصر
إذا خرجوا منها وهلك عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون ؛ فلما
أهلك الله تعالى فرعون وقومه وأستقذ بنى إسرائيل من أيديهم ، وأنتهم من
عدوهم ، ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة يتنون إليها ، قالوا : يا موسى آتتنا بالكتاب
الذى وعدتنا به . فسأل موسى ربه تعالى ذلك ؛ فأمره أن يصوم ثلاثين ليلة ثم
يتطهر^(١) ويطهر ثيابه ويأتى طور سيناء ليكلّمه ويعطيه الكتاب ؛ فصام ثلاثين يوما ؛
فلما صعد الجبل أنكر خلوف فمه ، فأستاك بعور خروب .

وقال أبو العالية : أخذ من لحاء الشجر قصه ؛ فقالت له الملائكة : كنا ننمّ
من فمك رائحة المسك فأفسدته بالسواك . فأوحى الله تعالى إليه أن صم عشرة أيام
أخر ، وقال له : أما علمت يا موسى أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح
المسك ؟

قال : وكانت فتنة بنى إسرائيل في العشرين ليل التي زادها الله تعالى ؛ فلما مضت
أربعون ليلة تطهر موسى ويطهر ثيابه لميقات ربه ؛ فلما أتى طور سيناء كلّمه ربه
وناجاه ، وقربه وأدناه ، كما قال تعالى : (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) .

قال وهب : كان بين الله تعالى وبين موسى سبعون حجاباً ، فرضها كلها
إلا حجاباً واحداً ، فسمع موسى كلام الله تعالى واشتاق إلى رؤيته وطمع فيها ، فقال
ما أخبر الله — عز وجل — به عنه في كتابه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى
لِجِبَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾ . فقال الله تعالى له : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾
وليس يطبق البشر النظر إلى في الدنيا ، من نظر إلى مات . قال : إلهي سمعت
كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ، ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب إلى من أن
أعيش ولا أراك . فقال له تعالى : ﴿ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ﴾ وهو أعظم جبل يقال
له : (الزبير) .

قال : وذلك أن الجبال لما علمت أن الله تعالى يريد أن يتجلى لجبل منها
تماظمت وتشاخت رجاء أن يتجلى الله تعالى لها ، وجعل الزبير يتواضع من بينها
فلما رأى الله تعالى تواضعه رفعه من بينها ، وخصه بالتجلي ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ
انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ مَكَّانَهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ ﴾ . فتجلى الله تعالى للجبل .

قال : واختلف العلماء في معنى التجلي ؛

قال ابن عباس : ظهر نوره للجبل .

وقال الضحاك : أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور .

٨٤

وقال عبد الله بن سلام وكعب : ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل إلا مثل
سم الخياط حتى صار دكا .

وقال السدي : ما تجلى منه إلا قدر الخنصر .

وقال الحسن : أوحى الله تعالى إلى الجبل فقال : هل تطيق رؤيتي ؟ فنار

الجبل وساخ في الأرض وموسى ينظر إليه حتى ذهب أجمع .

٢٠

قال أبو إسحاق : قال أبو بكر محمد بن عمر الوزاق : حُكي لي عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر درهم ، فجعل الجبل دكا .

قال أبو بكر : فصدَّب إذ ذاك كلُّ ماء ، وأفاق كلُّ مجنون ، وبرأ كلُّ مريض وزال الشوك عن الأشجار ، وأخضرت الأرض وأهتت ، ونمدت نيران المجوس ونحرت الأصنام لوجوهها .

وقال السدي : ما تجلَّى للجبل إلّا مقبدار جناح بعوضة ، فصار الجبل دكا .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : ترابا .

وقال سفيان : ساخ حتى وقع في البحر .

وقال عطية الموقى : صار رملا هائلا .

وقال الكلبي : (جَعَلَهُ دَكًا) ، أى كُسِرَ جبالا صغارا .

وعن أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا) قال : صار بعظمة الله ستة أجيل ، ف وقعت

ثلاثة بالمدينة : أحد ، وورقان ، ورضوى ^(١) . و وقعت ثلاثة بمكة : ثور ، وثبير

وحراء . (وَنَحْرُ مُوسَى صَعِقًا) . قال ابن عباس — رضى الله عنهما — :
مغشيا عليه .

وقال قتادة : ميتا .

وقال الكلبي : نحر موسى صعقا : يوم الخميس يوم عرفة ، وأعطى التوراة

يوم الجمعة يوم النحر .

(١) في الأصل : « وقانا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : « وروضا » ؛ وهو تحريف .

قال الواقدي : لما خر موسى صعبا قالت الملائكة : ما لأبن عمران ومُؤاَل
الرؤفة .

قال وهب : لما سأل موسى الرؤفة أرسل الله تعالى الضباب والصواعق
والظلمة والرد والبرق فأحاطت بالجل الذي عليه موسى ، وأمر الله تعالى ملائكة
السموات أن يُعرضوا على موسى أربعة فراعخ من كل ناحية ؛ فزت ملائكة سماء
الدفنا كثران البقر ، تُتابع أفواهُهم التقديس والتسبيح بصوت عظيم كصوت الرد
الشديد ؛ ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية : أن أهبطوا على موسى . فهبطوا
عليه مثل أسد لم نجيب بالتسبيح والتقديس ؛ ففرزع موسى مما رأى وسمع
وأقشعر جلده ، ثم قال : ندمتُ على مسألتى ، فهل يجنبني من مكافى الذى أنا
فيه شئ ؟ فقال له حبر الملائكة ورأسهم : يا موسى أصبر لما رأيت ، فقليل من
كثير رأيت . ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كأمثال النور ، لم قصف ورجف
بالتسبيح والتهليل والتقديس بحلب الجيش العظيم وكلهب النار ؛ ثم هبطت عليه
ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شئ من الذين مروا به قبلهم ، ألوانهم كلهب
النار ، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض ، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس
لا يقاربهم شئ من أصوات الذين مروا به قبلهم ؛ ثم هبطت عليه ملائكة السماء
الخامسة فى سبعة ألوان ، فلم يستطع موسى أن يتبعهم الطرف ، لم ير مثلمهم
ولا سمع مثل أصواتهم ، وأمثلا جوف موسى فزعا ، وأشتد حزنه وكثر بكؤه ؛
ثم قال له حبر الملائكة ورأسهم : يا بن عمران ، مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ؛
ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء السادسة أن أهبطوا على عبدى الذى أراد أن يرانى ؛
فُرضوا عليه وفى يد كل منهم حربة مثل التخل الطويلة ، نارها أشد ضوا من
الشمس ، ولباسهم كلهب النيران ، إذا سبّحوا وقَدَسوا جاوبهم من كان قبلهم

من ملائكة السموات ، كلهم يقولون بشدة أصواتهم : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَرْءَةِ
أَبَدًا لَا يَمُوتُ . وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه ؛ فلَمَّا رَأَى رَفَعَ صَوْتَهُ يَسْبِّحُ
مَعَهُمْ وَيَبْكِي وَيَقُولُ : رَبِّ أَذْكُرُنِي وَلَا تَنْسَ عَبْدَكَ ، لَا أَدْرِي هَلْ أَتَخَلَّصُ مِمَّا
أَنَا فِيهِ أَمْ لَا ، إِنْ خَرَجْتُ أَحْزَمْتُ وَإِنْ مَكَثْتُ مِتُّ . فقال له كبير الملائكة
ورئيسهم : قد أوشكت يا بن عمران أن يشتد خوفك ويخطف قلبك ، فاصبر للذي
سألت .

ثم أمر الله تعالى أن يُجَلَّ عَرْشُهُ فِي مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فقال : أَرُوهُ إِيَّاهُ .
فلَمَّا بَدَأَ نُورُ الْعَرْشِ أَفْرَجَ الْجَبَلُ مِنْ عِظَمَةِ رَبِّ الْمَرْءَةِ ، وَرَدَّدَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ
أَصْوَاتَهُمْ جَمِيعًا ، فَأَرْجَحَ الْجَبَلُ ، وَأَنْدَكَتْ كُلُّ شَجَرَةٍ كَانَتْ فِيهِ ، وَتَرَوُ مُوسَى صَحِيقًا
لَيْسَ مَعَهُ رُوحُهُ ؛ فَظَلَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَبَلَ الَّذِي كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ كَهَيْئَةِ الْقُبَّةِ
لَقَدْ يَحْتَرِقُ مُوسَى ؛ وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَ الْحَيَاةِ بِرَحْمَتِهِ ؛ فَقَامَ مُوسَى يَسْبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى
وَيَقُولُ : آمَنْتُ أَنْتَ رَبِّي وَصَدَّقْتُ أَنْهَ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ ، فَتَجَنَّبَنِي ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى
مَلَائِكَتِكَ أَخْلَعَ قَلْبُهُ ، فَمَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ مَلَائِكَتَكَ ! أَنْتَ رَبُّ الْأَرْبَابِ وَإِلَهُ
الْأَلَمَةِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ ، لَا يَمْلِكُ شَيْءٌ ، وَلَا يَقُومُ لَكَ شَيْءٌ ، تَبَّتْ إِلَيْكَ ، الْحَمْدُ لَكَ
لَا شَرِيكَ لَكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

ذكر خبر الألواح وزول التوراة والعشر كلمات

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَمَلَهُ دَكًّا وَتَرَوُ مُوسَى صَحِيقًا فَلَمَّا أَتَاهُ
قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى
النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي نَخَذُ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَاهُ فِي الْأَلْوَابِ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ نَخَذْنَاهُ قُوَّةً) .

قال التلمی: ثم بعث الله جبريل — عليه السلام — إلى جنة عدن فقطع منها شجرة ، فأتخذ منها تسعة ألواح ، طول كل لوح عشر أذرع بذراع موسى ، وكذلك عرضة ، وكانت الشجرة من زمرد أخضر ؛ ثم أمر الله تعالى جبريل أن يأتيه بسبعة أغصان من سدرة المنتهى ؛ بفناء بها ، فصارت جميعها نورا ، وصار النور قلبا طاف فيما بين السماء والأرض فكتب التوراة ، وموسى يسمع صرير القلم ؛ فكتب الله تعالى له ﴿ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وذلك يوم الجمعة ، فاشرفت الأرض بالنور ؛ ثم أمر الله تعالى موسى أن يأخذها بقوة ويقرئها قومه ؛ فوضعت الألواح على السماء فلم تطق حملها لنقل العهود والمواثيق ؛ فقالت : يا رب كيف أطيق حمل كتابك الكريم الثقيل المبارك ؟ وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك ؟ فبعث الله تعالى جبريل وأمره أن يحمل الألواح فيلقها موسى ، فلم يطق حملها ، فقال : يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها من النور والبيان والعهود ؟ وهل خلقت خلقا يطيق حملها ؟ فأمد الله تعالى بملائكة يحملونها بمدد كل حرف من التوراة ؛ فحملوها حتى بلغوها موسى ؛ فعرضوا له الألواح على الجبل ، فأنصدع الجبل وخشع ، وقال : يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها ؟ فلما وضعتها الملائكة على الجبل بين يدي موسى — وذلك عند صلاة العصر — قبض موسى عليها فلم يطق حملها ، فلم يزل يدعو حتى هيا الله تعالى له حملها ؛ فحملها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ رِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي نَخَذُ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : وأما العشر كلمات التي كتبها الله تعالى لنبيه موسى في الألواح — وهي معظم التوراة ، وعليها مدار كل شريعة — فهي : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، هذا

- كَتَابَ مِنْ أَفْهَمِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ الْعَزِيزِ الْقَهَّارِ لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، سَبَّحْنِي
 وَقَدِّمْنِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَلَا تَشْرِكْ بِي شَيْئًا ، وَأَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى
 الْمَصِيرِ ، أَحْيِكَ حَيَاةَ طَيِّبَةٍ ؛ وَلَا تَقْتُلْ أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَتَضِيقَ عَلَيْكَ
 السَّمَاءُ بِاقْطَارِهَا وَالْأَرْضُ بِرُحْبِهَا ؛ وَلَا تَخْلِفْ بِأَسْمِي كَاذِبًا فَإِنِّي لَا أَطْهَرُ وَلَا أَزْكِي
 مِنْ لَمْ يَعْظَمَ أَسْمِي ؛ وَلَا تَشْهَدْ بِنَا لَا يَبِي سَمْعُكَ وَلَا تَنْظُرَ عَيْنُكَ وَلَمْ يَقِفْ قَلْبُكَ عَلَيْهِ .
 فَإِنِّي أَقْفُ أَهْلَ الشَّهَادَاتِ عَلَى شَهَادَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَسْأَلُهُمْ عَنْهَا ؛ وَلَا نَحْسُدُ
 النَّاسَ عَلَى مَا آتَيْتَهُمْ مِنْ فَضْلِي وَرِزْقِي ، فَإِنَّ الْحَاسِدَ مَدْعُو لِنَعْمَتِي ، سَاخِطٌ لِقِسْمَتِي ؛
 وَلَا تَزِنْ وَلَا تَسْرِقْ فَاجْحَبَ عَنْكَ وَجْهِي ، وَأُطْلِقَ دُونَ دَعْوَتِكَ أَبْوَابَ السَّمَوَاتِ ؛
 وَلَا تَذْجُ لِنَفْسِي ، فَإِنَّهُ لَا يَصْعَدُ إِلَى مَنْ قُرْبَانَ الْأَرْضِ إِلَّا مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ أَسْمِي ؛
 وَلَا تَعْدِرْكَ بِجَلِيلَةِ جَارِكَ فَإِنَّهُ أَكْبَرُ مَقْنَا عِنْدِي ؛ وَأَحَبُّ لِلنَّاسِ مَا تَحَبُّ لِنَفْسِكَ .
 فهذه العشر كلمات ؛ وقد أنزل الله — عز وجل — على نبيتنا محمد — صلى الله
 عليه وسلم — مثلها في ثمانى عشرة آية ، وهى قوله تعالى فى سورة بنى إسرائيل :
 ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَنْتَلِغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ
 أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ
 لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا
 فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتََا الْقُرْبَى حَقَّهُ
 وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ اثْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا
 فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَبْسُورًا * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ
 فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ
 خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ

خَطَا كَبِيرًا * وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ
فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا
بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْسَسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّكَ لَنْ تَحْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ
مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
فَقُلْنَا فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿١﴾ ثم جمعها في آيتين من سورة الأنعام ، وهي قوله
تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾

وقد روى أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله
عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أعطى الله موسى الألواح
نظر فيها وقال : يارب لقد أكرمتني بكرامة لم تُكرم بها أحدا قبلى . ﴿ قَالَ يَا مُوسَى
إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ ﴾ .

- (١) وأخرج الحافظ : تموت على حبِّ محمد عليه السلام . قال موسى : ياربِّ وما محمد؟ قال : أحمد الذي أثبتَّ اسمه على عرشي من قبل أن أخلق السموات والأرض بألْفَى عام، وإنه لنبِّي وحبيبي وخيرتي من خلقي، هو أحبُّ إليَّ من جميع خلقي ومن جميع ملائكتي . قال : ياربِّ إن كان محمد أحبَّ إليك من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمِّي ؟ قال الله تعالى : إنَّ فضل أمة محمد — عليه السلام — على سائر الأمم كفضله على سائر الخلق . قال : ياربِّ ليتني رأيتهم . قال : إنَّك لن تراهم ، ولو أردتَ أن تسمع كلامهم لسمعت . قال : ياربِّ فإني أريد أن اسمع كلامهم . قال : يا أمة محمد . فأجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَيْكَ لا شريك لك . قال الله تعالى : يا أمة محمد . إنَّ رحمتي سبقت غضبي، وعفوي عقابي . قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني، وقد أجبته من قبل أن تدعوني، وقد غفرت لكم من قبل أن تعصوني . من جاء يوم القيامة يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثرَ من زبد البحر . وهذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُ بِمَجَانِبِ الْغُرَبِيِّ إِذْ قَضَيْتُنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

- ١٥ وروى الثعلبي أيضا بسند رفعه إلى (كعب الأحبار) أنه رأى حبرا من أحبار اليهود يكي، فقال له : ما يبيحك . ؟ فقال له : ذكرتُ بعض الأمر . فقال كعب : أنشدك الله إن أخبرتك بما أبالك أتصدقني ؟ قال : نعم . قال : أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المتزل أن موسى نظر في التوراة فقال : إني أجد أمة هي خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، يؤمنون بالكتاب الأول

٢٠ (١) في الأصول « وأخذ » : وهو تصحيف لا يستقيم مع بقية الكلام . ولعل صوابه ما أثبتنا .

وبالكتاب الآخر، ويقاطلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور البجّل . فقال موسى : يا ربّ أجعلهم أمتي . قال : هي أمة أحمد يا موسى . فقال له الخبر : نعم . قال كعب : أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المتزلّ أن موسى نظر في التوراة فقال : إني أجد أمة هم الحامدون ، الرطة الشمس^(١) المحكون ، إذا أرادوا أمرا قالوا : " ففعله إن شاء الله تعالى " فاجعلهم أمتي . قال : هي أمة أحمد يا موسى . قال له الخبر : نعم . قال : أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المتزلّ أن موسى نظر في التوراة فقال : ربّ إني أجد أمة يا كلون كفاراتهم وصدقاتهم .

قال : « وكان الأولون يحرّقون صدقاتهم بالنار ، غير أن موسى كان يجمع صدقات بني إسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة إلّا اشتراه ثم اعتقه من تلك الصدقة وما فضل حفر له حفرة عميقة وألقاه فيها ، ثم دفنه كيلا يرجعوا فيه » وهم المسبحون والمسيح لهم ، وهم الشافعون والمشفّع لهم . قال موسى : يا ربّ أجعلهم أمتي . قال : هم أمة أحمد يا موسى . قال الخبر : نعم . قال كعب : أنشدك الله أنجد في التوراة أن موسى نظر في التوراة فقال : إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبير الله تعالى ، وإذا هبط وأديا حمد الله تعالى ، الصعيد لم يلهو بالأرض لم يمسجد حينما كانوا ، يتطهرون من الجنابة ، طهّورهم بالصعيد كلّهوهم بالماء حين لا يحدون الماء ، غرّ محجلون من آثار الوضوء ، فأجعلهم أمتي . قال : هي أمة أحمد يا موسى . قال الخبر : نعم . قال كعب : أنشدك الله

هل تجد في كتاب الله المتزلّ أن موسى نظر في التوراة فقال : يا ربّ إني أجد أمة إذا هم أحدهم بمحسنة ولم يعملها تُكْتَبْ له ، فإن عملها ضوعفت عشر أمثالها إلى سبعة ضعف ، وإذا هم بسئلة ولم يعملها لم تُكْتَبْ عليه ، وإن عملها تُكْتَبْ عليه . (١) يريد بالشمس بضم الشين : الأعزاء الذين لا يتعادون لقلّة ويشسون ، أي يتبنون ويأبون .

سَيِّئَةٌ مِثْلَهَا . فَأَجْعَلُهُمْ أُمَّتِي . قال : هي أمة أحمد يا موسى . قال الحبر : نعم .
قال كعب : أنشدك الله أتجد في كتاب الله المتزل أن موسى نظر في التوراة فقال :
رَبِّ إِنِّي أَجِدُ أُمَّةً مَرْحُومَةً ضَعُفَاءَ ^(١) "يَرْثُونَ الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا" (فَيْنَهُمْ ظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) فلا أجد أحدا منهم إلّا مرحوما
فأجعلهم أمتي . قال : هي أمة أحمد يا موسى . قال الحبر : نعم . قال كعب :
أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المتزل أن موسى نظر في التوراة فقال : يارب إِنِّي
أَجِدُ أُمَّةً مَرْحُومَةً ، مَصْحُوفُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ ، يَلْبَسُونَ أَلْوَانَ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
يُصَفُّونَ فِي صَلَاتِهِمْ صُفُوفًا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ ، أَصْوَاتُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَدَوَى
النَّحْلِ . لَا يَدْخُلُ النَّارَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ الْحَسَابِ مِثْلَ مَا يُرَى الْمَجْرَمُ مِنْ وَرَاءِ
الشَّجَرِ . فأجعلهم أمتي . قال : هي أمة أحمد يا موسى . قال الحبر : نعم . قال :
فمُعْجَبٌ مُوسَى مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عَهْدًا وَأَمَّتَهُ ، وَقَالَ : يَا لَيْتَنِي مِنْ أَصْحَابِ
عِجْد . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ ثَلَاثَ آيَاتٍ يَرْضِي بِهِنَّ (يَا مُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى
النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي) إِلَى قَوْلِهِ : (دَارَ الْفَاسِقِينَ) (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) .

قال : فرضى موسى كل الرضا .

ولنصل هذا الفصل بما ورد في تفسير قوله تعالى : (سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)
وقوله : (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) .

قال الثعلبي : قال أهل المعاني : هذا كقول القائل لمن يخاطبه : « ساريك

غدا إلى ما تصير إليه حال من يخالف أمرى » على وجه الوعيد والتهديد .

(١) كذا وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في الأصول . ويلاحظ أن قوله تعالى « الذين »
غير واضح موقعا من الإعراب فيها بخلاف موقعا من الآية المكتوبة منها وهي قوله تعالى : « ثم أوردنا
الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا » .

وقال مجاهد : سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ، يعنى مصيرهم فى الآخرة .

وقال الحسن : جهنم .

وقال قتادة وغيره : سادخلكم الشام فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعالمقة .

وقال عطية العوفى : معناه سار يكم دار فرعون وقومه ، وهى مصر .

قال أبو العالية : رُفِعت مصر لموسى حتى نظر إليها .

وقال السدى : دار الفاسقين : مصارع الفاسقين ، ما يمزون طيه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلکوا .

وقال ابن كيسان : دار الفاسقين ، يعنى إلى ما يصير قرارهم فى الأرض .

وقيل : الدار المهلكة ، وجمعه أدوار ؛ وذلك أن الله تعالى لما أغرق فرعون وقومه أمر البحر أن يخذف أجسادهم إلى الساحل ؛ ففعل ، فنظر إليهم بنو إسرائيل ، فأراهم هلاك الفاسقين .

وقال يمان : يعنى مسكن فرعون .

وأما ما ورد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ١٥ .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، يعنى بنى إسرائيل ﴿ أُمَّةٌ ﴾ جماعة ﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ ، أى يرشدون إلى الحق .

وقيل : معناه يهتدون ويستقيمون عليه ويعملون به ﴿ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ أى ينصفون من أنفسهم لا يمحورون .

قال السدي : هم قوم يتكلم وينهم نهر من شهد .

وقال ابن جريج : بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا — وكانوا اثني عشر سبطاً — تبرأ سبط منهم ؛ واعتذروا وسألوا الله تعالى أن يفزق بينهم وبينهم . ففتح الله تعالى لهم نَقْعاً في الأرض ، فصاروا فيه سنةً ونصفاً حتى خرجوا من وراء الصين ؛ فهم هناك حفاةً مسلمون مستقبلون قبَلتنا .

قال الكلبي وربيعة والضحاك وعطاء : هم قوم من المغرب خلف الصين على نهر يحسب الرمل يسمى نهر أوران ، وليس لأحدهم مال دون صاحبه ؛ يُعْطَرُونَ بالليل ، ويصَحَّون بالنهار ويزرعون ، لا يصل إليهم من أحد ولا منهم إلينا وهم على الحق .

- ١٠ قال : وذكر عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أن جبريل ذهب به ليلة أُسْرِيَ به إليهم ؛ فكلَّهم ؛ فقال لهم جبريل : هل تعرفون من تكلمون ؟ قالوا : لا . قال : هذا عهد النبي الأُمِّي . فآمنوا به وقالوا : يا رسول الله ، إن موسى أو صانا وقال : من أدرك منكم أحمد فليقرأ مني عليه السلام . فرد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على موسى وعليهم السلام ؛ ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضةً سوى الصلاة والزكاة ، فأمرهم بالصلاة والزكاة ، وأمرهم أن يقيموا مكاثرهم ، وكانوا يسيئون ، فأمرهم أن يُجْمَعُوا ويتركوا السبت .

حكاه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره .

نرجع إلى تنمة أخبار موسى — عليه السلام — .

(١) كذا في (ج) . والقي في (١) « بحرى الرمل » .

٢٠ (٢) كذا في (١) . والقي في (ج) « أرداف » مضبوطاً بالقلم بفتح الحزنة وسكون الراء .

ذكر خبر السامري وأخذه العجل وافتتان بنى إسرائيل به
قال الكسائي والثعلبي وغيرهما من أهل السير ما مختصره ومعناه : إن موسى
— عليه السلام — لما توجه إلى البقعة المباركة التي كلمه الله تعالى فيها لميقات
ربه، استخلف أخاه هارون على بنى إسرائيل، وكان السامري فيهم .

وأخلف فيه، فقال قتادة والسدي : كان السامري من عظماء بنى إسرائيل من
قبيلة يافا لما : (سامرية) ولكنه عدوه منافق .

وقال سعيد : كان السامري من (كرمان) .

وقال غيرهم : كان رجلا صائفا من أهل باجرما، واسمه ميخا .

وقال ابن عباس — رضي الله عنهما — : اسمه موسى بن ظفر، وكان رجلا منافقا
وقد أظهر الإسلام ؛ وكان من قوم يمدون البقر، فدخل قلبه حب البقر، فلما
ذهب موسى — عليه السلام — لميقات ربه — وكان قد واعد قومه ثلاثين ليلة فأتىها
الله بعشر، كما أخبر الله عز وجل — فعذب بنو إسرائيل ثلاثين، فلما لم يرجع إليهم
موسى آفقتوا وقالوا : إن موسى أخلفنا الوعد ؛ فأغتنمها السامري ففعل ما فعل .

وقال قوم : إنهم عدوا الليلة يوما واليوم يوما ، وكان موسى قد واعدهم
أربعين ، فلما مضت عشرين يوما آفقتوا . فأتاهم السامري وقال : إن موسى قد
أحتس عنكم، فيبغى لكم أن تتخذوا إلها، فإن موسى ليس يرجع إليكم ، وقد تم
الميقات . وإنما طمع فيهم السامري لأنهم في اليوم الذي أنجاهم الله من فرعون
وطلعوا من البحر، كان من أمرهم ما أخبر الله تعالى عنهم في قوله : (وَجَاوَزْنَا
بَيْنَ يَدَيْ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا

(١) في شرح القاموس أن اسم هذه القبيلة «سامر» بدون هاء .

إِلَهُمَا كَمَا لَهُمْ إِلَهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿١٠﴾ فطمع السامريُّ فيهم وأغتنمها ، فلما تأخر موسى عن الميقات - وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلْيَ آل فرعون كما قدمنا ؛ فلما فصل موسى قال هارون لبني إسرائيل : إِنْ حَلَى الْقَبْطُ الَّذِي اسْتَعْرْتُمُوهُ غَنِيمَةً ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ ؛ فَاجْمَعُوهُ فَأَحْفَرُوا لَهُ خُفْيَةً وَأَدْفَنُوهُ حَتَّى يَرْجِعَ مُوسَى فَبَرَى فِيهِ رَأْيَهُ . ففعلوا ذلك ، وجاءهم السامريُّ ومعه القُبْضَةُ الَّتِي قَبِضَهَا مِنْ أَثَرِ حَافِرِ فَرَسِ جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

قالوا : وَكَانَ الْجَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَسَ أَتْنَى بَلْقَاءُ يُقَالُ لَهَا : « فَرَسُ الْحَيَاةِ » لَا تَصِيبُ شَيْئًا إِلَّا حَيًّا ؛ فَلَمَّا رَأَى السَّامِرِيُّ جَبْرِيلَ عَلَى تِلْكَ الْفَرَسِ عَرَفَهُ وَقَالَ : إِنَّ لِهَذَا الْفَرَسِ لَشَأْنًا . وَأَخَذَ قُبْضَةً مِنْ تَرَابِ حَافِرِهَا حِينَ عَبَرَ جَبْرِيلُ الْبَحْرَ .

١٠

قالوا : وَإِنَّمَا عَرَفَ السَّامِرِيُّ خَبَرَ الْفَرَسِ دُونَ فَيَرَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لِأَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا أَمَرَ بِذَبْحِ أَوْلَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَعَلَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا وَلَدَتْ الْغُلَامَ أَنْ تُلْقِيَهُ بِهِ سَرًّا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِلَى مَهْرَاءِ أَوْ وَادٍ أَوْ غَارٍ فِي جَبَلٍ فَأَخْفَتْهُ ؛ فَقَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَطْعُمُهُ وَيَسْقِيهِ حَتَّى لَا يَخْتَلِطَ بِالنَّاسِ ، وَكَانَ الَّذِي وَلَّى كِفَالَةَ السَّامِرِيِّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجَعَلَ يَمَسُّ مِنْ أَحَدِي إِهَامِيهِ سَمْنًا ، وَمِنْ الْأُخْرَى عَسَلًا . فَبِنَ ثَمَّ عَرَفَهُ ، وَمِنْ ثَمَّ الصَّبِيِّ إِذَا جَاعَ يَمَسُّ إِهَامَهُ فَيَرَوِي مِنَ الْمَصِّ .

١٥

يرجع إلى خبر بني إسرائيل مع السامري .

قال : فَلَمَّا أَمَرَهُمْ هَارُونُ بِجَمْعِ الْحَلْيِ وَجَمْعُوهُ ، جَاءَ السَّامِرِيُّ بِالْقُبْضَةِ فَقَالَ لِهَارُونُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَأَقْدَفُهَا فِيهِ ؟ فَظَنَّ هَارُونُ أَنَّهَا مِنَ الْحَلْيِ ، وَأَنَّهُ يَرِيدُ بِهَا مَا يَرِيدُ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَقْدَفُ . فَقَذَفَهَا فِي الْخُفْرَةِ عَلَى الْحَلْيِ ، فَصَارَ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ .

٢٠

وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - : أوقد هارون ناراً وأمرهم أن
يخذلوا الحلّ فيها؛ فخذف السامريّ تلك القبضة فيها وقال : « كن عجلاً جسداً
له خوار » . فكان كذلك للبلاء والفتنة .

ويقال : إن الذى قال لى إسرائيل : « إن الغنيمة لا تحل لكم » هو
السامريّ ، فصنّفوه وجمعوها ، فدفنوها إليه فصاغ منها عجلاً فى ثلاثة أيام
ثم خذف فيه القبضة ، فجثا وخار خوّرة ثم لم يعد .

وقال السدى : كان يخور ويمشى ؛ فلما أخرج السامريّ العجل وكان من
ذهب مرصع بالجمارة كأحسن ما يكون ، قال هذا الحكم وإله موسى . فشبه
السامريّ على أوطاد بنى إسرائيل وجهاً لهم حتى أضلّهم وقال لهم : إن موسى قد
أخطأ ربّه فأتاكم ربّه أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدهوكم إلى نفسه بنفسه ، وأنه
لم يبعث موسى لحاجة منه إليه ، وأنه قد أظهر لكم العجل ليحكمكم من وسطه كما
كلم موسى من الشجرة .

قالوا : فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامريّ ، اقتنوا غير اثنى عشر ألفاً
وكان مع هارون ستمائة ألف ، فعكفوا عليه يعبّدونه من دون الله تعالى ، وأحبّوه
حباً ما أحبّوا مثله شيئاً قط ؛ فقال لهم هارون : يا بنى إسرائيل إنما قُتِلَ بِهِ
وَأَنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوا أَمْرِى . قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى
يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى .

فأقام هارون بمن معه من المسلمين ، وأقام من يعبد العجل على عبادته ؛ وخشى
هارون إن سار بمن معه من المسلمين إلى المقتنين الضالّين أن يقول له موسى :
فرقت بين نبيّ إسرائيل .

قال راشد بن سعد : لما واعد الله تعالى موسى أربعين يوما قال الله تعالى :
يا موسى ، إن قومك قد آفقتنوا من بعدك . قال : يا رب كيف يفتنون وقد نجيتهم
من فرعون ومن البحر ، وأنعمت عليهم ؟ قال : إنهم آخذوا العجل إلها من دوني
وهو عجل جسد له خوار . قال : يا رب من قفع فيه الروح ؟ قال : أنا . قال :
أنت — وعزتك — فتتهم ، إن هي إلا فتنتك تفضل بها من نساء وتهدي من نساء
أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الفافرين .

قال : فلما رجع موسى من الميقات الى قومه وقرب منهم ، سمع اللفظ حول
العجل وكانوا يرقصون حوله ، ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره به ربه
تعالى من حديث العجل ، فقالوا : هذا قاتل في المحلة . قال موسى لهم : لا
ولكنها أصوات الفتنة ، افتن القوم بعدنا بعبادة خير الله تعالى .

ذكر خبر رجوع موسى إلى قومه وما كان من أمرهم

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا
خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَفَعِلُمْ أَمْرًا رَبِّكُمْ ﴾ وذلك أنه لما رآهم حول العجل وما يصنعون
فيه ألقي الألواح من يده فتكسرت ، فصعد عاتقة الكلام الذي فيها ، ولم يبق إلا
سلسها ، ثم أعيدت له في لوحين .

روى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — قال : ليس المعادين كالخبر ، قال الله تعالى لموسى : إن القوم قد آفقتنوا
فلما يلقي الألواح ، فلما عين ألقي الألواح فكسرها .

قالوا : فلما رأى موسى ماصع قومه بعده من عبادة العجل ، أخذ شعر رأس
أخيه هارون يمينه ، ولحيته بشماله وقال له : يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا

أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ، هَلَّا قَاتَلْتَهُمْ إِذْ عَلِمْتَ أَنِّي لَوُ كُنْتُ فِيمَا يُنْفِخُ لَهُمْ فَاغْلِبْهُمْ
 عَلَى كُفْرِهِمْ ؟ فقال هارون : يَا بَنَ أُمِّ ، قَالَ الْمَفْسُورُونَ : كَانَ هَارُونَ أَخَا مُوسَى
 لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : يَا بَنَ أُمِّ تَقْرِيبَهُ وَأَسْتَعْطَافَهُ عَلَيْهِ ، لَا تَأْخُذْ
 بِمُحِبَّتِي وَلَا بِرَأْيِي إِنِّي خَشِيتُ ، إِنَّ أَقْطَاعَهُمْ أَنْ يَصِيرُوا حَزِينَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا ، فَتَقُولُ : فَرَّقْتَ بَيْنَ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ، وَلَمْ تَحْفَظْ وَصِيَّتِي
 حِينَ قُلْتَ لَكَ : اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ . وَقَالَ :
 إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَفُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ
 الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . فقال موسى : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ
 أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

١٠ . قال : ثم أقبل موسى على السامري فقال له : ما خطبك يا سامري ، أَى
 مَا أَمْرُكَ وَشَأْنُكَ ؟ فقال السامري : بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً
 مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ، أَى أَخَذْتُ تِرَاسًا مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جَبْرِيلَ فَنَبَذْتُهَا وَطَرَحْتُهَا فِي الْعَجَلِ
 وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ، أَى زَيْتٌ .

١٥ . قال : فلما علم بنو إسرائيل أنهم قد أخطأوا وضلوا في عبادتهم العجل ، ندموا
 عَلَى ذَلِكَ وَاسْتَغْفَرُوا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ
 قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، فقال لهم
 موسى : يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ أَنْظِرْكُمْ بِاتِّخَادِكُمُ الْعِجْلَ تَتَذَكَّرُوا إِلَى بَارِئِكُمْ .
 قالوا : كَيْفَ نَتُوبُ ؟ قَالَ : فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ، أَى يَقْتُلُ الْبَرِيءُ الْمَجْرَمَ ، ذَلِكَ بِمَعْنَى
 الْقَتْلِ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : أبى الله أن يقبل توبة بنى إسرائيل إلا بالحال التي كرهوا أن يقاتلهم حين عبدوا العجل .

﴿٢٢﴾

وقال قتادة : جعل الله توبة عبدة العجل القتل لأنهم ارتكبوا ، والكفر مبيح للدم .

- وقال الكسائي : لما قال موسى لبنى إسرائيل : يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ، سألوه أن يتوب الله تعالى عليهم ؛ فقال الله تعالى ، فأوحى الله تعالى إليه أنه لا توبة لهم ، لأن في قلوبهم حب العجل ، فاجع رماد العجل وألقه في الماء ، وأمرهم أن يشربوا منه فإنه يظهر ما في قلوبهم على وجوههم . ففعل ذلك ؛ فلما شربوا لم يبق أحد مما في قلبه مرض إلا أصفر وجهه ولونه وورم بطنه ، ودام ذلك بهم ، فقالوا : يا موسى ، هل شيء غير التوبة الخالصة وقد أخلصنا في توبتنا حتى لو أمرتنا بقتل أنفسنا فعلنا ؟ فأوحى الله إليه : يا موسى قد رضيت بحكمهم على أنفسهم ، فقل لهم : يقتلوا أنفسهم إن كانوا صادقين في توبتهم . فقال لهم موسى ما أمرهم الله به : (قَتُّوْا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) . فقالوا : كيف نقتل أنفسنا ؟ قال : يقوم من لم يعبد العجل إلى من عبده فيقتله . فقاموا بالسيف والخناجر إلى آلئذين عبدوه وأرسل الله عليهم طليمة فلم يبصر بعضهم بعضا ، حتى كان الرجل يأتي إلى أخيه وأبيه وأبن عمه وقربائه فيقتله وهو لا يعرفه ، ولم يعمل السلاح فيمن لم يعبد العجل حتى خاضوا في الدماء ، وصاح النساء والصبيان إلى موسى : « العفو يا نبي الله » فدعا موسى الله بالعفو عنهم ؛ فلم يعمل السلاح فيهم بعد ذلك ، وقبل الله تعالى توبتهم ، وأرغفت الطليمة عنهم .

قالوا : ثم هم موسى يقتل السامريّ ، فأوحى الله تعالى إليه : لا تقتله فإنه
 معنى ، ولكن أخرجهم عن قومك . فلعنه موسى وقال له ما أخبر الله تعالى به عنه :
 (قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُغْلَفَهُ)
 أى لعذابك في القيامة . (وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ
 ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) .

قال : وأمر موسى بنى إسرائيل ألا يتخالطوا السامريّ ولا يقاربوه ؛ فصار
 السامريّ وحشياً لا يألف ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس أحدا منهم
 فمن سمّه قُرُص ذلك الموضع بالمقراض ، فكان ذلك دأبه حتى هلك .

ذكر خبر امتناع بنى إسرائيل من قبول أحكام التوراة

ورفع الجبل عليهم وإيمانهم

١٠

قال الكسائي : ثم أقبل موسى على بنى إسرائيل بالتوراة وقال : هذا كتاب
 ربكم فيه الحلال والحرام والأحكام والسنن والفرائض ورجم الزاني والزانية المحصنين
 وقطع يد السارق ، والقصاص في كل ذنب يكون منكم . فضجّوا من ذلك وقالوا :
 لا حاجة لنا في هذه الأحكام ، وما كافيه من عبادة العجل كان أرفق بنا من هذا .

قال : فلما آمنتموا من قبول أحكام الله عز وجل قال موسى : يارب قد

١٥

علمت أنهم ردّوا كتابك وكذبوا بآياتك . فأمر الله تعالى جبريل أن يرفع عليهم
 جبل طور سيناء في الهواء ؛ قال الله عز وجل : (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ
 وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) (وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) ؛

(١) يلاحظ أن قوله تعالى : « واسمعوا » الخ ليس من آية السابقة ، بل هو من آية

٢٠

أخرى في سورة البقرة ، وهو قوله تعالى : « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة
 واسمعوا » الخ .

لفعل الجبل يدنو منهم حتى ظنوا أنه يسقط عليهم؛ فأمّنوا ونحروا مبدّداً على أنصاف وجوههم وهم ينظرون إلى الجبل بالنصف الآخر؛ فلأجل ذلك يعبد اليهود كذلك . وردّ الجبل عنهم .

ذكر خبر الحجر الذي وضع موسى — عليه السلام — ثيابه عليه

- قال : وكانوا إذا اغتسلوا لا يسترون عوراتهم ، وإذا اغتسل موسى يستتر فظنوا أنّ في بدنه عيباً ، فتكلموا بذلك ، وكان موسى — عليه السلام — إذا اغتسل وضع ثوبه على حجر وقرعه بعصاه فينفجر الماء منه ، فيغتسل ثم يلبس ثوبه ؛ ففعل ذلك في بعض الأيام ، فلما أراد أن يلبس ثوبه ألقع الحجر من موضعه ومر على وجه الأرض وعليه ثوب موسى ؛ فعدا موسى خلفه وهو يقول : « ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر » ولم يزل يدعو حتى وقف على بني إسرائيل ، فنظروا إلى موسى ولا عيب فيه ، فندموا على ما كان منهم ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ .

ذكر خبر طلب بني إسرائيل رؤية الله تعالى وهلاكهم

بالصاعقة ، وكيف أحياهم الله — عزّ وجلّ — وبعثهم من بعد موتهم

- قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكَ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ • ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

وذلك أن الله تعالى أمر موسى — عليه السلام — أن يأتيه في ناس من

بني إسرائيل ينتدرون إليه من عبادة العجل ؛ فاختر موسى — عليه السلام —

سبعين رجلاً من قومه من خيارهم ، وكان قد اختار من كلّ سبط سبعة نفر ، فصاروا

- أثنين وسبعين ، فقال : إنما أمرت بسبعين ، فليخلف منكم رجلاً ، فشاخنوا على

ذلك ، فقال موسى : إن لمن قعد مثل أجر من خرج . فقعده يوشع بن نون وكالب
 ابن يوقنا ، فقال موسى للسبعين : صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم . ففعلوا ذلك
 فخرج بهم موسى عليه السلام إلى طور سيناء لميقات ربه ، فلما بلغوا ذلك الموضع
 قالوا لموسى : اطلب لنا نسمع كلام ربنا . فقال : أفعل . فلما دنا موسى من
 الجبل وقع عمود الغمام عليه وتَنَشَّى الجبل كله ، فدخل في الغمام وقال للقوم : أدنوا .
 وكان موسى عليه السلام إذا كلمه ربه عز وجل — وقع على وجهه نور ساطع
 لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه الحجاب ، ودنا القوم حتى
 دخلوا في الغمام وخزوا سجدا ، وسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه ، فاسمعه
 الله تعالى : إني أنا الله لا إله إلا أنا ذو الملك ، أخرجكم من أرض مصر فاعبدوني
 ولا تعبدوا غيره . فلما فرغ موسى وأنكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا : لَنَ نُّؤْمِنَ
 لَكَ حَتَّى نَرَى آفَةً جَهْرَةً ، أَى لَنَ نَصَدِّقَكَ ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ، وَهِيَ نَارُ جَامَتٍ
 مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَهُم بِجَمَاعَةٍ .

وقال وهب بن منبه : أرسل الله عليهم جندا من السماء ، فلما سمعوا حسها
 ماتوا في يوم وليلة .

فلما هلكوا جعل موسى — عليه السلام — يبكي ويتضرع ويقول : يا رب
 ما ذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ، ولو شئت أهلكتهم
 من قبل وإياي أتهلكا بما فعل السفهاء منا ، فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم
 الله — عز وجل — رجلا بعد رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون . حكاها
 النعلبي في تفسيره .

وقال الكسائي في هذه القصة : أقبل بنو إسرائيل على موسى وقالوا : أرنا الله جهرة . فأوحى الله تعالى إليه : أكلهم يريد ذلك ؟ — وهو أعلم — فقال الصالحون منهم : إن الله أجل من أن نراه في الدنيا .

وقال الباقون : إنما أمتنع هؤلاء لضعف قلوبهم . فأوحى الله تعالى إليه : أن اختر منهم سبعين رجلا وسرهم إلى جبل الطور ، فسار بهم ، ووقع النمام على الجبل حتى أظله ، وأتاه موسى وهم معه ، فأمر الله تعالى الملائكة أن تهبط إلى الجبل يزيتها وصورها ، فلما نظر بنو إسرائيل إليهم أخذتهم الرعدة والخوف ، وندموا على ما كان منهم ، ونودوا من قبل السماء : يا بني إسرائيل . فصحقوا كلهم وماتوا . وساق نحو ما تقدم .

قال : ورجعوا إلى قومهم وخبروهم بما رأوا .

ذكر خبر قارون

قال المفسرون : إن قارون كان ابن عم موسى ، لأنه قارون بن يصر ابن قاهت .

وقال ابن إسحاق : هو عم موسى ، لأن يصر بن قاهت تزوج شمش^(١)

بنت ماويب بن بريكا بن يمشان بن إبراهيم ، فولدت له عمران بن يصر وقارون ابن يصر .

فعل هذا القول يكون عم موسى ، وعلى قول الآخرين يكون ابن عمه . وعليه عامة أصحاب التواريخ ، وعليه أهل الكتاب ، لا خلاف عندهم في ذلك .

(١) كذا في تاريخ المعنى ورقة ٣٠٠ من الجزء الثاني قسم ثان . والقي في الأصول : ميت بنت

ماويب بن توكيا بن يمشان .

قالوا : وكان قارون أعلم بنى إسرائيل بموسى وهارون وأفضلهم وأجلهم .
 قال قتادة : وكان يسمى المشور لحسن صورته ، ولم يكن في بنى إسرائيل أمراً^(١)
 للثروة منه ، ولكن مدوا لله نافع كما نافع السامري ، فبنى على قومه ، كما قال
 تعالى : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) .

قال الثعلبي : واختلفوا في معنى هذا البنى ما هو ، قال ابن عباس — رضى
 الله عنهما — : كان فرعون قد ملك قارون على بنى إسرائيل ، وكان يبنى عليهم
 ويظلمهم .

وقال عطاء الخراساني وشهر بن حوشب : زاد عليهم في الثياب شبرا .
 وقال شيان من قتادة : بنى عليهم بالكبر والبذخ .

وقال سعيد عنه : بكثرة المال . وكان أغنى أهل زمانه وأترابه ، كما قال
 تعالى : (وَأَيَّتَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) أى ثقيل وتميل بهم
 إذا حلوها لثقلها .

وأختلف المفسرون في عدد العصبة ، فقال مجاهد : ما بين العشرة إلى الخمسة .
 وقال قتادة : ما بين العشرة إلى الأربعين .
 وقال عكرمة : منهم من يقول : سبعين .
 وقال الضحاك : ما بين الثلاثة إلى العشرة .
 وقيل : هم ستون .

وروى جرير عن منصور عن خيشمة قال : وجدت في الإنجيل أن مفاتيح
 خزان قارون كانت وقرستين بفلا غمراً محجلة ما يزيد منها مفاتيح على إصبع
 لكل مفاتيح منها أكثر .

(١) في الأصل «المسور» ، وهو تحريف .

ويقال : إن قارون كان أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه — وكانت من حديد — فلما تهلت عليه جعلها من الخشب ، فثقلت عليه ، فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع ، فحمل معه على أربعين بغلا .

وقال بعضهم : أراد بالمفاتيح الخزائن . وإليه ذهب أبو صالح .

وقال أبو رزين : لو كان مفتاح واحد لأهل الكوفة كان كافيا .

وآختلفوا في سبب اجتماع تلك الأموال لقارون ؛ فقيل : كان عنده علم

الكيمياء .

قال سعيد بن المسيب : كان موسى يعلم الكيمياء ، فعلم يوشع ثلث العلم ، وعلم

كالب ثلثه ، وعلم قارون ثلثه ؛ فخذعهما قارون حتى أضافا عليهما إلى علمه .

وحكى الكسائي : كان قارون من فقراء بني إسرائيل ، فأوحى الله إلى موسى

أن يحمل تابوت التوراة بالذهب ، وعلمه صنعة الكيمياء ؛ فجاء قارون إلى أم كلم

أخت موسى — وقد قيل : إنها كانت زوجته — فسالها : من أين لموسى هذا

الذهب ؟ فقالت : إن الله تعالى قد علمه صنعة الكيمياء . وكان موسى قد علمها

الصنعة ، فتمتعها قارون منها .

قالوا : فكان ذلك سبب أمواله ، فذلك قوله كما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ قَالَ

إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ ﴾ .

وقيل : معناه على علم عندى بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع

المكاسب والمطالب .

وقيل في سبب جمعه تلك الأموال ما رواه الثعلبي بسنده عن أبي سليمان الداراني

أنه قال : تبدى إبليس لقارون وكان قارون قد أقام في جيل أربعين سنة حتى

غلب بنى إسرائيل في العبادة، فبعث إبليس إليه شياطينه فلم يقدرُوا عليه؛ فأتاه وجعل يتعبد معه، وجعل قارون يتعبد وإبليس يقهره في العبادة ويفوقه؛ فخضع له قارون؛ فقال له إبليس : يا قارون، قد رضينا بهذا الذي نحن فيه ، لا نشهد لبنى إسرائيل جماعة، ولا نعود مريضاً، ولا نشهد جنازة ؟

قال : فأحدره من الجبل إلى اليبعة، فكانا يؤتان بالطعام، فقال له إبليس : يا قارون، قد رضينا أن نكون هكذا كلياً على بنى إسرائيل ؟ فقال له قارون : فأى رأى عندك ؟ قال : تكسب يوم الجمعة، وتتعبد بقية الجمعة .

قال : فكسبوا يوم الجمعة وتعبدوا بقيتها؛ فقال إبليس : قد رضينا أن نكون هكذا؟ قال قارون : فأى رأى عندك ؟ قال : تكسب يوماً وتتعبد يوماً فتصدق وتعطى .

قال : فلما كسبوا يوماً وتعبدوا يوماً حَسَسَ إبليس وتركه، ففُتِحَتْ على قارون أبوابُ الدنيا، فبلغ ماله — على ما رواه الثعلبى — بسنده إلى المسيب بن شريك قال : مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لَتَنُوءَ بِالْعَصْبَةِ، وكانت أربعمائة ألف ألف في أربعين جراباً .

قال : فبنى وطنى حين أستغنى، فكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر وأستطال على الناس بكثرة الأموال ، وكان يخرج في زيته .

قال مجاهد : خرج على برآذين بيض عليها سروج الأرجوان وعليه المعصفرات . وقال ابن أسلم : خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات .

قال : وذلك أول يوم ظهرت فيه المعصفرات في الأرض .

وقال مقاتل : خرج على بفسلة شهباء على سرج من الذهب عليه الأرجوان ومعه ألف فارس عليهم السباح وعلى دوابهم الأرجوان؛ ومعه ستمائة جارية بيض عليهم الحلج والتياب الحمر، وهن على البغال الشهب .

وحكى الكسائي أن قارون أخذ ممريرا من الذهب يصعد إليه بمراق ، و عليه أنواع من فُرُش الديباج ، وعلى رأسه تاج من الذهب مرصع بالجوهر .

قالوا : فلما خرج في بعض الأيام في زينة عظيمة ، تمنى أهل الجهالة والحساسة مثل الذى أوتيته ، وقالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم : (قَالَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالِئْتَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَنَرُو حَظَّ عَظِيمٍ) فانكر عليهم أهل العلم بالله تعالى ، وقالوا لهم : انقوا الله وأعملوا ما أمركم به ، وآتوها عما نهاكم الله عنه ، فإن ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا من لذات الدنيا وشهواتها ، قال الله تعالى : (وَلَا يُقَاتِلُهَا) ، أى لا يوفق لهذه الكلمة (إِلَّا الصَّابِرُونَ) ، أى على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا .

قالوا : ثم أوحى الله تعالى إلى نبيه موسى - عليه السلام - أن يأمر قومه أن يعلقوا في آذانهم خيوطا أربعة ، في كل طرف خيط أخضر كلون السماء فقال موسى : يا رب لم أمرت بنى إسرائيل بتعليق هذه الخيوط الأخضر في آذانهم ؟ فقال تعالى : إن بنى إسرائيل في غفلة ، وقد أردت أن أجعل لهم علما في ثيابهم ليدذكروني به إذا نظروا إلى السماء ، ويعلموا أنى منزل منها كلامي . فقال موسى : يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أردبتهم كلها خضرا ، فإن بنى إسرائيل تحقر هذه الخيوط ؟ فقال له : يا موسى ، إن الصغير من أمرى ليس بصغير ، وإن لم يطيعونى فى الأمر الصغير لم يطيعونى فى الأمر الكبير .



قال : فدعا موسى بنى إسرائيل وأعلمهم بأمر الله تعالى ، ففعلوا ذلك وأستكبر قارون فلم يطمعه ، وقال : إنما يفعل هذا الأرباب ببيدكم لئى يتميزوا من غيرهم . فكان هذا أيضا من بغيه وعصيانه .

قالوا : ولما قطع موسى البحر بنى إسرائيل جُبلت الحُبُورة — وهى رَاسَةُ المذبح وبَيْتِ القربان — لهارون عليه السلام ؛ وكان بنو إسرائيل يأتون بهمديهم فيدفعونه إلى هارون ، فيضعه على المذبح ، فتزل نار من السماء فتأكله ، فوجد قارونُ في نفسه من ذلك ، وأتى موسى وقال له : يا موسى ، لك الرسالة ، ولهارون الحُبُورة ، وليس لى من ذلك شيء ، وأنا أقرأ للتوراة منكأ ، لا صبر لى على هذا . فقال موسى : والله ما أنا جعلتها فى هارون ، بل الله جعلها له . فقال قارون : والله لا أصدقك فى ذلك حتى ترى بينة .

قال : فجمع موسى رؤساء بنى إسرائيل وقال : هاتوا عصيكم . فلقوا بها فخرمها وألقاها فى قَبْتِهِ التى كان يعبد الله تعالى فيها ؛ وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا ، فأصبحت عصا هارون قد أهرت لها ورق أخضر ، وكانت من شجر اللوز . فقال موسى : يا قارون ، أترى هذا من فعلى ؟ قال قارون : والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر . وذهب قارون مضاضاً ، وأعتزل موسى بأتباعه ؛ وجعل موسى يداريه للقراية التى بينهما وهو يؤذيه فى كل وقت ، ولا يزداد كل يوم إلا عتواً وتجبراً ومخالفة .

ويقال : إنه بنى داراً وجعل بابها من الذهب . وضرب على جدرانها صفائح الذهب ، وكان المساء من بنى إسرائيل يندون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويمجدونه ويضاحكونه .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : ثم أنزل الله تعالى الزكاة على موسى ؛ فلما وجبت الزكاة على بنى إسرائيل أتى قارون موسى فصالحه عن كل ألف دينار على دينار ، وعن كل ألف درهم على درهم ، وعن كل ألف شاة على شاة ، وعن كل ألف

- شئ شيئا، ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيرا، فلم تسمع بذلك نفسه، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: يا قوم، إن موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم. فقالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا فما بنا شئت. فقال: أمركم أن تخرجوا بغلانة البني فتجعل لها جُمُلا على أن تهدف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه. فأتوا بها، فجعل لها قارون ألف درهم. وقيل: ألف دينار. وقيل: طَسْتًا من ذهب. وقيل: حُكْمًا، وقال لها: إني أموالك وأخطئك بنسائي على أن تهدف موسى غدا إذا كان بنو إسرائيل مجتمعين. فلما كان الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى فقال: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنههم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكامهم وأحكام شرعهم. فخرج إليهم موسى وهم في بَرَّاح من الأرض، فقام فيهم خطيبا ووعظهم، وقال فيما قال: يا بني إسرائيل، من سرق قُطِعَ يده، ومن أفسرى جلدناه ثمانين جلدة، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة، وإن كانت له امرأة رجمناه حتى يموت. فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنتُ أنا. قال: قال: فإني بني إسرائيل يزعمون أنك بفرت بغلانة. قال موسى: أنا؟ قال: نعم. قال: أدعها فإن قالت فهو كما قالت. فدُعيتُ، فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأزل التوراة على موسى إلا صدقت. فلما ناشدها موسى تداركها الله تعالى بالتوفيق وقالت: لأن أُحِثَّ اليوم توبة أفضل من أودى رسول الله. وقالت: لا والله بل كذبوا، ولكن جعل لي قارون جُمُلا على أن أهدفك بنفسى. فلما تكلمت بهذا الكلام سُقط في يد قارون ونكس رأسه، وسكت الملا.
- وَعَرَفَ قَارُونُ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي مَهْلَكَةٍ، وَخَرَّ مُوسَى سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى.

وقال الكسائي في قصّة هذه المرأة : إن قارون بعث إلى امرأة فاسقة كان موسى قد نفاها من عسكره ، فقال لها : إني أريد أن أتزوج بك وأقذك من هذا الفقر إن عملت ما أقول . قالت : وما هو ؟ قال : إذا اجتمع بنو إسرائيل عندي فأحضري وقولي : إن موسى دعاني إلى نفسه فلم أطاوعه ، فأخرجني من عسكره فانصرفت ودخلت على قارون من القند - وقد اجتمع بنو إسرائيل عنده - فقالت : يا بني إسرائيل ، هذا مالى الأخيار من الأثمراء ؛ اعلموا أن قارون دعاني بالأمس وقال لي كذا وكذا ، وأمرني أن أكذب على نبي الله موسى ؛ وكذب قارون إنما أخرجني موسى من عسكره لفسادى ، وقد تبث إلى الله تعالى من ذلك . فلما سمع قارون ذلك ندم ، ولامه بنو إسرائيل ، وبلغ موسى الخبر فغضب ودعا على قارون .

•

١٠

قالوا : وجعل موسى يبكي ويقول : يا رب إن صدوك هذا قد آذاني وأراد فضيحتي ، اللهم إن كنت رسولك فاغضب لى وسلطنى عليه . فأوحى الله تعالى إليه : ارفع رأسك وأمر الأرض بما شئت تطعمك . فقال موسى : يا بني إسرائيل إن الله قد بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون ، فمن كان معه فليئب مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه . فأعتزل بنو إسرائيل قارون ولم يبق منهم إلا رجلان ثم قال موسى : يا أرض خذهم . فأخذتهم إلى كعابهم . ثم قال : يا أرض خذهم . فأخذتهم إلى ركهم . ثم قال : يا أرض خذهم . فأخذتهم إلى حقيهم . ثم قال : يا أرض خذهم . فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ وقارون وصاحبه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشدونه ؛ حتى روى في بعض الأخبار : أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه ، لشدة غضبه عليه . ثم قال : يا أرض خذهم . فأعطيت عليهم الأرض ؛ فأوحى الله إلى موسى : استغاثوا بك سبعين

١٥

٢٠

مرة فلم ترحمهم ولم تنهمهم، أما وعزتي وجلالي لو إياي دعوا لوجدوني قريبا مجيا .
قال قتادة : ذكر لنا أن الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة ، وأنه يخلخل فيها
لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

قالوا : فلما خسف الله تعالى بقارون وصاحبيه أصبحت بنو إسرائيل يفتنوا قارون
فيا بينهم : إن موسى دعا على قارون ليسبّ بداره وكنوزه وأمواله . فدعا موسى
حتى خسف الله تعالى بدار قارون وأمواله الأرض ، وأوحى الله تعالى إلى موسى :
أني لا أبعد الأرض لأحد بعدك أبداً ، فذلك قوله تعالى : (نَفَسْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ
الْأَرْضَ لَمَّا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصِّرِينَ) .

قال : فلما حلت بهمة الله تعالى بقارون حمد المؤمنون الله تعالى ، وندم الذين
كانوا يمتنون ماله وحاله ، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ يَمْنُوا
مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا
أَنْ مِنْ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُلْحِقُ الْكَافِرُونَ) . والله الفاعل .

ذكر خبر موسى والخضر — عليهما السلام —

وهذا الخبر إنما رجعت فيه وأعتمدت على ما ورد في الحديث الصحيح النبوي
بما أخرجه البخاري — رحمه الله تعالى — في صحيحه ، ورويناه بسندنا عنه بسنده عن
١٥ ابن عباس عن أبي بن كعب — رضي الله عنهم — عن النبي صلى الله عليه وسلم :
أن موسى — عليه السلام — قام خطيباً في بني إسرائيل ، فسئل : أي الناس
(١)

(١) يخلخل : يثقل ويضطرب .

(٢) يلاحظ أن في رواية هذا الحديث هنا اختلافاً يسيراً عما ورد في البخاري في كتاب تفسير القرآن

أعلم ؟ قال : أنا . فغضب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه ؛ فقال : بلى ، عبد تجمع البحرين هو أعلم منك .

وورد في الحديث الآخر من رواية البخاري : بلى عبدنا خضر . قال : أي رب ومن لي به ؟ قال سفيان من روايته : أي رب وكيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتا فتجعله في مِكَلٍّ لحيتا تقصد الحوت فهو تم . وربما قال : فهو ثمة . فأخذ حوتا فجعله في مِكَلٍّ ، ثم أطلق هو وفناه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رموسهما ؛ فرقد موسى عليه السلام . واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر : (فَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) ؛ فأمسك الله عن الحوت حرية الماء فصار مثل الطاق ؛ فأطلقا يمشيان بقية يومهما وليتهما ، حتى إذا كان من الغد قال لفتهاه : (آتَا غَدَاهَا قَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) ؛ ولم يجد موسى النَّصَبَ حتى جاوز حيث أمره الله تعالى ؛ قال له فناه : (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) ؛ فكان للحوت سربا ولها عَجَبًا .

قال له موسى : (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) .

فرجعا يقصان آثارهما حتى أتيا إلى الصخرة . فإذا رجل مسجى بثوب ، فسلم موسى ، فردّ عليه فقال : وأنى بأرضك السلام . قال : أنا موسى . قال : موسى بن إسرائيل ؟ قال : نعم ، أتيك لتعلمني مما علمت رشدا . قال : يا موسى إني على علم من علم الله فله فيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله فله فيه الله لا أعلمه . (قَالَ هَلْ أُتِيتُكَ) . (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) . وكيف

(١) في البخاري : « صار عليه مثل الطاق » .

تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا) . إلى قوله : ((أَمْرًا))؛ فَأَنْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَزَتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا؛ فَعَرَفُوا الْخَيْضَرَ فَحَمَلُوهُ بِخَيْرِ نَوَلٍ؛ فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عَصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَتَفَرَّقَا فِي الْبَحْرِ نَفَرَةً أَوْ قَهْرَتَيْنِ^(١) فَقَالَ لَهُ الْخَيْضَرُ: يَا مُوسَى، مَا قَصَّ عَلَيَّ وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا قَصَّ هَذَا الْعَصْفُورُ بِمَقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ. « فَأَخَذَ الْفَأْسَ^(٢) فَتَرَعَ لَوْحًا » .

قال : فلم يَجِبْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْفِدْومِ؛ فَقَالَ لَهُ مُوسَى : مَا صَنَعْتَ؟ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِخَيْرِ نَوَلٍ عَمِدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ((لِتُفَرِّقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَبِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)) . وكانت الأولى من موسى نسياناً . فلما خرجا من البحر مرّاً بفلام يلعب مع الغلمان ، فأخذ الْخَيْضَرُ بِرَأْسِهِ يَقْلَعُهُ بِيَدِهِ هَكَذَا — وَأَوْمًا سَفِيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْلَعُ شَيْئًا — قال له موسى : ((أَقْنَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِخَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ لَأُصَاحِبْكَ فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمُوا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَتَّقَضُ^(٣) إِذَا أَثْبَتَ مَائِلًا، ((فَأَقَامَهُ)) — أَوْمًا بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ سَفِيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقِ — قال : قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يَطْعَمُوا وَلَمْ يُضَيِّقُوا عَمِدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ، ((لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَبْأٌ وَبَيْنَكَ بَأْسٌ وَبَيْنَكَ بَأْسٌ وَلَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)) .

(١) وردت قصة العصفور هذه في البخاري مؤثرة عن هذا الموضع بقليل ، أي بعد ذكر خرق السفينة .

(٢) لم يرد في البخاري قوله : « أو قهرتين » انظر التسلطان ج ٧ ص ٢٦١ .

(٣) هذه العبارة تأتي بين هاتين العلامتين لم يرد في البخاري أثناء هذا الحديث الوارد في كتاب تفسير القرآن .

(٤) عبارة البخاري : « لم يبق إلا والخضر قد قلع لوحًا » الخ .

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « وِدِدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبْرَ فَقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ خَبْرِهِمَا » .

قال سفيان : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبْرَ لَقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا » .

وقرأ ابن عباس - رضي الله عنهما - : « أَمَّا هُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ » .
ثم قال لي سفيان : سمعته منه مرتين وحفظته منه .

هذا حديث البخاري عن علي بن عبد الله عن سفيان عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب ؛ وقصتهما في كتاب الله تعالى :
(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ نُخِشِينَا أَنْ يَرِيحَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) الآيات . إلى قوله : (وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَلِكِ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) .

وحكى أبو إسحاق التلمي - رحمه الله - في قصصه أن الخضر - عليه السلام - اسمه بلياس بن ملكان بن فالج بن طابر بن شالح بن أرتقشذ بن سام بن نوح عليه السلام .

وروى حديثا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء ، وإنها هي تهترت تحت خضراء .

(١) لم يرد اسم علي بن عبد الله في سند هذا الحديث الوارد في البخاري ج ٥ ص ٢١٤ طبع بولاق سنة ١٢٩٦ هـ وإنما رواه الحميدي عن سفيان .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في تاريخ البني مضبوطا بالبارة .

وروى عن مجاهد قال : إنما سُمي الخضر لأنه حينما صُلِّيَ أخضرَ ما حوله .
قال الثعلبي : وكان الخضر في أيام أفريدون الملك على قول عامة أهل الكتب الأول .

- قال : وقيل إنه كان على مقدمة ذى القرنين الأكبر الذى كان في أيام إبراهيم — عليه السلام — وذلك في أيام مسيره في البلاد ، وأنه بلغ مع ذى القرنين —
نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم ولا يعلم ذو القرنين ، فخلد ، وهو حتى إلى الآن ، والله أعلم .
- وسنذكر — إن شاء الله تعالى — في السفر الذى يل هذا السفر خبره في ظفوه بقاء الحياة في أخبار ذى القرنين .

١٠ ذكر خبر البقرة وقيل عاميل

- قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله تعالى — في تفسيره عن السدى وغيره : إن رجلاً كان في بني إسرائيل كان بائراً بآبيه ، وبلغ من برّه به أن رجلاً أتاه بلؤلؤة فأتاعها منه بمئتين ألفاً ، وكان فيها فضل وربح ، فقال له البائع : اعطني الثمن . فقال : إن أبى قائم ، ومفتاح الصندوق تحت رأسه ، فأمهلتى حتى يستيقظ فأعطيك الثمن . فقال له البائع : أيقظ أباك وأعطنى المال . قال : ما كنت لأفعل . ولكن أزيدك عشرة آلاف وأنظرنى حتى يتبّه . فقال الرجل : أنا أعطيك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجلت النقد . فقال : أنا أزيدك عشرين ألفاً إن أنتظرت أتباعه . ففعل ولم يوقظ أباه ، فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك ، فدعا له وجزاه خيراً ، وقال له : أحسنت يا بنى ، وهذه البقرة لك بما صنعت . وكانت بقية بقر كانت لهم .

قال : وقال ابن عباس ووهب وغيرهما : كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل ، وكان له عجلة ، فأتى بها إلى غيضة وقال : اللهم إني أستودعك هذه العجلة لأبني حتى يكبر . ومات الرجل ، فشبت العجلة في الغيضة وصارت عوانا وكانت تهرب من كل من رامها ، فلما كبر الابن — وكان برأ بوالده ، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث : يصل ثلثا ، ويتام ثلثا . ويعلم عند رأس أمه ثلثا ؛ فإذا أصبح أنطلق وأحطط على ظهره . ويأتي به السوق فيبعه بما شاء الله ، ثم يتصدق بثله . ويأكل ثلثه ، ويعطى والدته ثلثه .

وحكى الكسائي عن وهب قال : كان في بني إسرائيل عبد صالح ، فمات وترك أمراه حاملًا ، فولدت غلامًا ، فسمته ميثي . فكبر . وكان يحطط من المواضع المباحة ، وينفق على نفسه وأمه . وكان كثير العبادة ، فلم يزل كذلك حتى كبر وضعف وعجز عن الاحتطاب .

قالوا : فقالت له أمه : إن أباك وزنك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا وأستودعها الله — عز وجل — فانطلق إليها وأدع إليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يردوها عليك ، وإن من علامتها أنك إذا نظرت إليها يجبل إليك أن شمع الشمس يخرج من جلدتها — وكانت تسمى المذبة لحسنها وصفتها وصفاء لونها — فأتى الفتى إلى الغيضة ، فراها ترى ، فصاح بها وقال : أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب . فأقبلت تسمى حتى قامت بين يديه ، فقبض على عنقها وقادها ، فتكلمت بإذن الله — عز وجل — وقالت : أيها الفتى البار بوالده ، أركبني فإن ذلك أهون عليك . فقال : إن أمي لم تأمرني بذلك ، ولكن قالت : خذ بستمها . فقالت البقرة : وإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تهسر

•

١٠

١٥

٢٠

- على أبدا ، فانطلق فلانك لو أمرت الجبل أن يتقطع من أصله وينطلق معك
لفعل، لترك بوالدتك . فسار الفتى بها ، فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راع
فقال : أيها الفتى ، إني رجل من رعاة البقر ، اشتقتُ إلى أهل فأخذتُ ثورا
من ثيراني ، فحملتُ عليه زادي ومتاعى ، حتى إذا بلغتُ شطر الطريق ذهبتُ
لأقضي حاجتى ، فعدا الثورُ وسط الجبل وما قدرتُ عليه ، وإني أخشى على نفسى
المهلكة ، فلأن رأيتُ أن تحملنى على بقرتك . فلم يفعل الفتى وقال له : اذهب
فتوكل على الله — عز وجل — فلو علم الله منك الصدق لبلغك بلا زاد ولا راحلة .
فقال له إبليس : إن شئتُ فيعنيها بحمكك ، وإن شئتُ فأحملنى عليها وأعطيك
عشرا مثلها . فقال الفتى : إن آتى لم تأمرنى بذلك . فبينما الفتى كذلك إذ طار
طائر من بين يديه ، ففترت البقرة هاربة في القلابة ، وغاب الراعى ، فدعا الفتى باسم
إله إبراهيم ، فرجعت إليه وقالت : أيها الفتى البار بوالدته ، ألم تر إلى الطائر الذى
طار ، إنه إبليس عدو الله آخطنسنى ، أما إنه لو ركبنى ما قدرتُ على أبدا ، فلما
دعوتُ بآله إبراهيم جاء ملك وأستعنى من يد إبليس وردنى إليك لترك بأتمك
وطاعتك لها . بغاء بها الفتى إلى أمه . فقالت له أمه : إنك فقير لا مال لك
ويشقى عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل . فانطلق فيع هذه البقرة وخذ منها .
قال : بكم أبيعها ؟ قالت : بثلاثة دنائير . ولا تبعها بغير رضاى ومشورتي .
فكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنائير . فانطلق بها الفتى إلى السوق
فبعث الله — عز وجل — ملكا ليرى في خلقه قدرته ، وليخبر الفتى كيف بره
بوالدته . وكان الله تعالى به خيرا ، فقال له الملك : بكم تبيع هذه البقرة ؟ قال :
بثلاثة دنائير ، واشترط عليك رضا والدتى . فقال له الملك : فانا أعطيك ستة دنائير
ولا تستأمر أمك . فقال الفتى : لو أعطيتى وزنها ذهبا لم أخذه إلا برضا أمى .

فرتها إلى أمه ، وأخبرها الخبر . فقالت : ارجع فبعضها ستة دنائير على رضا مني .
فانطلق بها إلى السوق ، وأتى الملك ، فقال : استأمرت والدتك ؟ فقال الفتى :
إنها أمرتني ألا أتقصها عن ستة دنائير على أن أستمها . فقال الملك : فإني
أعطيك اثني عشر دينارا على ألا أستمها . فأبى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك ؛
فقالت : إن ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة
أدمى ليختبرك ، فإذا أتاك فقل له : أنامرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ؟ ففعل
الفتى ذلك ؛ فقال له الملك : اذهب إلى أمك فقل لها : أمسكي هذه البقرة ، فإن
موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يُقتل من بني إسرائيل ، فلا تبيعوها إلا
بمئة مسكها دنائير . فأمسكوا البقرة ، وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة
بعينها مكافأة له على بزه بأته ؛ وذلك أنه وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه (عاميل)
ولم يدرك قاتله .

وآختلفوا في قاتله والسبب في قتله ؛ فقال عطاء والستى : كان في بني إسرائيل
رجل كثير المال . وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره . فلما أبطل عليه موته
قتله ليرثه .

قال : وقال بعضهم : كان تحت عاميل بنت عم له تُضرب مثلا في بني إسرائيل
بالحسن والجمال ، فقتله ابن عمها لينكحها .

وقال الكلبي : قتله ابن أخيه لينكح أخته . فلما قتله حمله من قريته إلى قرية
أخرى وألقاه هناك .

وقيل : ألقاه بين قريتين .

وقال عكرمة : كان لبني إسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا ، لكل سبط منهم
باب ، فوجد قتيل على باب سبط ، وجرّ إلى باب سبط آخر ، فأخضع السبطان فيه .

٢٠

وقال ابن مسيرين : قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ، ثم أصبح يطلب بثاره ودمه ويدّعيه عليه .

قالوا : بغاء أولياء القتل إلى موسى — عليه السلام — وأتوه بأناس وأدعوا عليهم القتل ، وسألوه القصص ؛ فسألم موسى عن ذلك ، فحمدوا ، فاشتبه أمر القتل على موسى — عليه السلام — ووقع بينهم خلاف .

قال الكلبي : وذلك قبل نزول القسامة في التوراة ، فسألوا موسى — عليه السلام — أن يدعو الله ليعين لهم ذلك ؛ فقال موسى — عليه السلام — ربه عز وجل ؛ فأمرهم بذبح بقرة ؛ فقال لهم موسى ما أخبر الله تعالى به في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، أى تستهزئ بنا حين نسالك عن القتل وتأمرونا بذبح البقرة ؛ وإنما قالوا ذلك لتباعد ما بين الأمرين في الظاهر ، ولم يدروا ما الحكمة فيه . قال موسى : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، أى من المستهزئين بالمؤمنين ؛ فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل ، سأله الوصف ، فذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ .

قال : ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكن شتدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ؛ وإنما كان تشديدهم تقديرا من الله — عز وجل — وحكمة .

قال : ومعنى ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ ، أى سل ؛ وهكذا في مصحف عبد الله : « سل لنا ربك يبين لنا ما هي وما سنها » . قال موسى : إنه — يعنى الله عز وجل — يقول : ﴿ إِنَّمَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ ﴾ : لا كبيرة ولا صغيرة ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ أى نصف بين السنين .

وقال الأخفش: النّون التي تُجِثُّ مرارا، وجمعه عُون، ﴿قَافَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ : من ذبح البقرة، ولا تكرر القول . ﴿قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ .

قال ابن عباس : شديدة الصفرة .

وقال قتادة وأبو العالية والربيع : صاف .

وقال سعيد بن جبير : صفراء القرنين والظلف .

وقال الحسن : سوداء . والعرب تسمى الأسود أصفر .

وقال العنبي : غلط من قال : الصفراء هاهنا السوداء، لأن هذا غلط في نعوت البقر، وإنما هو من نعوت الإبل، وذلك أن السود من الإبل يشوب سوادها صفرة .

وقال آخر : إنه لو أراد السواد لما أكدّه بالفقوع . لأنّ الفاقع : البالغ في الصفرة، كما يقال : أبيض يقق ، وأسود حالك ، وأحمر قاني ، وأخضر ناظر . ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ إليها، ومحبهم حسننا وصفاء لونها، لأن العين تسرّ وتولع بالنظر إلى الشيء الحسن .

وقال عليّ - رضي الله عنه - : من لبس نعلا صفراء قلّ منه . لأنّ الله تعالى يقول : ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ * قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ ﴿أَسَأْتَمَةَ أُمِّ حَامِلَةَ﴾ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنَّا شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ أي إلى وصفها .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "وأيّ الله لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الأبد" . ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾ . أي مذلة للعمل . ﴿تُسَبِّحُ الْأَرْضَ﴾، أي تعابها للزراعة ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً﴾ أي بريئة من العيوب

وقال الحسن : مسألة التوائم ، ليس فيها أثر العمل . (لَا شَيْءَ فِيهَا) ، قال
عطاء : لا عيب فيها .

وقال قتادة : لا بياض فيها أصلا .

وقال مجاهد : لا بياض فيها ولا سواد .

وقال محمد بن كعب : لا لون فيها يخالف معظم لونها ، فلما قال هذا (قَالُوا أَلَا نَ
جِئْتَ بِالْحَقِّ) ، أى بالوصف البين الثام ؛ فطلبوها فلم يجدوا كمال وصفها إلا عند
الفتى الباز بوالدته ؛ فأشتروها منه بملء مسكها ذهبا .

وقال السدى : اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا .

وقيل : اشتروها بوزنها مرة ؛ قاله أبو عبيد .

١٠

وقيل : بوزنها مرتين .

وقال الكسائى : إنهم أتوا إلى ميشى فى بيع البقرة فقال : لا أبيعها إلا بمحضرة
موسى . فرضوا بذلك ، وأخرج البقرة إلى موسى ، قال : بكم تبيعها ؟ قال : المساومة
ببنى وبينك لا خير فيها ، لا أبيعها إلا بملء جلد لها ذهبا . فقال موسى لبنى إسرائيل :
ذلك لتشديدكم على أنفسكم فشدد الله عليكم . فضمنوا له ذلك ، قال الله تعالى :
(فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) ؛ من غلاء قممها .

١٥

وقال محمد بن كعب : وما كادوا يجدونها بأجتماع أوصافها .

وقال الكسائى : بوفاء المال ؛ قال الله تعالى : (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا قَدْ دَارَتْكُمْ فِيهَا
وَأَنَّهُ مُخْرَجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) ، بنى عاميل . (قَادَارَاتُكُمْ) : اختلتم ، قاله ابن
عباس ومجاهد .

٢٠

وقال الضحاك : اختصمتم .

وقال عبد العزيز بن يحيى : شككتهم .

وقال الربيع بن أنس : تدافعتم . وأصل الدَّرء : الدفع ، يعنى ألقى هذا على هذا وهذا على ذاك ، فدافع كل واحد عن نفسه لقوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَمُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ . أى يدفعون . قال الله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا أَصْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ يعنى القتل ببعض البقرة .

وآختلفوا فى هذا البعض ما هو .

فقال ابن عباس : صربوه بالعظم الذى على القُصروف ، وهو المقبل .
وقال الضحاك : بلسانها .

قال الحسين بن الفضل : وهذا أولى الأقوال . لأن المراد كان من إحياء القتل كَلَامُهُ ، واللسان آله . ١٠

وقال سعيد بن جبير : بَسَجِمَ ذَنَبُهَا .

قال يمان بن زرياب : وهو أولى التأويلات إلهاباً ، لأن المصمَص أساس البدن الذى رُكِبَ عليه الخلق ، وأنه أول ما يُخْلَق ، وآخر ما يَبْلَى .
وقال مجاهد : بَذَنَبُهَا .

وقال عكرمة والكلبى : بغضنها الأيمن . ١٥

وقال السدى : بالبضمة التى بين كنفها .

وقيل : بأذنها . ففعلوا ذلك ، فقام القتل — بإذن الله عز وجل — وأوداجه تَشْعَبُ دماً ، وقال : قتلى فلان . ثم مات ومسقط مكانه ؛ قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

قال الكلبي : ثم قالوا بعد ذلك : « لم تقتله نحن » وأنكروا ، فلم يكونوا قط
أقصى قلبا ولا أشد تكذيبا منهم لنبهم عند ذلك ، ولذلك يقول الله تعالى :
(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) .

قال الكلبي : يست وأشتت .

وقال أبو عبيدة : جفت من الشدة فلم تَلين .

وقيل : غلظت .

وقيل : اشتدت .

وقال الزجاج : تأويل القسوة ذهاب الآين والرحمة والخشوع والخضوع .

قوله : (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) ، أى من بعد ظهور الدلالات ، فهى فى غلظها وشتها
(كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) ، أى بل أشد قسوة .

ثم حث الله تعالى الحجارة وفضلها على القلب القاسى ، وقال تعالى : (وَإِنَّ مِنْ
الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَسْقَى فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا
لَمَا يَنْبُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) ، أى يترى من أعلى الجبل إلى أسفله (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ) .

- ١٥ ذكر بناء بيت المقدس وخبر القربان والتابوت والسكينة وصفة النار
وهذا البيت ليس هو البيت المقدس الموجود الآن ، وإنما هو الذى تسميه
اليهود : « قبة الزمان » ويزعمون أن ذلك نص التوراة ، وكان من خبر هذه القصة
ما رواه الثعلبي بإسناده عن وهب بن منبه قال : أوحى الله تعالى إلى موسى — عليه
السلام — أن يتخذ مسجدا لجماعتهم ، وبيتا قدس للتوراة ، وتابوتا للسكينة
وقبابا للقربان ، وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود
- ٢٠

الملبسة عليها، وأن تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان، وحبالها من أوصاف
تلك الذبائح؛ وعهد إليه ألا تنزل تلك الحبال حائض، ولا يدبغ تلك الجلود جُنُب؛
وأمره أن ينصب تلك المراكبات على عمد من نحاس، طول كل عمود منها أربعون
ذراعا، ويجعل فيها اثني عشر قمبا مُشْرِجاً^(١)، إذا نُقِضَتْ صارت اثني عشر جزءاً
يجعل كل جزء بما فيه من العمد سبط من الأسباط من بني إسرائيل؛ وأمره أن
يجعل سعة ذلك السراق سُمَاة ذراع، وأن ينصب فيه سبع قباب، ست قباب
منها مشبكة بقضبان الذهب والفضة، كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة
طول كل عمود منها أربعون ذراعا، وعليها أربعة دسوت ثياب، الباطن منها سندس
أخضر، والثاني أرجوان أحمر، والثالث ديباج أصفر، والرابع من جلود القربان
وقاية لها من المطر والغبار، وحبالها التي تُمد بها من صوف القربان، وأن يجعل
سعتها أربعين ذراعا، وأن ينصب في جوفها موائد من فضة مربعة مرصعة بوضع
عليها القربان، سعة كل مائدة منها أربع أذرع، كل مائدة منها على أربع قوائم من
فضة، طول كل قائمة ثلاث أذرع، لا ينال الرجل منها إلا قائما؛ وأمره أن ينصب
بيت المقدس على عمود من ذهب، طوله سبعون ذراعا، وأن يضعه على سبكة
من ذهب أحمر طولها تسعون ذراعا، مرصعة بالوان الجواهر، وأن يجعل أسفلها
مشبكة بقضبان الذهب والفضة، وأن يجعل حباله التي يُمد بها من صوف القربان
مصبوغة بالوان من أحمر وأصفر وأخضر؛ وأن يلبسه سبعة من الحلل، الباطن منها
سندس أخضر، والثاني أرجوان أحمر، والثالث ديباج أصفر، والرابع من الحرير
الأبيض، وسائرهما من الديباج والوشى؛ والظاهر غاشية له من جلود القربان وقاية
له من الأذى والندى؛ وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعا، وأن يفرش القباب

(١) مشرجا، أي دخل بين عراه وضم بعضها إلى بعض.

بالقرّ الأحمر؛ وأمره أن ينصب فيه تابوتا من ذهب تحابوت الميثاق، مرصعا بأنواع
الجواهر والياقوت والزمرد الأخضر، وقوائمه من الذهب، وأن يجعل سبعة
سبع أذرع في أربع أذرع، وعلوه قائمة موسى عليه السلام، وأن يجعل له أربعة
أبواب: باب تدخل منه الملائكة، وباب يدخل منه موسى، وباب يدخل
منه هارون، وباب يدخل منه أولاد هارون، وهم سَدَنَةُ ذلك البيت وتُحْرَانُ
التابوت، وأمر الله نبيّه موسى أن يأخذ من كلّ عَظْمٍ من بني إسرائيل متقالا
من الذهب فينقعه على هذا البيت، وأن يجعل باقى المال الذى يحتاج إليه
فى ذلك من الحلّى والحلل التى ورثها موسى وأصحابه من فرعون وأصحابه؛ ففعل
موسى ذلك، فبلغ عدد رجال بني إسرائيل سِتْمِئَةَ أَلْفٍ وَسَبْعِمِئَةَ وَخَمْسِينَ رجلا
فأخذ منهم ذلك المال.

١٠

وأوحى الله تعالى إليه أنى متّزِلَ عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تُحْرِقُ
شيئا، ولا تنطفئ أبدا، لتأكل القرابين المقبولة، وتُسَرِّجَ منها القناديل التى فى بيت
المقدس، وكانت من ذهب معلقة بسلاسل من ذهب، منظومة بالبوقيت واللائ
أنواع الجواهر؛ وأمره أن يضع فى وسط البيت صخرة عظيمة من الرّخام، وينقّرَ
فيها نُقْرَةً تكون كأنونَ تلك النار التى يُتَزَلُّ بها من السماء؛ فدعا موسى أخاه هارون
وقال له: إن الله تعالى قد أصطفانى بنارٍ يُتَزَلُّ بها من السماء لتأكل القرابين المقبولة
وتُسَرِّجَ منها القناديل، وأوصانى بها، وإنى قد أصطفيتك لها وأوصيتك بها. فدعا
هارون أبنيه وقال لها: إن الله تعالى قد أصطفى موسى بأمر وأوصاه به، وإنه
قد أصطفانى له وأوصانى به، وإنى قد أصطفيتكما وأوصيتكما به. وكان أولاد
هارون هم الذين يولون سِدانة بيت المقدس وأمرَ القربان والنيّان؛ فشرى با ذات
ليلة ثم ثَمَلًا، ثم دخلا البيت وأسرجا القناديل من هذه النار التى فى الدنيا، فنضب

٢٠

الله عليهما ، وسلط عليهما تلك النار حتى أحرقتهما ، وموسى وهارون يدفعان عنهما النار فلم يفتنّا عنهما من الله شيئاً ؛ فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : هكنا أفعل بمن عصاني ممن يعرفني ، فكيف أفعل بمن لا يعرفني ، والله أعلم .

ذكر ما أنعم الله تعالى به على بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

قال أبو إسحاق الثعلبي : اختلفوا في معنى الملوك ؛ فروى عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وأمراة فهو ملك " .

وقال أبو عبد الرحمن الحُبَلي : سمعتُ عبد الله بن عمرو بن العاص - وسأله رجل فقال : ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ - فقال له عبد الله : ألك أمراة تأوى إليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . قال : وإنا لى خادما . قال : فأنت من الملوك .

وقال الضعّاك : كانت منازلهم واسعة ، فيها مياه جارية ، فمن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جارٍ فهو ملك .

وقال قتادة : وكانوا أول من ملك الخدم ، وأول من تحرّط لهم الخدم من بنى آدم . ﴿١١٠﴾

وقال السدي : يعني وجعلكم أحرارا تملكون أنفسكم بعد ما كنتم في أيدي القبط بمنزلة أهل الجزية ، فانخرجكم الله تعالى من ذلك النذل .

﴿ وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ، يعني من عالم زمانكم .

وقال مجاهد : يعني المن والسلوى والمجر والنعام .

قال : ثم أوحى الله تعالى إلى موسى أن يسير بنى إسرائيل إلى الأرض المقدسة ويجاهد الجبارين؛ فأخرجهم موسى — عليه السلام — لذلك، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

قال التعليل : اختلفوا في الأرض المقدسة ما هي .

فقال مجاهد : هي الطور وما حوله .

وقال الضحاك : هي إيلياء وبيت المقدس .

وقال عكرمة والسدي وابن يزيد : هي أريحا .

وقال الكلبي : دمشق وفلسطين وبعض الأردن .

وقال قتادة : الشام كله .

- قال الكسائي : فلما أخبرهم موسى بذلك قالوا : يا موسى إنك قلت لنا حين أخرجتنا من مصر : إن الله تعالى بعثك لتتقذنا من عذاب فرعون، والآن فإنك تحملنا على ما هو أشق منه ، وبيننا وبين الأرض المقدسة المفاوز والقفار، وكيف ندخلها ولا زاد معنا ولا ماء ؟ فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى، قل لهم : إني منزل عليهم المن والسلوى ، وقد أمرت الجمر أن يتفجر لهم بالماء العذب ، وأمرت الغمام أن يظلمهم ويسير معهم حيث ساروا؛ وألا تنقب خيافهم ونعالهم ؛ وأمرت ثيابهم أن يلبسها صغيرهم وكبيرهم .

- فلما سمعوا ذلك طابت نفوسهم ، وساروا نحو الأرض المقدسة والغمام يظلمهم في مسيرهم ، والسماء تمطر عليهم بالمن، والريح بالسلوى، ويمجدون كل ما يحتاجون إليه، ويضيء لهم بالليل عمود من النور، وتهب الريح على السلوى فتعطر ريشها فيطبخونها بنير تمب؛ ويقرع موسى — عليه السلام — الجمر فتفجر لهم اثنا عشرة

عينا، تجري كل عين إلى سبط من الأسباط ؛ وثياهم جدد بيض لا تخلق ، وهم في خفض ودعة .

وقال أبو إسحاق التلطي ، كان ما أنتم الله تعالى به عليهم أنهم قالوا لموسى في التيه : أهلكتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفاوز لا ظل فيها . فأنزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر أرق وأطيب وأبرد ، فاظلمت وكانت تسير معهم إذا ساروا ، وتدور عليهم من فوقهم إذا داروا ؛ وجعل لهم عمودا من نور بضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر ؛ فقالوا : هذا الظل والنور قد حصلا ، فإين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن .

واختلفوا فيه ؛ فقال مجاهد : هو شيء كالصمغ يقع على الأشجار ، وطعمه كالشهد .

وقال الضحاك ^(١) : هو الطرثيبين .

وقال وهب : الخبز الرقاق .

وقال السدي : عسل كان يقع في السحر من الليل فيأكلون منه .

وقال عكرمة : أنزل الله — عز وجل — عليهم مثل الزيت الغليظ .

وقيل : هو الزنجبيل .

وقال الزجاج : جملة المن : ما يمن الله عز وجل به مما لا نصب فيه ولا نصب .

فكان يترل عليهم كل ليلة ويقع على أجنابهم مثل الثلج ، لكل إنسان منهم صاع كل ليلة ؛ فقالوا : يا موسى ، قتلنا هذا المن بجلاوته ، فادع لنا ربك أن يطعمنا اللهم . فدنا موسى عليه السلام ، فأنزل الله — عز وجل — عليهم السلوى .

(١) كذا في تاريخ العيني ؛ والذي في كلا الأصلين : « مجاهد » ؛ وهو تبديل من النسخ ، فان مجاهدا هو صاحب القول السابق .

قالوا : وأختلفوا فيه ؛ فقال ابن عباس - رضي الله عنهما - وأكثر المفسرين : هو طائر يشبه السمائي .

وقال أبو العالية ومقاتل : بعث الله - عز وجل - السحابة فطرت السماي في عرض ميل وقدير طول ربح في السماء بعضه على بعض .

وقال عكرمة : طير يكون بالهند أكبر من المصفور .

فكان يأخذ كل واحد منهم ما يكفيه يوما وليلة من المن والسلوى ، فإذا كان يوم الجمعة أخذوا ما يكفيهم عن يومين ، لأنه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلَّوَا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ولا تذخروا لقد . فجئنا لقد قطع الله ذلك عنهم ، ودود وفسد ما آذخروا ، فذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ معناه وما ضررنا بالمعصية ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ روى

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : لولا بنو إسرائيل لم يخنر الطعام ، ولم ينجث اللحم ، ولولا حواء لم تخن أذى زوجها . ثم قالوا : يا موسى ، من أين لنا الشراب ؟ فاستسقى لهم موسى ، فأوحى الله تعالى إليه : أن أضرب بعصاك الحجر .

قال الثعلبي : وأختلف العلماء في الحجر ؛ فقال وهب : كان موسى - عليه السلام - يفرع لهم أقرب حجر من عرض الحجارة فيتنجر عيوناً ، لكل سبط عين ، وكانوا أثنى عشر سبطاً ، ثم تسيل كل عين في جدول إلى سبط ؛ فقالوا : إن قد موسى عصاه ميتة عطشا . فأوحى الله تعالى إليه : لا تخزعن الحجارة بالعصا ولكن كلها تطعمك لهم يتبرون . فكانت يفعل ذلك . فقالوا : كيف بنا

(١٢١)

لو مضينا إلى الرمل وإلى الأرض التي ليس فيها حجارة ؟ فأمر موسى فجعل معه حجرا ، فحينما نزل أمه .

وقال آخرون : كان حجرا مخصوصا بيمينه ، والدليل عليه قوله : « الحجر »
فادخل الألف واللام للتعريف والتخصيص ؛ وأمر أن يحمله ، فكان موسى عليه
السلام يضعه في محله ، وإذا احتاجوا إلى الماء أخرجه وضربه بعصاه وسقاهم .

وقال أبو روق : كان الحجر من الفضار ، وكان فيه اثنا عشرة حفرة ينبع من
كل حفرة ماء عذب ، فيأخذونه ، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه ؛
فيذهب الماء ؛ فكان كل يوم يستقى منه ستمائة ألف .

وقال سعيد بن جبير : هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه لفعله ففرز
بثوبه ؛ فلما وقف أتاه جبريل فقال : يا موسى ، إن الله تعالى يقول لك : ارفع
هذا الحجر فإني فيه قدرة ، ولك فيه معجزة .

وقد تقدم ذكر خبر الحجر .

ورود أيضا في صحيح البخاري نحو ما تقدم .

قال أبو إسحاق التلمبي : وكان مما أنعم الله تعالى به على بني إسرائيل أنهم
قالوا لموسى عليه السلام : من أين لنا اللباس ؟ فخلد الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتى
إنها لا تزيد على الأيام ومرورها إلا جنة وطراوة ، ولا تتلحق ولا تتلى ، وتمو على
صبيانهم كما ينمون .

قال : ثم سمى بنو إسرائيل المن والسلوى ، فقالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم :
(وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَبِّتُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا) .

وأختلف في الفوم ما هو ؟ فقال ابن عباس : هو الخبز ، تقول العرب :

« فوموا لنا » ، أى آخذوا .

وقال عطاء وأبو مالك : هو الحنطة ، وهي لغة قديمة .

وقال النبي : هو الحبوب كلها .

وقال الكلبي والنضر بن شميل والكسائي والمؤرج : هو الثوم .

فقال لهم موسى عند ذلك : (أَتَسْتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ إِلَٰهِي هُوَ خَيْرٌ أَمِيطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ) .

قالوا : مصرنا من الأمصار ، ولذلك نؤنه ؛ ولو أراد مصر بعينها لقال : « مصر »

ولم يصرفه ، كقوله تعالى : (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ) .

وقال الضحاك : هي مصر فرعون .

واليهود يزعمون أن موسى — عليه السلام — وبني إسرائيل حرّم عليهم نص

التوراة الدخول إلى مصر حين خرجوا منها عند اتباع فرعون لهم وغرقه ، وأنهم لم يدخلوها بعد ذلك . والله أعلم .

ونرجع إلى أخبار النقباء وقتال الجبارين .

ذكر خبر النقباء ومسيرهم إلى أريحا ، وقصة عوج بن عوق وخبر النبي قال الله عز وجل : (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) .

قال الثعلبي : وذلك أن الله تعالى وعد موسى — عليه السلام — أن يورثه وقومه الأرض المقدسة ، وهي الشام . وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون ووعدهم أن يهلكهم ويعمل أرض الشام مسكن بني إسرائيل ؛ فلما استقرت بني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالمسير إلى أريحا .

(١) كذا في القاموس وشرحه . وفي الأصل : « عت » بالنون .

”هكذا قال التلميذ“ : بمصر^(١) .

واليهود تتكر ذلك ، ويقولون : إن نص التوراة عندهم أن الله تعالى لما أغرق فرعون وقومه ونجى موسى وبني إسرائيل ، تنقلوا من مكان إلى آخر . ويدكرون أسماء الأماكن بالعبرانية — وليست تعرف الآن — وكان في خلال مسيرهم خبر التيه ، وكل ما تقدم ذكره من الأخبار يزعمون أنه في التيه ، والله أعلم .
نعود إلى سياق التلميذ .

قال : فأمرهم الله تعالى بالمسير إلى أريحا وأرض الشام ، وهى الأرض المقدسة وقال : يا موسى ، إني قد كتبتها لكم دارا وقرارا ، فأخرج إليها وجاهد من فيها من العدو . فلما ناصرهم عليهم ، وخذ من قومك اثني عشر نقيبا ، من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أسروا به .
فاختار موسى — عليه السلام — النقباء .

قال : وهذه أسماءهم ؛ « من سبط روبيل شامل بن زكور . ومن سبط شمعون سافاط بن حرى . ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنا . ومن سبط أيين حامل بن بكر

(١) تشرح هذه العبارة التي بين هاتين اللامتين بأن قوله « بمصر » محل نظر . (٢) في تفسير الألويسي عند تفسير قوله تعالى : « ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل » الخ : « فبا أمروا به » .
(٣) وردت أسماء هذه النقباء في التوراة صفحة ٢١٤ هكذا : « من رأوين البصوريين شديثور ومن شمعون شلوميثيل بن صوريشداى ، ومن يهوذا نحشون بن عينا داب ، ومن ياسكر تثنائيل بن صوهر ومن زبولون أيلاب بن حيلون ، ومن بني يوسف من أفرايم الشاماع بن عميهد ، ومن منسى جليل ابن قدهصور ، ومن بنيامين أيديان بن حدعوى ، ومن دان أجيمازور بن عيشداى ، ومن أشير بلخيل بن عكران ، ومن جاد أليسايف بن دعويل ، ومن قناني أجيرع بن عيان » . وهى مخالفة كل المخالفة لما هنا فأتى . وقد أورد البني في تاريخه هذه الأسماء هكذا : « من سبط روبيل شامل بن زكور ومن سبط شمعون سافاط بن حورى ، ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنا ، ومن سبط ياسخرشال بن ماعون ومن سبط دانى جيمدد بن عميشدى ، ومن سبط جاد حايل بن يوسف ، ومن سبط زبولون حوا بن سودا ، ومن سبط أشير شالون بن مليكا ، ومن سبط قناني حولا بن مليكا ، ومن سبط يوسف عليه السلام وهما سلطان سبط أفرايم وسبط منشى ، فاختر من سبط أفرايم يوشع بن نون ، ومن سبط منشى جدى بن سوشى ، ومن سبط بنيامين بطلم بن راقون » .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

ابن سورا . ومن سبط يوسف وهو سبط افرام يوشع بن نون . ومن سبط بنيامين
 قلع بن رفوق . ومن سبط زبولون خدي بن سوري . ومن سبط يوسف وهو
 سبط مفتي بن يوسف جدى بن سوشى . ومن سبط اشير شيانون بن ملكيل .
 ومن سبط نفتالى حنا بن وقتى . ومن سبط دان جلاثيل بن حمل . ومن سبط
 لاوى حولى بن مليكا .

قال : فسار موسى بنى اسرائيل حتى اذا دنوا من ارض كنعان - وهى
 اريحا - بست هؤلاء النقباء اليها يتجسسون له الاخبار ويعلمون عليها ؛ فقيمهم
 رجل من الجبارين يقال له : عوج بن عوق ، وكان طوله ثلاثة آلاف وعشرين ألف
 ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعا .

قال ابن عمر - رضى الله عنهما - : وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب
 منه ، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بين الشمس يرفعه اليها ، ثم يأكله .
 ويروى أنه أتى نوحا - عليه السلام - يوم الطوفان فقال له : احملى معك
 فى السفينة . فقال له : اذهب يا عدو الله فإنى لم أؤمر بك ؛ وطبق الماء ما على
 وجه الأرض من سهل وجبل فما جاوز ركنى عوج .

وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يدى موسى .

قال : وكان لموسى عسكر فرمخ فى فرمخ ، بفاء عوج حتى نظر اليهم ، ثم جاء
 إلى الجبل وقور منه حفرة على قدر العسكر ، ثم حملها ليطبقها على العسكر ، فبست الله
 عليه المهدد ومعه الطيور ، وجعلت تنقر بمنقيرها حتى قورت الصخرة وأنتفتحت
 حتى وقعت فى عتق عوج . فطوقته وصرعته ، فأقبل موسى وطوله عشر أذرع
 وطول عصاه عشر أذرع ، وتزا فى السماء عشر أذرع ، فإصاب إلا كعبه وهو
 مصروع بالأرض ، فقتله .

قالوا : وأقبلت جماعة كثيرة ومعهم الخناجر حتى حزوا رأسه ؛ فلما قُتل وقع على نيل مصر فسكوه سنة ^(١) .

قالوا : وكانت أم عوج يقال لها : عناق ، وهى إحدى بنات آدم لصلبه .
ويقال : إنها كانت أول من بنت على وجه الأرض ، وكان كل إصبع من أصابعها ثلاث أذرع فى ذراعين ، فى كل إصبع ظفران حاذان مثل المنجلين ، وكان موضع مقعدها جريب من الأرض ، فلما بنت بمش الله تعالى إليها أسودا كالقيلة وذئبا كالإبل ، ونسورا كالحمر ، وسلطها عليها فقتلوها وأكلوها .

قالوا : فلما لنى عوج الثقباء لقيهم وعلى رأسه حزمة حطب ، فأخذهم وجعلهم فى حرمته ، وأطلق بهم إلى أمرائه ، وقال : انظروا إلى هؤلاء الذين يريدون قتالنا . فطرحهم بين يديها وقال : ألا أطلعهم برجل ؟ قالت أمرائه : لا ، بل خل عنهم حتى يُخبروا قومهم بما رأوا . ففعل ؛ وجعلوا يتعزفون أحوالهم .
وكان لا يحمل عقود عنهم إلا خمسة أنفُس بينهم فى خيشة ، ويدخل فى قشر شطر الزمانة إذا نُزعَ حبها خمسة أنفُس .

قال : فلما خرج الثقباء قال بعضهم لبعض : يا قوم إنكم إن أخبرتم بنى إسرائيل خبر القوم آرتدوا عن نبي الله ، ولكن آكتموا وأخبروا موسى وهارون فيكونا هما يرّيان رأيهما . فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ؛ ثم أنصرفوا إلى موسى — عليه السلام — وجاءوا بحجة من عندهم وقرّ رجل ، ثم إنهم نكثوا العهد ، وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ، ويخبرهم بما رأى . إلا يوشع وكآب .

قال : فلما سمع القوم ذلك من الثقباء رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا : يا ليتنا متنا فى أرض مصر ، ولينا نموت فى هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم ، فتكون نسائنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم .

وجعل الرجل يقول لأصحابه: تمالؤا نجعل علينا رأسا وتنصرف إلى مصر؛ فذلك قوله تعالى إخبارا عنهم: (يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذِلُهَا عَنْكَ يُحْرِجُوهَا مِنْهَا إِنَّا يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) .

فلما قالوا ذلك وهموا بالانصراف إلى مصر، خرم موسى وهارون — عليهما السلام — سجدا، وخرق يوشع وكالب ثيابهما، وهما اللذان أخبر الله تعالى عنهما بقوله: (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَمْرَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا) ، أى يخافون الله .

وقرأ سعيد بن جبير (يخافون) بضم الياء .

قال: كانا من الجبارين، فأسلما وأتبعنا موسى. (أَمْرَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْآبَاءَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ ظَالِمُونَ) . ذنب الله تعالى منجز وعده ، وإنا أنبئناهم فكانت أجسامهم عظيمة قوية، وقلوبهم ضعيفة، فلا تحشوم، وعلى الله فتوكلوا ١٠ .
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فاراد بنو إسرائيل أن يرجعوهما بالجحارة ، وقالوا : يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنذِلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَهَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ .

فلما قالوا ذلك غضب موسى وقال : رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَنِّي خَافِرٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . وكانت عجلة عجّلها موسى — عليه السلام — فظهر الغلام على قبة الزمان . وأوحى الله تعالى إلى موسى: إلى متى يعصيني هذا الشعب، وإلى متى لا يصدقون بالآيات؟ لأقتلهم جميعا، ولأجعلن بدلهم شعبا أشد وأكثرا منهم .

قال موسى : إلهي لو أنك قتلت هذا الشعب كله كرجل واحد قالت الأمم الذين سمعوا : إِنَّمَا قَتَلَ هَذَا الشَّعْبَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَدْخُلَهُمُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ . فقتلهم في البرية ، وإليك طويل صبرك . كثيرة نعمك . وأنت تغفر الذنوب، وتحفظ الآباء على الأبناء وأبناء الأبناء، فأغفر لهم ولا توبخهم ٢٠ .

فقال الله تعالى : قد غفرت لهم بكلمتك ، ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت طعيم ، لأحزم من طعيم دخول الأرض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولائيتهم في هذه البرية أربعين سنة ، ولتلقين جيْفهم في هذه القفار ، وأما بنوهم الذين لم يعملوا الخير والشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ في ستة فراعص ، يسرون كل يوم جاذين ، حتى إذا شعثوا وأمسوا ، فإذا هم في الموضع الذي ارتحلوا منه وكانوا ستمائة ألف مقاتل ، مات النقباء العشرة الذين أفسدوا الخبر بفتنة ، وكل من دخل إليه ممن جاوز عشرين سنة مات في التيه غير يوشع وكالب ، ولم يدخل أريحا أحد ممن قال : إِنَّا لَنَزَخْلُهَا أَبَدًا .

١٠ فلما هلكوا وأقضت أربعون سنة ، ونشأت النواشئ من ذراريتهم . ساروا إلى حرب الجبارين ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ . والله المعين .

ذكر مسير موسى — عليه السلام — وبني إسرائيل

لحرب الجبارين ودخولهم القرية

١٥ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ مُغْتَبًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَفِّرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

اختلف المفسرون في القرية :

قال ابن عباس : هي أريحا ، وهي قرية الجبارين ، وكان فيها بقية من عاد يقال لهم : الهالقة .

٢٠ وقيل : هي بقاء .

وقال ابن كيسان : هي الشام .

وقال الضحاك : الرملة والأردن وفلسطين وتدمر .

وقال مجاهد : بيت المقدس .

وقال مقاتل : إيلياء . وقوله : رَغَدًا ، أى موسى طيكم .

والباب : باب من أبواب القرية ، وكان لها سبعة أبواب .

وقال مجاهد : هو باب في بيت المقدس يُعرف إلى اليوم بباب حِطَّة .

وقيل : هو باب القبة التي كان موسى يصلي إليها .

وعن مجاهد أيضا : أنه باب في الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى كالفريضة .

وقوله : مُجَبَّدًا ، أى متحنين متواضعين .

وقال وهب : قيل لم : ادخلوا الباب فإذا دخلتموه فأعجبوا شكرا لله عزَّ

وجلَّ ، وذلك أن موسى — عليه السلام — لما أتت مضت مدة التي سار بالأبناء

إلى القرية ودخلها ، ودخل المؤمنون سجدا كما أمرهم الله تعالى . وقوله : (وَقُولُوا

صَلِّةٌ) ، قال قتادة : حُطَّتْ عَنَّْا خطايانا ، أَمِرُوا بالاستغفار .

قال ابن عباس : يعني لا إله إلا الله ، لأنها تحط الذنوب .

(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) .

قال مجاهد : طَوَّعُوا لهم الباب ليخضعوا رموسهم ، فلم يخضعوا ولم يركعوا ولم

يسجدوا ، ودخلوا يزحون على أستاذهم ، وقالوا قولا غير الذي قيل لهم ، وذلك

أنهم أَمَرُوا أن يقولوا : حِطَّةٌ ؛ فقالوا : (هطّا سمماتا) ، ينون حنطة سمراء

استخفافا بأمر الله تعالى ؛ قال الله تعالى : (فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ

يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ، وذلك أن الله تعالى أرسل عليهم طامة وطاعونا ، فهلك

منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا .

قال الكسائي : وظب موسى على مدينة أريحا ، وهرب من كان بها من الجبارين .

وقيل : إنما دخل موسى الآن أرض كنعان ، وإن مدينة أريحا فتحها يوشع ابن نون بعد وفاة موسى — عليه السلام — على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار يوشع .

ذكر خبر مدينة بلقاء وخبر بلعم بن باعورا وما يتصل بذلك قالوا : ولما دخل موسى بني إسرائيل أرض كنعان ، سار منها يريد مدينة بلقاء .

قال مقاتل : سميت بلقاء لأث ملكها كان يقال له : بالق ، وكان بها بلعم بن باعورا ، وهو الذي أنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخْ مِنْهَا فَاتَّبِعْهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الآيات .

وقيل : نزلت الآيات في غيره — على ما نذكره إن شاء الله تعالى آخر القصة — .

وأختلف أيضا في اسمه ونسبه .

فقال ابن عباس — رضي الله عنهما — : هو بلعم بن باعورا .

وقال ابن مسعود — رضي الله عنه — : بلعم بن ابر .

وقال مجاهد : بلعام بن باعر .

وقال الثعلبي : قال أكثر المفسرين : هو بلعام بن باعورا بن أيدن بن مآرب ابن لوط ، وكان من الكنعانيين .

وقال عطية عن ابن عباس : هو من بني إسرائيل .

وقال علي بن أبي طلحة عنه : هو من الكنعانيين من مدينة الجبارين .

وقال مقاتل : هو من مدينة بقاء .

قالوا : فلما أقبل موسى بنى إسرائيل إلى مدينة بقاء، كان أهلها يبدون الأصنام، فلما بلغ الملكَ مسيرَ موسى — عليه السلام — إليه استشار أكابرَ دولته؛

فقالوا له : إن فرعون لم يطلقه مع كثرة جنوده، فانت أولى ألا تطيقه، فبرأق هاهنا .

رجلا يعرف ببلعام مجاب الدعوة، التمس منه أن يدعو عليهم ليكفيك ربك أمرَ

موسى . فبعث الملكُ إليه وأحضره وتحدث معه في أمر موسى ؛ فقال : حتى

أستأذن ربِّي . ودخل بلم مصلاؤه وأستأذن في الخروج ، فأوحى إليه أن هذا

السكرهم بنو إسرائيل . وعليهم موسى رسول . ولا تخرج إليهم . فقال بلم لرسول

الملك : إن ربِّي قد منعني من ذلك، فأصرفوا وعمرنوا الملك .

وكان لبلم امرأة، فأهدى لها الملكُ هدية نفيسة، وسألها أن تكلم زوجها

في التوجه مع الملك ؛ فسأله؛ فقال : قد أستأذنتُ ربِّي فنهاني . فلم تزل به حتى

أستأذن الله ثانياً؛ فأوحى الله إليه : أني نهيتك عن ذلك، والآن قد جعلتُ الأمرَ

إليك . فطابت نفسه بالخروج مع الملك . حكاه الكسائي .

وقال الثعلبي في تفسيره، وعزاه إلى ابن عباس وابن إسحاق والسدّي وغيرهم :

إن موسى — عليه السلام — لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من

أرض الشام، أتى قومُ بَلْعَام — وكان عنده اسمُ الله الأعظم — فقالوا : إن موسى

رجلٌ حديد، ومعه جنود كثيرة . وإنه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلُّها

بني إسرائيل، وإنا قومك وبنو عمك ، وليس لنا منزل . وأنت رجل مجاب الدعوة

فأخرج وأدع الله أن يرذ عنا موسى وقومه . فقال : ويلكم، هو نبي الله ومعه الملائكة

والمؤمنون، كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم؟! وإني إن فعلتُ ذلك ذهبت

دنياى وآخرى . فراجعوه فى ذلك ، فقال : حتى أوامر ربى . — وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام — فأمر فى الدعاء عليهم ، فقبل له فى المنام : لا تدع عليهم . فقال لقومه : إني قد نهيته عن الدعاء عليهم . فاهدوا إليه هدية قبلها ، ثم راجعوه فى الدعاء عليهم ، فقال : حتى أوامر . فأمر فلم يجر إليه شيء . فقال : قد أمرت فلم يجر إلى شيء . فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك فى المرة الأولى . فلم يزالوا به يرققونه ويتضرعون إليه حتى فتوه فافتن ، فركب أتاناً له متوجها إلى جبل يطلعه على عسكر بنى إسرائيل يقال له : (حَبَّان) ، فلما سار عليها غير كثير رُبِضَتْ ، فَنَزَلَ عنها فضربها ، حتى إذا أَلَمَّها قامت ، فركبها فلم تسر به كثيرا حتى رُبِضَتْ ، فَنَزَلَ عنها وضربها حتى إذا أَلَمَّها أَذِنَ لها بالكلام ، فَكَلَمَتْ حِجَّةً عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ، أين تذهب ؟ ألا ترى الملائكة أمامى يردونى عن وجهى هذا ؟ تذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلم يترع عنها ، فغَلَى الله سبيلها ، فانطلقت حتى إذا أَشْرَفَتْ به على جبل (حَبَّان) جعل يدعو عليهم ، فلا يدعو بشيء إلا صُرف به لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صُرف لسانه إلى بنى إسرائيل ، فقال قومه : يا بلعم أتدرى ما تصنع ؟ إنما ندعوكم وتدعو علينا . قال : فهذا مالا أملك . وأندلع لسانه فوق على صدره ، فقال لهم : قد ذهبت منى الآن الدنيا والآخرة ، ولم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمر لكم واحتال ، جملوا النساء وزيهوهن وأعطوهن السَّعْ ، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعثن فيه ، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فإنهم إن زنى منهم رجل واحد كُفيتهم . ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر أمرت ١٥
أمرأة من الكتعانين أسمها كُتسى بنت صعور برجل من عظماء بنى إسرائيل يقال له : ٢٠

زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم — عليهم السلام — تقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها؛ ثم أقبل حتى وقف على موسى فقال له : إني أظنك ستقول : هذه حرام عليك . قال موسى : أجل ، هي حرام عليك ، لا تقر بها . قال : فواقه لا تطيعك في هذا . ثم دخل بها فبته فوقه عليها

(١٠٥)

فأرسل الله تعالى الطاعون على بني إسرائيل في الوقت ؛ وكان فنحاص بن العيزار ابن هارون صاحب أمر موسى رجلا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكانت قائما حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يحوس في بني إسرائيل فأخبر الخبر ، فأخذ حربته ، وكانت كلها من حديد ، ثم دخل عليها القبة وهما مضطجعا فنظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعا حربته إلى

السماء قد أخذها بنزاعه ، واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته — وكان يكرّ العيزار — وجعل يقول : اللهم هكنا فعل بمن يعصيك ؛ ورفّع الطاعون ، فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون — فيما بين أن أصاب المرأة إلى أن قتله فنحاص — فوجدوه قد أهلك منهم سبعين ألفا في ساعة واحدة من النهار .

قال : فن هناك يعطى بنو إسرائيل ولّد فنحاص من كلّ ذبيحة ذبحوها الخاصرة^(١١)

والذراع والحيّة ، لاعتداده بالحربة على خاصرته ، وأخذها إياها بنزاعه ، وإسناده إياها إلى لحيته ، واليكرّ من كل أموالهم وأقسامهم ، لأنه كان يكرّ العيزار بن هارون .

قال الشعبي أيضا : وقال مقاتل : إن ملك البقاء قال للعام : ادع الله على موسى . فقال : إنه من أهل ديني فلا أدعو عليه . ففتح الملك خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أنان له ليدعوه عليه ، فلما عاين عسكرهم قامت به الأنان

(١) كذا في كتاب الشطي المقول عنه هذا الكلام ص ١٨٢ طبع المطبعة البية . والناس في كلا الأملين : « القبة » وهو تبديل من النسخ اذ لا يناسب سناء سياق ما هنا .

وقد وقفت، فضربها، فقالت : لِمَ تضربني وأنا مأمورة؟ فلا تظلمني، وهذه نأرُ
أماي قد منعتني أن أمشي . فرجع فأخبر الملك؛ فقال : لتدعوك عليه أولأصليتك .
فدعا على موسى باسم الله الأعظم ألا يدخل المدينة، فأستجيب له ، ووقع موسى
في التَّيِّه بدعائه، فقال موسى : ياربِّ بآيَ ذنب وقعنا في التَّيِّه . فقال : بدعاء بلعام .
قال : ربِّ بما سمعتَ دعاءه على فاسمع دعائي عليه . فدعا موسى أن ينزع منه
الامم الأعظم والإيمان . فسلخه الله مما كان عليه ، ونزع منه المعرفة، فخرجت
كحمامة بيضاء، فذلك قوله عز وجل (فَاسْلَخَ مِنْهَا) .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيَّب وأبو روق وزيد بن أسلم:
نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصَّلت ، وكانت قصته أنه كان في ابتداء أمره
قد قرأ الكتب وعلم أن الله عزَّ وجلَّ مرسل رسولا في ذلك الوقت، ورجا أن
يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل الله تعالى محمدا - صلى الله عليه وسلم - حسده
وكان قد قصد بعض الملوك، فلما رجع مرَّ بقتل بدر، فسأل عنهم؛ فقبلهم : قتلهم
مجد . فقال : لو كان نبيا ما قتل أقرابه . فلما مات أمت أخته فارة رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فسألها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن وفاة أخيها؛
فقالت : بينا هو راقد أتاه آثنان فكشفا سقف البيت ونزلا ، ففعد أحدهما عند
رجليه والآخر عند رأسه ، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : أوعى ؟ قال :
وعى . قال : أرَّكَّا قال : أبى . [قالت]^(١) : فسأله عن ذلك ؟ فقال : خير أريد
بى فصرف عني . ثم ضُيى عليه ، فلما أفاق قال :

(١) كذا في كتاب التلخيص المنقول عن هذا الكلام من ١٨٢ طبع المطبعة البية . والتمنى في كتاب
النسختين : « إن كان » ؟ وهو تحريف .
(٢) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في كلا الأصلين ؛ وقد أثبتناها من كتاب أبي إسحاق التلخيص
في قصص الأنبياء المنقول عن هذا الكلام .

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا * صَائِرُ أَمْرِهِ إِلَى أَنْ يَزُولَا
لِقَى كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي * فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَوْ عَى الْوَعُولَا
إِنْ يَوْمَ الْحِسَابِ يَوْمٌ عَظِيمٌ * شَابَ فِيهِ الصَّغِيرُ يَوْمًا تَهَيَّلَا
ثُمَّ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْشِدِي مِنْ شِعْرِ أَخِيكَ .
فَأَنشَدَتْهُ :

لَكَ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَاءُ وَالْفَضْلُ رَبَّنَا * وَلَا نُنِيءُ أَهْلَ مَنكَ جَدًّا وَاجِدًا
مَلِكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مَهِيْمٌ * لِعَزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
وَهِيَ قَصِيدَةُ طَوِيلَةٍ ، حَتَّى أَنْتَ عَلَى آخِرِهَا .

وَأَنشَدَتْهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

يُوقِفُ النَّاسَ لِلْحِسَابِ جَمِيعًا * فَتَقَى مَعْدَبٌ وَسَعِيدٌ
ثُمَّ أَنْشَدَتْهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ تُعَرِّضُونَ عَلَيْهِ * يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَالسَّرَّاءَ الْخَفِيَّا
يَوْمَ نَأَى الرَّحْمَنَ وَهُوَ رَحِيمٌ * إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا
يَوْمَ آتِيهِ - مِثْلَ مَا قَالَ - فَرْدًا * ثُمَّ لَا أُدِرُ رَاشِدًا أَمْ غَوِيًا
أَسْمِعِينَا إِسْمَاعِدَهُ أَنَا أَرْجُو * أَوْ مَهَانًا بِمَا أَكْتَسَبْتُ شَقِيًا
إِنْ أُوَاخِذَ بِمَا أَجْرَمْتُ غَلَايَ * سَوْفَ أَلْقَى مِنَ الْعَذَابِ فَرِيًا
رَبِّ إِنْ تَعَفَّ فَاْلَمُعَافَاةَ ظَنَنِي * أَوْ تَعَاقِبْ فَلَمْ تَعَاقِبْ بَرِيًا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ . وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ :
(وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا) الْآيَاتُ .

ومنها من قال : إِنَّ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَلْبَسُوسَ ، وَكَانَ رَجُلًا أُعْطِيَ ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ أَمْرَاءُ ، وَكَانَ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ ، فَقَالَتْ : اجْعَلْ لِي مِنْهَا دَعْوَةً وَاحِدَةً . فَقَالَ : لَكَ فِيهَا دَعْوَةٌ ، فَمَا تَرِيدِينَ ؟ قَالَتْ : أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي أُمَّةً مِثْلَ أُمَّةِ إِسْرَائِيلَ . فَدَعَا لَهَا ، فَصَارَتْ أُمَّةً مِثْلَ أُمَّةِ إِسْرَائِيلَ ، فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فِيهِمْ مِثْلُهَا رَغِبَتْ عَنْهُ ، فَغَضِبَ وَدَعَا عَلَيْهَا ، فَصَارَتْ كَلْبَةً نَبَاحَةً ، بَغَاءُ بَنُوها وَقَالُوا : لَيْسَ لَنَا عَلَى هَذَا قَرَارٌ ، قَدْ صَارَتْ أُمَّةً كَلْبَةً نَبَاحَةً وَالنَّاسُ يَمْتَرُونَنا بِهَا ، فَأَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَرْدَّهَا إِلَى الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا . فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى ، فَصَادَتْ كَمَا كَانَتْ ، فَذَهَبَتْ فِيهَا الدَّعَوَاتُ .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : نَزَلَتْ فِي أَبِي عَامِرٍ بْنِ نَعْمَانَ بْنِ صَيْفِيٍّ الرَّاهِبِ الَّذِي سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْفَاسِقَ ، وَكَانَ قَدْ تَرَهَّبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَبَسَ الْمُسَوَّحَ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ ؟ فَقَالَ : جِئْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ : فَأَنَا عَلَيْهَا . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَسْتَ عَلَيْهَا ، وَلَكِنَّكَ أَدْخَلْتَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى كَفَّارِ قَرِيشٍ .

وَأَخْبَارُهُ تُذَكِّرُ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — فِي سِيرَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَهَذَا مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ .

قَالَ الْكِسَائِيُّ : وَنَادَى مُوسَى فِي قَوْمِهِ بَعْدَ رَفْعِ الطَّاغُوتِ عَنْهُمْ : «أَنْ أَحْلُوا» . فَحَلُّوا وَأَقْتَلُوا ، فَقُتِلَ الْمَلِكُ وَبَلَغَ ، وَأَنْهَزَ الْبَاقُونَ ، وَغَمَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ شَيْئًا كَثِيرًا . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

ذكر خبر وفاة هارون عليه الصلاة والسلام

- قل الكسائي : — وذكر وفاة هارون إثر خبر البقرة وقتل عاميل — قال :
- لما كان بعد قتل عاميل نظر هارون إلى جبل في التيه بعيد من العسكر، فقال :
- يا موسى . ألا نمضي إلى ذلك الجبل فننظر إلى خضرته ونضارته . فضيا من الغد
- ومعهما أولاد هارون ، فأتوه فإذا هو جبل كثير المياه والعشب والكهوف
- وفيه كهف واسع يسطع نورا ، فدخلوه وإذا هم بسرير من ذهب عليه أنواع من
- الفرش ، فصعد هارون إليه وتأم . بغيا طوله ، فهم أن يتزل ، فأنه ملك الموت
- في صورة شاب حسن ، قبض روحه ، وضلته الملائكة ، وصلى موسى عليه ، وسدوا
- باب الكهف ، وعاد موسى إلى بني إسرائيل ، فسأله عن هارون ، فأخبرهم بوفاة
- ١٠ قالوا : بل قتلته . فقال : ما ذا لقيت منكم يا سفهاء بني إسرائيل ، أقتل أنبي
- وشقيق ؟ ثم دعا ربه أن يرهم إياه على صورته . فأمر الله تعالى الملائكة أن يخرجوا
- سريره من الكهف ، فأخرجوه وحملوه في الهواء حتى نظرت إليه بنو إسرائيل . ثم
- نادت الملائكة : يا بني إسرائيل ، هذا سرير هارون قد قبضه الله تعالى إليه .

- وقال أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره في وفاة هارون — عليه السلام — قال
- السدّي : أوحى الله تعالى إلى موسى — عليه السلام — أني متوفى هارون، فأت
- ١٥ به جبل كذا وكذا . فأتى موسى وهارون — عليهما السلام — نحو ذلك الجبل
- فإذا هما بشجرة لم يرا شجرة مثلهما ، وإذا بيت مني ، وفيه سريره فرائش
- وإذا فيه ريح طيبة ، فلما نظر هارون إلى ذلك أعجبه وقال : يا موسى ، إنني أحب
- أن أنام على هذا السرير . قال : ثم عليه . قال : إنني أخاف أن يأتي رب هذا
- ٢٠ البيت فيغضب علي . قال موسى : لا ترهب ، أنا أكفيك رب هذا البيت ، قم .

قال : يا موسى ، بل نعم معي ، فإن جاء ربّ البيت غضب علىّ وعليك جميعا . فلما
 ناما أخذ هارون الموت ، فلما وجد جسده قال : يا موسى خذ عني . فلما قبض
 — عليه السلام — رفع ذلك البيت ، وذهبت تلك الشجرة ، ورفع السرير به إلى
 السماء ، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون ، قالوا : إن موسى قتل
 هارون وحسده لحبّ بني إسرائيل له . فلما أكثروا عليه قام فصلّى ركعتين ، ثم دعا
 الله تعالى ، فزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض ؛ فصنّفوه .

(١٧)

وقال الثعلبي أيضا . وقال عمرو بن ميمون : مات هارون — عليه السلام —
 في الثّبة ، ومات قبل موسى ، وكانا خرجا في الثّبة إلى بعض تلك الكهوف . فمات
 هارون ، فدفنه موسى . وأنصرف إلى بني إسرائيل . فقالوا : ما فعل هارون ؟ قال :
 مات . قالوا : كذبت ، ولكحك قتله لحبنا إياه — وكان محبّا في بني إسرائيل —
 فضرع موسى إلى الله تعالى وشكا ما لقي من بني إسرائيل ؛ فأوحى الله إليه : أن
 أطلق بهم إلى قبره . فأتى باعته حتى يضرهم أنه مات موتا وأنت لم تقتله . فانطلق
 بهم موسى إلى قبره ، فتأذى : يا هارون . فخرج من قبره ينفض رأسه ؛ فقال :
 أنا قاتلك ؟ قال : لا . ولكني مت . قال : فعد إلى مضجعك . فعاد — عليه
 السلام — وأنصرفوا .

ذكر وفاة موسى بن عمران — عليه الصلاة والسلام —

قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله — قال ابن إسحاق : كان موسى — عليه
 السلام — قد كره الموت وأعظمه ، فأراد الله تعالى أن يحبب إليه الموت ويكره
 إليه الحياة ؛ وكان يوشع بن نون يدعو عليه ويروح ، فيقول له موسى : يا بني الله
 ما أحدث الله إليك . فيقول له يوشع : يا بني الله ، ألم أصعبك كذا وكذا سنة ، فهل

كُنْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا أَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ تَبْتَدِئُ بِهِ وَتَذَكِّرُهُ ؟
وَلَا يَذْكُرْ لَهُ شَيْئًا .

فَلَمَّا رَأَى مُوسَى ذَلِكَ كَرِهَ الْحَيَاةَ وَأَحَبَّ الْمَوْتَ .

- وعني وهب أنه قال - وذكر من كرامة موسى عليه السلام - أنه ضاق ببني إسرائيل ذرعاً لما كثروا عليه ، فأوحى الله تعالى إلى ألف نبي أن يكونوا أعواناً له ،
فَلَمَّا مَالَ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِمْ وَجَدَ مُوسَى فِي نَفْسِهِ ، فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِكِرَامَتِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .

- وَالَّذِي صَحَّ لَنَا مِنْ خَبَرِ وَفَاةِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَائِثٌ فِي مَصْبِغِ الْبَخَارِيِّ
وهو ما حدثنا به الشيخان المُسْنَدَانِ المَعْمُرَانِ : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن
أبي طالب نعمة بن حسن بن علي بن سنان الشُّعْنَةُ الصَّالِحِيُّ الحِجَارِيُّ ، وَسَيِّدُ الْوُزَرَاءِ
أَمَّ مُحَمَّدٌ ^(١) (وَزِيرُهُ) ابْنَةُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ شَمْسِ الدِّينِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْقَاضِي
وَجِيهِ الدِّينِ أَسْعَدَ بْنِ الْمُنْجَا التَّنُوخِيِّ - أَلَدِ شَقِيَّانَ - قِرَاءَةً عَلَيْهِمَا ، وَأَنَا أَسْمَعُ بِالْمَدِينَةِ
الْمَنْصُورِيَّةِ بِمَحَطِّ (بَيْنَ الْقَصْرِينِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَعْزِيَّةِ) . وَذَلِكَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ السَّابِعِ
مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَسَبْعِينَ ، بِقِرَاءَةِ الشَّيْخِ علاء الدِّينِ علي بن
الْمَسَاوِدِيِّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ
مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى الزَّيْبِيدِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو الْوَقْتِ عَبْدُ الْأَوَّلِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
شُعَيْبِ السَّجَّزِيِّ - الصُّوفِيُّ - ثُمَّ الْحَمَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْإِمَامُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الدَّوَادِي ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْإِمَامُ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَوْيَةَ التَّنُوخِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى
أَبْنُ يَوْسُفَ بْنِ مَطَرٍ الْقَهْرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ

إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي مولاهم البخاري - رحمه الله - قال :
 حدثنا محمود ، حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن
 أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام
 فلما جاءه صكه ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلني إلى عبد لا يريد الموت . فرد
 الله عليه عينه وقال : ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به
 يده بكل شعرة سنة . قال : أي رب ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت . قال : فالآن . فسأل
 الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر . قال : قال رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - : فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر .
 قال الثعلبي : وكان عمر موسى - عليه السلام - مائة وعشرين سنة ، عشرون
 منها في ملك أفريديون ، ومائة سنة في ملك منو جهر ، وبعث الله تعالى بعد موسى
 يوشع عليهما السلام .

كل الجزء الثالث عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين
 أحمد بن عبد الوهاب البكري التيمي القرشي المعروف بالنويري - رحمه الله تعالى -
 وبه الجزء الرابع عشر ، وأوله : الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الخامس فيما
 كان بعد موسى بن عمران عليهما السلام ، وهو أخبار يوشع بن نون وحزقييل وإلياس
 واليسع وغيل واشمويل وداود وطالوت وجالوت وسليمان بن داود عليهم السلام .

والحمد لله رب العالمين

استدراك

قد وقعت بعض أخطاء مطبعية يسيرة في هذا الجزء ، فرأينا أن نستدرك ما عثرنا عليه منها بعد الطبع ، وهى فى ثلاثة مواضع :

(١) وقع فى صفحة ٢٨ سطره قوله : « إبناء » . والصواب « بناء » بنير ألف فى أوله .

(٢) وفى صفحة ١٧٣ سطر ٩ قوله : « ونروج » . والصواب : « وحروب » كما فى بعض النسخ .

(٣) وفى صفحة ٢٢٠ سطر ٣ ما نصه : « أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفينا ففهم ظالم لنفسه » الخ . وقد كتبنا فى الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة ما يفيد أن قوله : « الذين » غير واضح موقعها من الإعراب فى هذه العبارة بخلاف موقعها من الآية المقتبسة منها ، وهى قوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » اهـ . وقد تبين لنا أن قوله : « الذين اصطفينا » زائدة فى هذه العبارة التى وردت فى كلام المؤلف ، فقد ورد هذا الكلام فى كتاب التعليل المنقول عنه هذا الكلام — مع اختلاف فى بعض ألفاظه ، فلاحظ — ونصه : « أجد أمة مرحومة أصفاء يرثون الكتاب ففهم ظالم لنفسه » الخ .



صَكُلُ طبع " الجزء الثالث عشر من كتاب نهاية الأرب "
بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم الثلاثاء ٢٨ شوال سنة ١٣٥٧
(٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٨) م

محمد فديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٢٤/١٩٣٧/٢٥٠٠)
